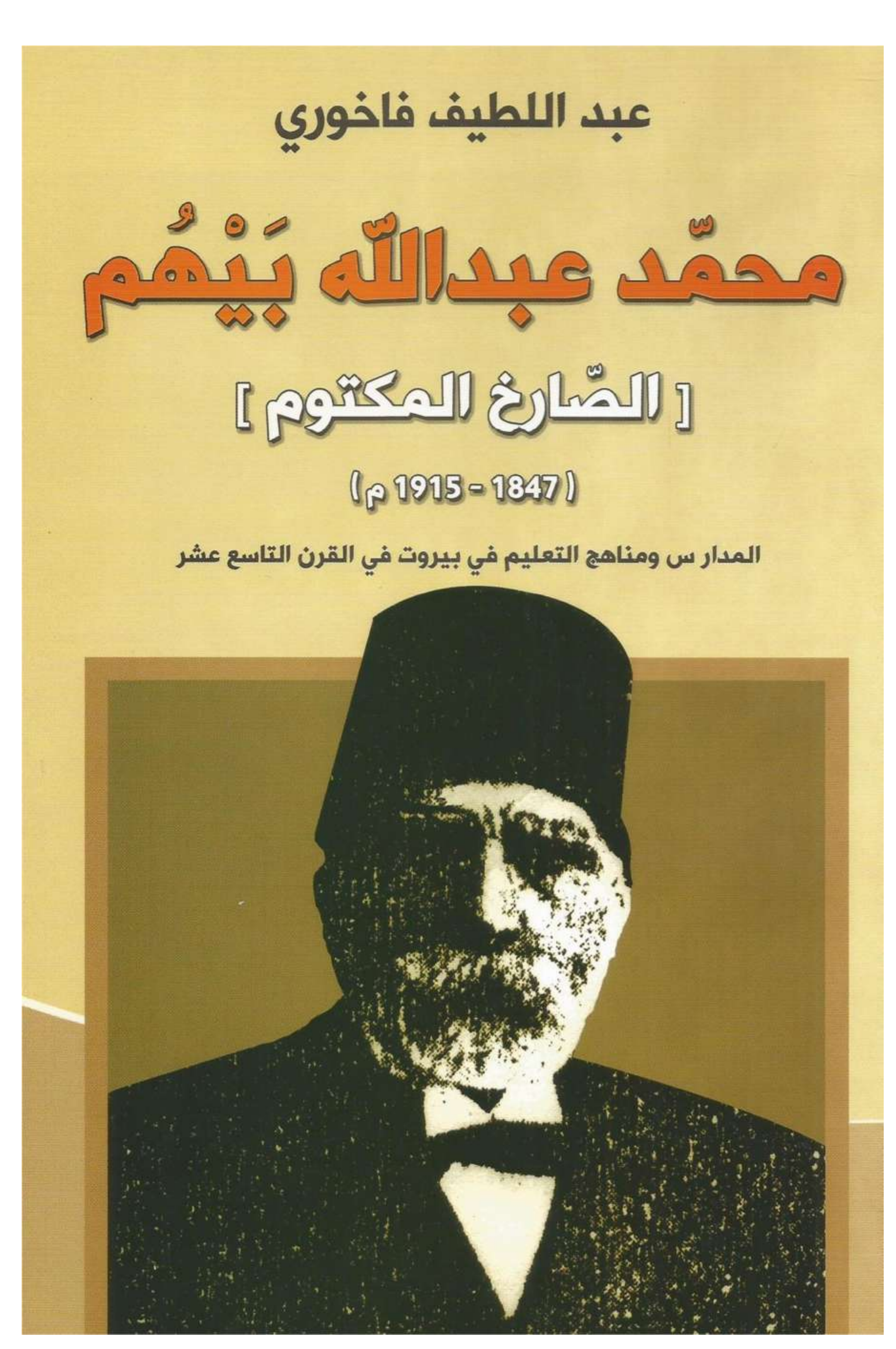


عبد اللطيف فاخوري
محمّد عبدالله بَيْهُم
[الصّارخ المكتوم]
(1847 - 1915 م)
المدار س ومناهج التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر

محمد عبد اللَّه بَيْهُم

الصارخ المكتوم

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان – بيروت

ص. ب: ٥٦٣٦ – ١٤ تلفاكس: ٥٥٥٢٩١– ٠١

هاتف: ٠٣/٨٦٠٨٦٤ / ٠٣/٥٧٧٤٩٥

E.Mail: basel_saleh@yahoo.com

محمد عبد اللَّه بَيْهُم

الصارخ المكتوم

(١٨٤٧ ـ ١٩١٥م)

المدارس ومناهج التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر

تأليف

عبد اللطيف فاخوري

محام في الإستئناف

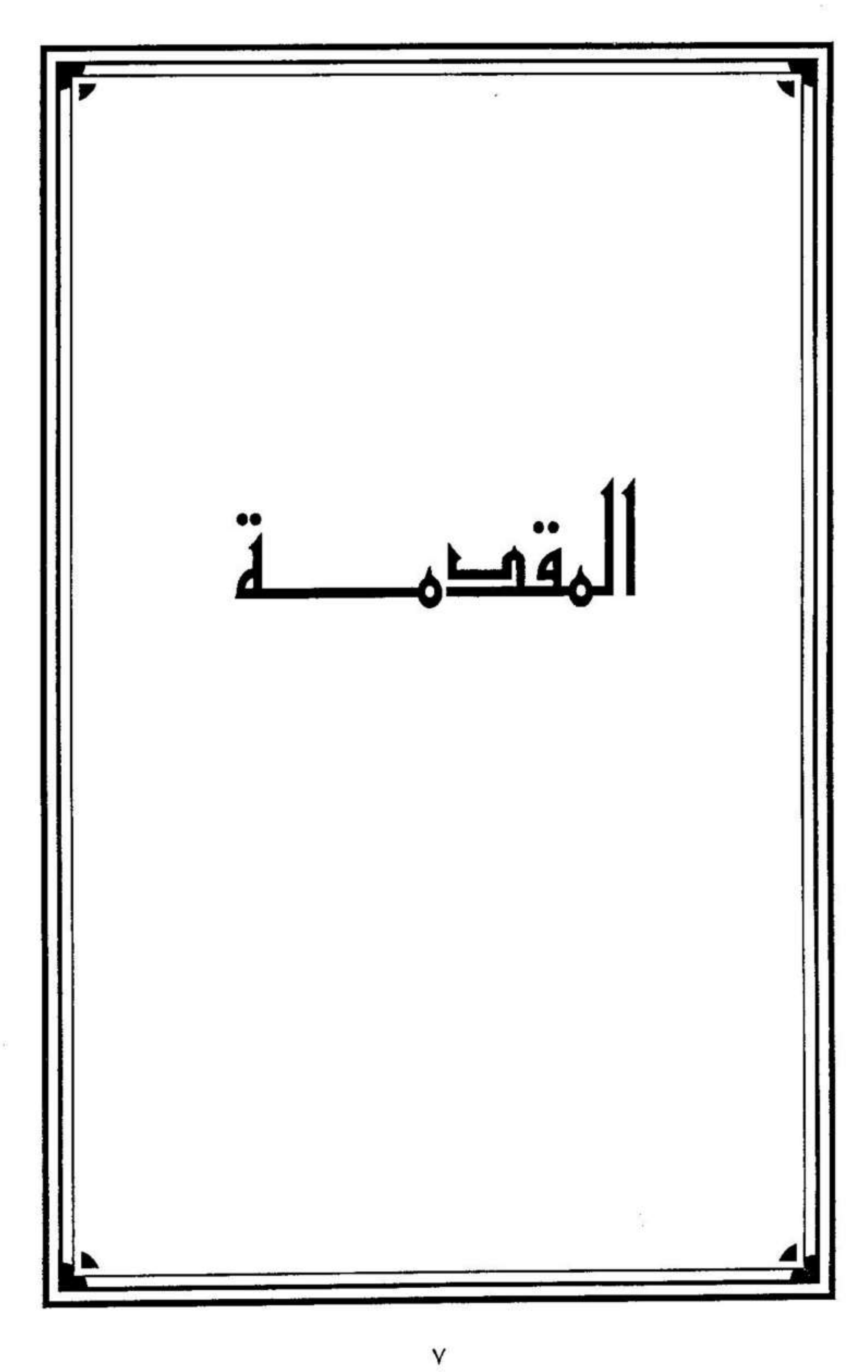
دار الحداثة

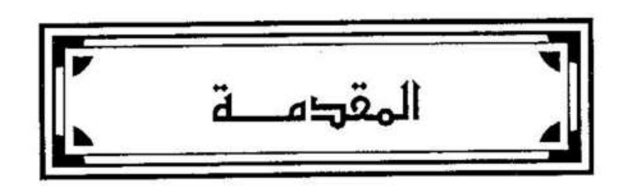


مكتبة
جمعية تراث بيروت
Beirut Heritage Society



رسم محمد بن عبد الله بَيْهُم


المقدمة



المقدمة

فيما كنت أجمع مادة لدراسة الأوضاع العلمية والتربوية في بيروت قبيل سقوط الدولة العثمانية، وقع نظري في بعض صحف تلك المرحلة على كتابات مذيّل بعضها بتوقيع «**الصارخ المكتوم**» أو «**الصائح المكلوم**». وهاجَ بيَ الشوق وتاقت نفسي إلى معرفة هوية هذا الصارخ الصائح ومعرفة ما الذي جعله يصرخ ويصيح مكتوماً مكلوماً؟

وما كدت أعرفه حتى وجدتني أمام رجل تمثلت فيه الحمية والوطنية والتعقل رأى الجهل مخيماً في مجتمعه والأولاد منصرفين عن العلم لضعف أوضاعهم وقلة المدارس وغياب الوعي، فانطلق يدعو إلى تأسيس المدارس وتعليم الناشئة وتأسيس الجمعيات الخيرية التعليمية، ويجود من خير ماله كل ساعة دون أن تهتز يداه. وأخذ يتفنن في وضع صدقاته ولا تفنن التاجر في اكتساب دريهماته. ويبتدع من أساليب تشجيع الناشئة بالإقبال على التعلم ودعوة الأهل لتعليم أبنائهم، ما جعله محط إعجاب وتقدير عارفيه ومحبيه وأولي الأمر في مجتمعه وزمانه. ولم يخص صدقاته في منطقة أو محلة، بل جابَ في آفاق لبنان وسورية داعياً ومتبرعاً ومنشطاً للمدارس والجمعيات من حلب إلى حمص ودمشق وطرابلس وصيدا وبيروت.

وليس غريباً أن يصل به الأمر إلى أن يقف وزوجته أموالهما كلها من بعدهما لتعليم أولاد الفقراء.

إنه محمد عبد الله بَيهم، العيتانيُّ الأصل، الذي لم ينعم الله عليه بأولاد صلبيين، فكان له من الأولاد القلبيين عشرات بل مئات، وحققتْ أعمالُه وسيرتُه أصالة اللقب الذي حمله عن جده حسين بن ناصر بن محيي الدين العيتاني الذي توفي جاره عن أربعة أبناء صغار زغب الحواصل، فتعهدهم جارهم بالرعاية والتعليم حتى شبّوا عن الطوق، وغلب على هذا لقب «بيهم» لأنه قام مقام أبيهم، فصاروا كأنهم أولاده. ويشاء القدر أن يتجدد اللقب على يد الحفيد محمد عبد الله حامل لقب بيهم عن جدارة تؤكد أنه قلما كان اللقب متطابقاً مع حامله إلا في النادر.

يذكر أن أسرة العيتاني أنجبت شخصيات أخرى ظلت محتفظة باللقب الأصلي للعائلة بلغت مراكز مرموقة وحققت نجاحات اجتماعية واقتصادية ملفتة نذكر منها: عبد الحفيظ محمود عيتاني مؤسس أحد المصارف اللبنانية المعروفة، وبهاء الدين عبد اللطيف عيتاني نائب بيروت السابق، ومحمد الأمين عيتاني نائبها الحالي، وسليم عيتاني عضو المجلس البلدي، والعميد المتقاعد مختار أحمد عيتاني، وآخرون كثرٌ منهم أطباء ومحامون ومهندسون ورجال أعمال.

* * *

وتذكرت وأنا أتابع سيرة هذا «**الأب**» قول شكسبير في روايته «**يوليوس قيصر**» على لسان انطون في خطبة شهيرة عند جثمان قيصر. قال: السيئات يقترفها الناس، فيمضي فاعلوها وتبقى، وأما الحسنات فغالباً ما تدفن مع رفاتهم تحت الثرى.

قد يكون من حق القارىء أن ينكر على الشاعر العظيم رأيه هذا، سيما عندما يرى الناس تلهج بمآثر المحسنين، وبما يقيمون لهم من

تماثيل ونصب، وما يدبجون عنهم من مدائح وقصائد، وما يقيمون لأجلهم من احتفالات تتخللها خطب طنانة وقصائد رنانة يقطعها تصفيق حاد وطويل، وتختتم بأوسمة ونياشين ودروع، وشهادات تقدير. وينفض الجمع الغفير ويسدل الستار، وينسى الفاعل والفعل.

كأن لم يكن بين الحجون والصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وآلمني أن كل ما قام به محمد عبد الله بيهم انطوى مع وفاته سنة ١٩١٥م، ولم يعد أحد يأتي على ذكره اللهم إلا بضع أسطر نشرت في مجلة الكشاف سنة ١٩٢٧م. وقديماً قيل: إتق شر من أحسنت إليه. وإذا نظرنا في هذا الأمر وجدنا أن الشعور بالنقص والعجز قد يثير عند صاحبه شعوراً بالمرارة والحقد على من بذل وأعطى. ولولا أن سرعة نسيان الحسنة من طبيعة الإنسان، لما كان بالقائل حاجة أن يقول للناس «**اذكروا محاسن موتاكم**».

وخفف من ألمي ما قرره زكي نجيب محمود بأن التكريم قد يكون سداً من الإنسان لنقص أدركه في نفسه أي أنه أدرك في نفسه سرعته في نسيان الجميل، وأن طبيعة الإنسان تمنعه من الإعتراف بالجميل لصاحبه، وتدفع إلى طمس معالم الفضل الذي أسدي إليه ونسيانه.

قال المثل الفرنسي: إن لا رد للجميل الكبير إلا بالنسيان. فلا يكاد التراب يهال على جسد المحسن حتى ينسى الناس إحسانه وتطمر الحسنة مع رفاته إلى الأبد.

ولا يحفظ الجميل إلا من اكتسب القدرة على قمع طبيعته، لأن من أعطى أقدر ممن أخذ العطاء. ولما كان الإنسان بطبعه أميل إلى إظهار قوته وإخفاء جوانب ضعفه، كان من العسير عليه أن يعترف بما بدا من عجزه حين قبل المساعدة.

وإذا كان في العطاء قوة وفي الأخذ ضعف، فإن عطاء محمد بيهم لم يكن عن شعور بقدرته بل عن إيمان وخلق وعطف، كفعل الوالد نحو ولده، وتحقيقاً لقول الحق تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**.

* * *

ولد محمد عبد الله بيهم في بيت علم وتقوى وأسرة تعاطى أفرادها التجارة بظل الآية الكريمة **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه﴾** آتاهم الله بسطة في العيش وسعة في الرزق. فانطلقوا يستثمرون أموالهم في الصدقات وتعليم الفقراء وبناء المساجد وإسعاف المحتاجين.

ونشأ في مجتمع غلب عليه التخلف والجهل، انصرف الناس فيه عن العلم. وتأخروا عن الأخذ بأسباب التقدم وغابت مكارم الأخلاق ليسود الفساد والرذيلة وسوء الخلق. فلم يكن ليتصرف إلا كما فعل، تسانده في ذلك مجموعة من أفراد المجتمع الروّاد كل في مجاله ونطاقه.

فكان محمد بيهم من تلك الصفوة من الرجال الذين سخّرهم الله لخدمة خلقه.

ومن تلك النخبة من الرّوّاد الذين سمعوا وأطاعوا وأخرجوا من أموالهم الحق المعلوم للسائل والمحروم.

ومن تلك الكوكبة من المؤمنين الذي جهدوا وتفرغوا وقدموا مالهم وجهدهم ووقتهم لتنفيذ الأمر الإلهي: «إقرأ».

ومن تلك الأرومة الكريمة والشجرة الطيبة الصالحة التي أعطت أفضل الثمار وأطيبها دون حساب أو منّة ووهبت دون كبرياء أو خُيَلاء.

* * *

تمثل سيرة محمد بيهم صحة القاعدة الثلاثية التي تجمع المكان والزمان والإنسان.

فبيروت المكان قطعة من جغرافيا وفلذة من تاريخ. أبحر منها الفينيقي حاملاً الأرجوان بيد والأحرف الهجائية باليد الأخرى.

وفي مدرستها الشهيرة للحقوق جرى تدوين الأعراف المحلية في قواعد قانونية لا تزال آثارها باقية.

ومنها تعالت صرخة الإمام عبد الرحمن الأوزاعي ضد الظلم والفساد والإضطهاد لتسود أجمل علامات التسامح والتضامن والتكافل. ولتصبح ولبنان ملقى السبل المتفرقة ومعترك الثقافات، البعيد عن الأثرة والتعصب على اختلاف أنواعه ومظاهره.

ومن سواحلها انطلق أبناؤها يجوبون آفاق العالم ويؤسسون في كل مكان منارة ومجداً.

وفي بيروت الزمان، زمان محمد بيهم، كانت رياح الإصلاح قد أخذت تهب في أرجاء الدولة العثمانية تحرك الساكن وتنفض غبار الجهل والتخلف وتنادي بالإستقلال وحق الإنسان بالعلم والحرية والكرامة. وتستذكر أمجاد الأمة وحضارتها وثقافتها ولغتها وما قدمته من مآثر للإنسانية.

وبيروت الإنسان أي الرعيل الذي عاصره محمد بيهم فيها من المفكرين والمصلحين والفقهاء وما سبقهم من رواد اللغة والفكر والعلم والصحافة والسياسة.

هذه الثلاثية دفعت محمد بيهم إلى حمل هموم اللحظات الزمانية الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل. فكل لحظة منها تنطوي على سائرها. فالماضي ليس وراء الحاضر بوصفه لم يعد موجوداً ولا

المستقبل هو الحاضر بوصفه لم يوجد بعد، فالماضي يتجاوز الحاضر والماضي معاً. والحاضر يوجد في الماضي والمستقبل معاً. وهكذا ينتقد محمد بيهم حاضر المجتمع مذكراً بأمجاده الماضية آملاً بمستقبل واعد. إن سيرته وسلوكه تمثلان مجموع ثلاث ربّات للوحي من صواحب أبولون: ربة التاريخ وربة الحاضر وربة المستقبل.

* * *

فصول الكتاب

قسمت الكتاب إلى سبعة فصول. تناولت في الفصل الأول أوضاع التعليم والمدارس في بيروت في القرن التاسع عشر. مع بيان مناهج التدريس في المدارس الرسمية والخاصة والمواد التي تدرس للتلامذة ودرجات النجاح التي كانت معتمدة. وتضمن ختام هذا الفصل دراسة في أوضاع المدارس والتعليم في بيروت بين سنتي ١٩١١ و١٩١٣م في زمن كانت رياح الإصلاح قد هبت، فسرت في المجتمع هزة الدعوة إلى الإستقلال والحفاظ على الهوية.

وأوضحت في الفصل الثاني بعضاً من مناقب أسرة محمد عبد الله بيهم ومآثرها وعطائها في ميادين العلم والثقافة والخير والوطنية. وكان لا بد من هذا الفصل والفصل الذي سبقه لما كان لهما من أثر فاعل في مسيرة أداء وعطاء محمد بيهم.

فجاء الفصل الثالث ترجمةً لمحمد بيهم سواء لجهة البيت الذي ولد ونشأ وتزوج فيه أو لما شهد في أرجائه من اجتماعات ومداولات ونشاطات سياسية وأدبية.

كما تناول هذا الفصل المناصب الرسمية التي تولاها محمد بيهم

والدور العمراني الذي قام به من خلال توليه رئاسة المجلس البلدي لبيروت ومواكبته تحديث بعض مناطق المدينة وأحيائها. وتم التركيز على دور محمد بيهم الوطني في حركة الإصلاح الوطني التي نشطت سنة ١٩١٣م في بيروت، رافعة شعار إصلاح أوضاع المجتمع في العالم العربي وراغبة في الإستقلال والحرية، وكان تركيزه في تلك الحقبة على العلم كمدخل فاعل للتقدم والتحرر والرقي.

وخصصت الفصل الرابع لبيان الأساليب المتنوعة التي ابتدعها محمد بيهم لتنفيذ هدفه في تنشيط العلم. من تكرار بث شعار «**تعلم يا فتى فالجهل عار**»، إلى تقديم ساعات ذهبية للمتفوقين سنوياً من طلاب المدارس، وتشجيع تأليف وعرض المسرحيات، ونشر فقرات في الصحف تحض على تلقي العلم وتبين فوائده وتأسيس الجمعيات. مروراً بطبع أناشيد على أسطوانات ملحنة على الألحان الشعبية المعروفة، على طريقة «**التنزيلات**» التي لجأ إليها أهل التصوف. وأخيراً تبرعه للمؤسسات الخيرية ودعمه للجمعيات العلمية وللمدارس.

وتجبُ الإشارة هنا إلى أمرين أساسيين ـ ركز عليهما محمد بيهم في قصائده ورسائله ودعواته المختلفة إلى العلم وتأسيس المدارس والجمعيات. الأمر الأول تذكير معاصريه بما قدمه السلف الصالح من العرب في الأندلس وغيرها من منجزات حضارية وعلمية نهل منها الغرب واستفاد منها في نهضته، مشيداً بما قام به اليابانيون. والأمر الثاني دعوته إلى تلقي العلم المرتبط بالأخلاق.

ففي قصيدته الدعوة إلى العلم يشير إلى حث الشرع على نشر العلم للدين والدنيا معاً. وفي قصيدته على وزن نهج البردة، يشدد على مسؤولية الأهل وواجباتهم تجاه أبنائهم، ويذكر بما سنه القرآن الكريم في الآية **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**.

وفي قصيدته التي تليت في حفلة لجنة مآثر التربية دعا إلى ترك الترف، وختمها بالصلاة على من أمر بطلب العلم ولو في الصين. ومن هنا كان تشجيعه الطلاب على السفر إلى الغرب لتلقي العلم المادي ودعوته إلى إنشاء كلية إسلامية فيتعرفون على آيات الله في الكون وأسرار المادة ويعرفون الله حق قدره. فعلم الأديان لا ينفصم عن علم الأبدان والأكوان.

وأشرت في الفصل الخامس إلى تشجيع محمد بيهم للعلم في سورية سواء لجهة دعوته إلى تأسيس الجمعيات العلمية أم لجهة تبرعه للمؤسسات الخيرية ودعوته إلى تأسيس كلية إسلامية في سورية.

وذكرت في الفصل السادس تشجيع محمد بيهم للشعر والأدب من خلال دعوته الشعراء إلى تشطير أبيات مختارة للشاعرين حافظ إبراهيم ومعروف الرصافي تحض على تعهد رياض العلوم وانتظام المدارس ونهضة الشبيبة والأساتذة، قاصداً تنبيه الأفكار والحضّ على العلم. وقد اشترك هو أيضاً في هذا الفن. وقد بلغ من تأثير لقبه «**الصارخ المكتوم**» أن ألفت مسرحية بعنوان «**الصارخ المعلوم**» مثلت سنة ١٩١٣م في مدرسة رأس بيروت العُلوي.

كان محمد بيهم من الرجال القلائل الذين قرنوا القول بالعمل والنظرية بالتطبيق والممارسة الشخصية. فباشر عمل المعروف بنفسه قبل أن يأمر به غيره. وآمن بأن فعل الخيرات هو من أعظم القربات وأفضل العبادات وأن الصدقة من أجل الأعمال وأحبّها ووردت في فضلها الآيات والأحاديث المشهورة والسنن المأثورة. ومنها حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وعّد منها الصدقة الجارية.

ورأى محمد بيهم الثمار الطيبة التي نشأت عن الأوقاف التي وقفها

من سبقه على المدارس والتعليم، فأحب أن يسير على نهج من سبقه من أهل الخير، فوقف وزوجته الحاجة سعدى عمر بيهم أملاكهما ليصرف ريعها في سبيل تعليم أولاد المسلمين من أي بلد كانوا العلوم الدينية أولاً ثم سائر العلوم التي يجوز تعليمها وتحصيلها شرعاً وهو ما تمت معالجته في الفصل السابع من هذا الكتاب.

وبعد،

لا بد من ذكر فكرتين خطرتا على بالي بعد دراستي سيرة محمد بيهم.

الأولى أنه كان على بيروت أن تنتظر حوالي مائة عام كي يتحقق على أيدي بعض المحسنين، ما كان دعا إليه محمد بيهم وجاهد من أجله لجهة إتاحة الفرصة لتعليم الأجيال وبناء المدارس وتعميرها بالعلم والطلاب.

والفكرة الثانية أن المنظومة التربوية الحديثة التي تنشىء الأبنية المدرسية على أحدث الطرز لا تولي تربية الطالب العناية الكافية. بما يذكرنا بحكاية الأمير والببغاء. زعموا أنه أهدي إلى أحد الأمراء ببغاء. وأقنعته حاشية الأمير بتعليمه لغة الممالك، لكشف أسرارهم. ففتح الأمير خزائنه ليصرفوا منها دون حساب لإقامة مدرسة تتولى هذا الأمر.

وعنّ للأمير بعد سنوات أن يتفقد حال ذلك التلميذ، وقصد المدرسة، فاستقبله مديرها وأخذ يصف للأمير الأسلوب المعماري الذي اتبع في بناء قفص الببغاء والعناصر التراثية التي استعملت فيه، ثم ذكر للأمير الجهاز الإداري والتعليمي الذي كلف بالسهر على راحة التلميذ النجيب من مدربين لصوته وأطباء للسهر على صحته ومحاسبين لقيد الواردات والنفقات ومدققين لضبط الحسابات وخبراء الحاسوب لبرمجة

كميات الطعام التي يستهلكها وتحديد المواعد الفضلى لطعامه ومنامه والبرامج المثلى لتدريبه وتعليمه.

ثم شرح المدير للأمير ما أحضر للببغاء من خبراء في الأصوات والألسن وما جهزوا له من الدفاتر والمحابر والمساطر ومخطوطات الأولين ومؤلفات المتأخرين والمعاصرين الأجانب منهم والوطنيين.

وعاد الأمير إلى قصره ليشرح لزواره ما شاهده وما سمعه.

فقاطعه أحد الأولاد سائلاً: والببغاء؟

فصاح الأمير: آه حقاً... لقد نسيت الببغاء!

عبد اللطيف فاخوري

محام في الإستئناف

الفهرس

المقدمة ٧

فصول الكتاب ١٤

الفصل الأول: المدارس والتعليم ومناهج التدريس في بيروت في القرن التاسع عشر ٢٣

١ ـ حال المدارس وطرق التعليم ٢٥

٢ ـ مناهج التعليم ٣٧

٣ ـ مدرسة الياس حبالين ٤٦

٤ ـ المدرسة المارونية: المعلم نقولا الحداد والمعلم طنوس الحر ٤٩

٥ ـ مدرسة الطائفة الإنجيلية والمدرسة الكلية السورية الإنجيلية ومدرسة المعلم بطرس البستاني ٥٠

٦ ـ مدارس لغات ومدرسة الطائفة الإسرائيلية ٥٢

٧ ـ مدارس تعليم البصراء ٥٣

٨ ـ المدارس الرشدية والمكتب السلطاني والمدرسة العسكرية والمدرسة السلطانية ٥٤

٩ ـ مواد التدريس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية . ٥٦

١٠ ـ جدول الدروس الرسمية العثمانية ٦٢

١١ ـ الكلية العثمانية ثم الإسلامية ٦٤
١٢ ـ مدرسة التوفيق ومدارس أخرى ٦٥
١٣ ـ درجات النجاح ٦٨
١٤ ـ أوضاع المدارس والتعليم سنتي ١٩١١ و١٩١٣م ٦٩
الفصل الثاني: آل بيهم. مناقب ومآثر ٧٧
الفصل الثالث: محمد عبد الله بيهم ٩٣
١ ـ مولده ونشأته ٩٥
٢ ـ زواجه ٩٨
٣ ـ أخلاقه وشمائله ٩٩
٤ ـ المناصب التي تولاها ١٠١
٥ ـ دوره الوطني والإصلاحي ١٠٦
٦ ـ وفاته ١١٥
الفصل الرابع: أساليب محمد عبد الله بيهم في تشجيع العلم ١١٧
١ ـ شعار تعلم يا فتى فالجهل عار ١١٩
٢ ـ تقديم ساعات ذهبية للطلاب المتفوقين ١٢٠
٣ ـ تشجيع تأليف وتقديم المسرحيات ١٢٢
٤ ـ نشر فقرات في الصحف لتأسيس المدارس والجمعيات ١٢٧
٥ ـ توزيع نشرات في الأسواق ١٣٠
٦ ـ نظم أناشيد شعبية وطبعها على أسطوانات ١٣١
٧ ـ نظم ونشر قصائد تحض على نشر العلوم ١٣٨
٨ ـ الدعوة إلى إعانة مدرسة الصنائع ١٥٠
٩ ـ التبرع للمؤسسات الخيرية وأعمال الإغاثة ١٥٢

الفصل الخامس: تشجيع محمد عبد الله بيهم للعلم في سورية ١٥٥
الفصل السادس: تشجيع محمد عبد الله بيهم للأدب والشعر ١٦٥
الفصل السابع: دور الأوقاف في إنشاء مدارس بيروت وتشجيع العلم فيها ١٧٧
١ ـ نظرة عامة ١٧٩
أ) إنشاء الجامعة الأميركية ١٧٩
ب) أوقاف ضمت لجمعية المقاصد ١٨١
ج) أوقاف المدارس السورية الإنكليزية ١٨١
د) وقف الكلية الشرعية الإسلامية ١٨٢
٢ ـ وثيقة وقف محمد عبد الله بيهم على التعليم ١٨٤
٣ ـ وثيقة وقف الحاجة سعدى عمر بيهم زوجة محمد عبد الله بيهم على التعليم ١٨٨
ـ فهرس الأعلام ١٩٥
ـ أهم المصادر والمراجع ٢٠٥

الفصل الأول:

المدارس والتعليم ومناهج التدريس في بيروت في القرن التاسع عشر

١ ـ المدارس وطرق التعليم.

٢ ـ مناهج التعليم.

٣ ـ مدرسة الياس حبالين.

٤ ـ المدرسة المارونية: المعلم نقولا الحداد والمعلم طنوس الحر.

٥ ـ مدرسة الطائفة الإنجيلية والمدرسة الكلية السورية الإنجيلية ومدرسة المعلم بطرس البستاني.

٦ ـ مدارس لغات ومدرسة الطائفة الإسرائيلية.

٧ ـ مدارس تعليم البصراء.

٨ ـ المدارس الرشدية والمكتب السلطاني والمدرسة العسكرية والمدرسة السلطانية.

٩ ـ مواد التدريس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.

١٠ ـ مواد الدروس الرسمية العثمانية.

١١ ـ الكلية العثمانية ثم الإسلامية.

١٢ ـ مدرسة التوفيق ومدارس أخرى.

١٣ ـ درجات النجاح.

١٤ ـ أوضاع المدارس والتعليم سنتي ١٩١١ و١٩١٣م.

الفصل الأول:

المدارس والتعليم ومناهج التدريس
في القرن التاسع عشر في بيروت

١ ـ حال المدارس وطرق التعليم:

لكي ندرك الباعث الذي دفع محمد عبد الله بيهم إلى إطلاق دعوته إلى العلم وإطلاقه شعار تعلّم يا فتى فالجهل عار واتخاذه لنفسه لقب الصارخ المكتوم أو الصائح المكلوم، ينبغي أن نلقي الضوء على ما كانت عليه حال المدارس والتعليم في بيروت في القرن التاسع عشر.

يذكر المؤرخون أنه لم يكن في بيروت في أوائل القرن التاسع عشر سوى بعض كتاتيب مخصصة للبنين. وكان الكتّاب عبارة عن حجرة صغيرة يزدحم فيها الأحداث من الضحى إلى العصر يجلسون على الحصر متربعين يكتبون فروضهم على ألواح حجرية سوداء، يقرأون جزءاً من القرآن الكريم أو يرتلونه بصوت واحد هازّين رؤوسهم وأجسامهم إلى الأمام وإلى الخلف ظناً أن هذه الحركة تساعد على الحفظ.

وكان درس العربية يتمثل فيما يتلوه الشيخ بصوت جهوري قائلاً: ألف فتحة با. ب ضمة بو. ب كسرة بي. ويردد الأطفال هذه الألفاظ ثم يتلقون بعض قواعد الحساب البسيط للحاجة إليها في مواقيت الصلاة والمعاملات.

وكانت الفلقة والطبشة وسيلتي العقاب والتأديب. الفلقة عبارة عن

خشبة مربوطة من طرفيها بحبل تربط على قدمي الطفل وتشد تمهيداً لضربه وكانت تعلق على حائط الكتّاب كي تكون تحت نظر الأطفال باستمرار فتبعث الخوف في نفوسهم.

أما الطبشة فهي عبارة عن لوح خشبي «**مسطرة**» بعرض ثلاثة أو أربعة سنتمترات وسماكة سنتمتر واحد يضرب بها الطفل على باطن كفيه. وهذا فضلاً عن فرك حلمة أذنِه. ولذلك قيل أن وليّ التلميذ كان يقول للشيخ عندما يدفع ولده إليه: **لك اللحمات ولنا العضمات.**

كانت بعض الكتاتيب عبارة عن غرفة في دارة الشيخ و البعض الآخر ملحقاً بالمسجد. وفي الحالتين كان الشيخ المعلم يستوفي راتبه من الوقف أو أجرة معلومة يقبضها من أولياء التلاميذ تدفع له صباح الخميس من كل أسبوع ولذلك سميت «**الخميسية**».

عرفت بعض الكتاتيب التي كانت تديرها إمرأة «**بالشيخة**» كما عرفت أيضاً «**بالمسيد**». وشاعَ في أمثالهم قولهم: راحت عالمسيد ما لقت أحلى من سعيد. والمسيد تصحيف مسجد مما يدل على إرتباط بين المدرسة والمسجد. وحكاية مثلهم أن إبن إحدى السيدات وإبن جاريتها كانا يتعلّمان في الكتّاب وأن السيدة حمّلت خادمتها طعاماً في «**سطيلة**» تصغير سطل وهي وعاء من النحاس وقالت لها أعطه لأجمل ولد في الكتّاب. ولم تجد الجارية أجمل من إبنها هي لا إبن سيدتها. وقد شاعت لفظة المسيد في بيروت في العائلات ذات الجذور المغربية.

ومن واقعات الكتاتيب قولهم: يقيس البيض بالباذنجان. وقد تمثل به مفتي بيروت الشيخ عبد اللطيف فتح الله عندما قدم لقصيدته التي أرّخ بها ثبات عكا أمام جيش نابوليون بونابرت سنة ١٧٩٨م[١]. وحكاية المثل أن شيخ الكتّاب إعتاد أن يشتري حاجات منزله وما يلزمه يومياً

---

(١) ديوان عبد اللطيف فتح الله ج١ ص١٣٧.

لعشائه من الخضار واللحم والفاكهة ويرسله إلى بيتهِ مع أحد أولاد الكتّاب. وكان الولد يجدها فرصة ليلهو ويلعب في الأزقة فيتمهل في سيره ويعود إلى المدرسة متأخراً متعللاً بشتى الأعذار كقولهِ بأن زوجة المعلم لم تكن في البيت وأنه إضطر لانتظارها عند الباب أو أنها كلفته بقضاء حاجة لها. وتضايق الشيخ من تكرار تأخر الولد فأحدث فتحة في باب بيته وطلب من الولد أن يلقي من الفتحة ما يكلفه بنقله دون انتظار صاحبة الدار.

أعطى الشيخ الولد كمية من الباذنجان لإيصالها فرماها من فتحة الباب وفي مرة أخرى كلفه إيصال كمية من البيض فرماها من الفتحة ذلك لأنه قاس البيض بالباذنجان.

يروي عبد القادر القباني في مذكراته أن كلّاً من الشيخ عبد الرحمن النحاس ـ نقيب أشراف بيروت ـ والشيخ حسن البنا ـ فتح كتّاباً لتعليم القرآن وحسن الخط وكان ذلك بداية إنشاء المدارس الإسلامية. وأنه قبل ذلك كان الحاج محمد المكوك في دكان بسوق العطارين يعلّم الكتابة والحساب ثم جاء بعده من مصر الشيخ محمد اليافي فأخذ يعلّم الخط والحساب أمام الجامع العمري.

يذكر أن الخط كان من الدروس الإلزامية الأولى في منظومة التعليم القديمة. عرفت ببيروت في القرن التاسع عشر من اشتهر بحسن الخط وجماله. منهم قاضي بيروت ومفتيها الشيخ أحمد الأغر الذي قال فيه المفتي الشيخ عبد اللطيف فتح الله سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م.

ومن خطه أنسى ابن مقلة   فعنها لديه الناس تضرب عن صفح[(١)]

---

(١) ديوان فتح الله ج١ ص٤٨١ ضرب المثل بخط ابن مقلة محمد بن علي بن الحسين ٩٤٠ ـ ٨٦٦م. قبض عليه الخليفة وقطع يده اليمنى. فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به.

ومنهم محمد زيدان (ت سنة ١٩٠٨م) تخرج على يديه معظم أبناء بيروت[١]. والشيخ عبد الغني البنداق والشيخ محمد عمر البربير.

وقد لحظت برامج التدريس كافة ساعات محددة لتعليم الخط بأنواعه[٢].

وكان قد تقرر سنة ١٨٦١م إنشاء مكتب رشدي في بيروت لتعليم العربية والتركية والفارسية والفرنسية وبعض العلوم كالجغرافية والهندسة والحساب. واتجهت الأفكار إلى بناء محل له بجانب برج الكشاف (ساحة الشهداء) يسع خمسماية تلميذ، ثم يوسع حسب الحاجة، ويقبل الأولاد مجاناً. ولكنه لم ينفذ[٣].

كما يشير الشيخ عبد القادر القباني إلى أنه كانت للشيخين محمد الحوت وعبد الله خالد اليد البيضاء في نشر العلم والتفقه في الدين فقد شوّقا الوجهاء والأغنياء إلى تعليم أبنائهم العلم للدين والدنيا. فكانوا يحضرون مجالس العلم للتفقه في الدين. ويذكر أن أحد أبناء العيال أخبر الشيخ عبد الله خالد بما يجده أبناء المسلمين في بعض المدارس، فاستصحب عيون العلماء ودخلوا على والي الأيالة ولفتوا نظره إلى هذا الأمر وكانت نتيجة المقابلة أن عيّن الشيوخ عبد الباسط فاخوري وعبد الرحمن الحوت وعمر الأنسي وعمر خالد لتعليم الصرف والنحو والفقهِ والتوحيد في جامع الأمير منذر المعروف بجامع النوفرة (لوجود نافورة في حديقته الشرقية) أو الجامع المعلّق لارتفاعه عن الأرض كان يصعد إليه بعدة درجات نحو بابه الشرقي الذي لا يزال موجوداً وذلك

---

(١) الإتحاد العثماني ٨٥ كانون الأول ١٩٠٨م.

(٢) عبد اللطيف فاخوري. تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص١٥٣ وما يليها.

(٣) حديقة الأخبار عدد ٢٩٢ كانون الأول ١٨٦١م.

قبل فتح بابه الغربي إثر شق شارع رياض الصلح ـ المصارف[١].

حدد عبد القادر قباني تلك الواقعة بين سنتي ١٨٦٤م و١٨٦٥م، في حين ذكرت صحيفة حديقة الأخبار أن مسلمي بيروت أقاموا ثلاثة مشايخ من العلماء تحت مناظرة الشيخ عبد الله خالد لإعطاء دروس في النحو والصرف وبقية الفنون، وأنه اجتمع لديهم وقتئذٍ مئة تلميذ[٢].

أوردت صحيفة حديقة الأخبار سنة ١٨٦٧م أوضاع المدارس في بيروت فذكرت مدارس عينطورا وغزير والأميركان والروم في سوق الغرب وبيروت ولاحظت «أنه ليس عند أهل الإسلام في مدينة بيروت مدرسة متقنة للتعليم... وكثيرون من أولادهم في بيروت يتعلمون في مكاتب النصارى... ومع أننا نرى بوضع أولادهم بمكاتب المسيحيين دليلاً على توطيد الإلفة الأهلية... لا نتغاضى عن أن نقول أن الأليق أن ينشؤوا مكاتب مخصوصة لأولادهم مثل بقية الطوائف. ولما كانت الحكومة السنية مجتهدة بتشويقهم على إيجاد مكتب منتظم اتجه تصورهم الآن لإنشاء مكتب رشدي بمساعي حضرة والي سورية»[٣]...

في حين أحصت جريدة الجوائب مدارس بيروت سنة ١٨٧٢م فجاءت على الشكل التالي:

مكاتب ابتدائية لتعليم الصبيان القراءة والكتابة العربية وفي بعضها الفرنسية:

---

(١) عبد القادر قباني الكشاف. ١٩٢٧ وشفيق طباره. بيروت والبيروتيون في عصر إبراهيم باشا المصري. الأديب ١٩٤٣م.
(٢) حديقة الأخبار. عدد ٢٩٦ تاريخ ٥/١٢/١٨٦٣م.
(٣) حديقة الأخبار. عدد ٤٤٠ كانون الثاني ١٨٦٧م.

مكاتب أهل الإسلام	١٦	عدد تلامذتها ١٠٣١
الروم الأرثوذكس	١٤	٨٤٧
الموارنة	٧	٧٣
الروم الكاثوليك	٢	٩٠
الأرمن	١	٣٠
مكاتب اليسوعية	٣	٢٦٠
اليهود	٤	١٠٥
الجمعية الأسكونية	١	١٣٨
مكاتب العميان	١	عدد تلامذتها ١٥٠

مكاتب إناث ابتدائية للخياطة والقراءة العربية:

الراهبات العازاريات	١	عدد تلامذتها ٧٥٠
الراهبات لليتامى	١	٢٢٨
الراهبات البروسيانية	١	١٣٠
الراهبات الناصرية الفرنسية	١	١٢٠
جمعية انكلو سريان (العميان)	٨	٦٦٨

مكاتب كبرى:

مكاتب صبيان للعلوم واللغات المتنوعة:

المدرسة البطريركية	١	عدد تلامذتها ٢٠٥
مدرسة البستاني	١	١٦٠
المدرسة الأميركانية أي: (الكلية السورية)	١	٦٦

مكاتب إناث للعلوم واللغات:

الراهبات الفرنساويات الناصرية	١	عدد تلامذتها ٦٠
مدرسة الراهبات البروسيانية	١	٦٨
مدرسة الانكلو سريان	١	٧٥
الأميركانية	١	٩٦[١]

ويبدو أن الأمر بقي على حاله القديم بدليل ما نشرته جريدة ثمرات الفنون سنة ١٨٨١م التي أشارت إلى أن المكاتب هي جمعية أولاد تحت يد مؤدب يعلّمهم القرآن ثم يعلّم في بعضها صنعة الخط والأرقام الهندية و حينئذ يتم الولد تعليمه بحسب إفادة المؤدب ورغبة أهل الولد ويعمل له أهله وليمة الختمة ويفرحون به. وصف الشيخ عبد القادر قباني حفلة الختم في مذكراته[٢].

---

(١) الجوائب عدد ٥٩٠ تاريخ ١٨٧٢/٦/١٩م.

(٢) الكشاف ١٩٢٧م. وصف الشيخ عبد القادر قباني في مذكراته حفلة ختم القرآن الكريم قال: «كان بعض أصحاب هذه الكتاتيب لا همّ لهم إلا أن يختم الطالب القرآن الكريم ليتناولوا **«المعلوم»** من الوالدين. وكان أغلبهم يصطلحون على أن الطالب متى أنهى سورة آل عمران فقد ختم القرآن فيعلمون أهله بذلك فيرسل هؤلاء الكعك ويرسل بعضهم مع الكعك **«النقل»** فتوزع على رفاق الطالب من أبناء كتّابه. وكانت العادة أن يجلس التلميذ أمام شيخه، فيومىء الشيخ إلى واحد من الطلاب أو إثنين أن يقفا خلف الطالب حتى إذا تلا سورة **«الحمد» ـ الفاتحة ـ** وأتبعها بسورة البقرة إلى أن يأتي على قوله تعالى: **«ختم الله على قلوبهم»** خطفا طربوشه وأسرعا عدواً إلى منزله ليبشرا أهله بأن إبنهم **«ختم»** فتعطى لهما البشارة ويعاد الطربوش وقد ملىء بالملبس والنقل. ثم يتناول الشيخ طعام العشاء في منزل والد الطالب وتعاد التلاوة على النحو المذكور...».

وإذا كان لوالد الطفل إلمام أو فكر دفع ولده إلى بعض المشايخ يعلّمه الصرف والنحو وبعض مسائل الفقه. ويكون المدار على ذكاء الولد ورغبته وعدم فساد أخلاقه في حال صغره، فإذا نجب ونجح وضعه والده في حانوته لأجل أن ينتفع به. وبتكرار العمل يحصل الولد على ما تنحصر معرفته في العمل الذي مارسه. وتفيد الصحيفة أن من الآباء من كان ينتظر ولده حتى إذا قدر على النطق بالكلام بعد التهجية تقول العامة أصبح يفك الحرف ـ كأنما هو فك للرصد، يأخذه أبوه من الكتاب مُدّعياً أنه صار يعرف القراءة فيضعه في حانوته أو في صنعته[١].

تعددت الشكاوى من بعض طرق التدريس ومن ممارسات بعض المعلمين. انتقد البعض تدريس بعض المدارس الأجنبية التي تعلّم طلبتها تاريخ انكلترا والولايات المتحدة باللغة الإنكليزية ضاربة صفحاً عن تاريخ بلادهم[٢]. كما أخذ آخرون على المعلمين إهمال ترتيب أوقات الطعام في المدارس وأن الأستاذ يدفع تلامذته إلى ابتياع ما يأتي به بائع الفاكهة وغيره لأن له نصيباً من الربح.

وإن بعض المعلمين أدى به الحرص والطمع إلى أن حظر على كل تلميذ إبتياع ما يلزمه من أدوات الكتابة والقراءة إلا من المدرسة[٣] ـ ما أشبه الليلة بالبارحة.

أما عن طريقة التعليم فلا بد قبل ذكر البرامج التعليمية في المدارس من الإشارة إلى ما كتبه سنة ١٩٠٧م الشيخ سليم أبو الإقبال اليعقوبي نزيل بيروت فقال بأن بعض معلمي المدارس والمساجد لا يسلك طريق التعليم الصحيح فهو يأتي للمتعلم الضعيف بأشياء تكاد أن تكون طلاسم

---

(١) ثمرات الفنون ٣٣٦ حزيران ١٨٨١م.
(٢) لسان الحال ١٣٦٣ تشرين الثاني ١٨٩١م.
(٣) ثمرات الفنون ١٣٣٨ و١٣٤٠ تموز ١٩٠١م.

سحر أو خطوط جفر يحار بها الكبار فضلاً عن الصغار.

ويذكر بأنه مرّ في بعض المدارس على رجل يعلم صغاراً شرح الكفراوي[١] وهو يقول في تعليمه: «اعلموا أن أوجه البسملة تسعة على رأي الشارح وقد أوصلها بعضهم إلى ما أناف على الألف وسنذكرها لكم بالتحقيق بعدما نبين معنى الباء الأصلية والزائدة وما قاله المحققون في إضافة اسم إلى لفظ الجلالة»..

ويضيف اليعقوبي بأنه مرّ على آخر يُقرىء السنوسية[٢]، لأطفال ما شَمُّوا رائحة التوحيد وهو يقول لهم يجب عليكم أولاً أن تعرفوا معنى الألف واللام في قوله الحمد للَّه، ومعنى الحمد والشكر والمدح اللغوي والإصطلاحي والنسب التي بين كل منها»... وقد سمع اليعقوبي بعض التلامذة يقول لبعض: أن نقل الحجارة في الظهيرة على الظهر أحب إليّ من هذا العذاب الأليم»[٣].

وحال الأولاد كما قال الشاعر:

إن الرواة بلا فهم لِمَا حفظوا ... مثلُ الجِمَال عليها يُحمل الوَدَعُ[٤]

---

(١) حسن بن علي الكفراوي الشافعي. فقيه نحوي. ولدَ في كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة الكبرى بمصر. درّس في القاهرة إلى أن توفي. له إعراب الأجرومية في النحو والدر المنظوم بحل المهمات في المختوم ـ الإعلام ٢ ص٢٠٥.

(٢) السنوسي (١٤٩٠ ـ ١٤٢٨م): محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني عالم تلمسان. له تصانيف عديدة منها شرح صحيح البخاري وتفسير سورة ص وما بعدها من السور. وعقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى وغيرها. الأعلام ج٧ ص١٥٤.

(٣) ثمرات الفنون ١٦٢٢ تموز ١٩٠٧م.

(٤) الوَدَعُ والوَدْعُ: نوعٌ من الخرز، واحدتُها وَدْعَة وَوَدَعة.

لا الـوَدْع ينفعه حمل الجمال له   ولا الجمال بحمل الـوَدْع تنتفع

أما عبد القادر المغربي(*) فقد حلل التعليم الإبتدائي ونتائجه سنة ١٩٠٩م فقال إنك إذا سألت التاجر والإسكاف والحداد والجزار عما إذا كان يعرف القراءة وما إذا كان أبوه قد علّمه فيجيب بأن أباه وضعه في الكتّاب فتعلم القراءة ثم لم يوفق إلى التعلم في المدارس الأخرى. ومع تمادي الأيام نسي ما كان تعلّمه. ويؤكد المغربي أن «الحق بأن التلميذ لم يتعلم القراءة ولو تعلمها لما نسيها وكل ما تعلّمه في الكتّاب تلاوة ألفاظ خاصة هي كلمات القرآن وقد يعتاد قراءتها في مصحف واحد فلا يعود يعرف قراءتها إذا عرضت عليه في مصحف آخر». وبإحصاء بسيط يقول المغربي إنه «إذا خرّج من الكتاتيب كل سنة مائة تلميذ انحاز اثنان منهم إلى طلاب العلوم الدينية واثنان إلى المحلات التجارية. واثنان إلى المدرسة الأميرية. وإثنان أولعا بقراءة الكتب الخرافية. وإثنان أُوتيا ذكاءً فطرياً، فتمكنوا من القراءة الحقيقية. هؤلاء العشرة يعدّون من القارئين الذين إذا أعطوا كتاباً أو مقالاً قرأوه وفهموه على تفاوت بينهم. أما إخوانهم التسعون... فإنهم يتفرقون تحت كل كوكب في مهنهم وصناعاتهم وتحصيل معايشهم، ثم لا يلبثون أن ينسوا التلاوة القرآنية التي كانوا تعلّموها، وتأخذ صور الحروف ونقوش كلمات القرآن تزول

(*) عبد القادر المغربي (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م) من علماء اللغة والأدب أصله من تونس من بيت «**درغوت**». ولد في اللاذقية ونشأ في طرابلس الشام. عرف بالمغربي. اتصل بجمال الدين الأفغاني وبمحمد عبده قصد مصر سنة ١٩٠٥م وانصرف إلى الصحافة. عاد سنة ١٩٠٨م إلى طرابلس وأصدر جريدة «**البرهان**». عند ابتداء الحرب استوطن دمشق. عين نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي. له عدة كتب منها البيِّنات في جزئين وعشرات اللسان ومحاضرات والإشتقاق والتعريب وغيرها (الإعلام ٤ ص٤٧).

من أذهانهم رويداً رويداً.

وقد نشرت المقالة المذكورة كاملة في كتاب المغربي: البينات في الدين والاجتماع والأدب والتاريخ[1].

يمكن معرفة المدارس الإسلامية في بيروت سنة ١٩٠٤م من الإشارة التي وردت عنها في معرض تبرع البارون ادمون دي روتشيلد أثناء زيارته لبيروت بمبلغ عشرين ألف فرنك وزعت على المدارس بما فيها جمعية المقاصد. وأوعز إلى بنك الأنكلو فلسطين في بيروت بأن يدفع إلى رؤساء المدارس ما يصيب مدارسهم بنسبة عدد الأولاد فيها لقاء إيصالات، وهم يوزعونها على الفقراء الموجودين عندهم وقد حددت التبرعات على الشكل التالي:

٣٠٠ فرنك	المدرسة العصرية
١٨٠	المدرسة السورية
٣٠٠	مدرسة دار العلوم
١٥٠	المدرسة الوطنية
٣٩٠	المدرسة العلمية
٨٤٠	مدرسة التوفيق
٢٧٠	مدرسة روضة العلوم
٢٢٨٠	مدرسة التعليم الإسلامي
١٢٠٠	مدرسة رأس بيروت العلوي

---

(١) ج١ ص١٣٧ بعنوان عقبة في التعليم الإبتدائي يجب أن تذلل. والاتحاد العثماني عدد ٣٧٠ كانون الأول ١٩٠٩م.

٢٥٨ فرنك	مدرسة زهرة العلوم
٢٤٠	زاوية المغربي
٩٠	مكتب البواب
٣٠٠	المدرسة الأهلية
١٨٠٠	مكتب الإناث بالمصيطبة
٦٠٠	الكلية العثمانية
٣٦٠	مكتب الإناث في الحرج
١٨٠٠	دار النجاح
٦٦٠	مدرسة الحرج
١٠٢٠	مدرسة الزاهر
٣٦٠	مدرسة المنارة
١٨٠٠	مدرسة رأس النبع
١٢٠٠	مدرسة المصيطبة
١٢٠٠	مدرسة ثمرة الإحسان
٦٠٠	مدرسة برهان الترقي
١٠٢٢	مدرسة العلوم الدينية
٣٠٠	مدرسة أحمد الشميطلي
٣٠٠	مدرسة جمعة

ولكن محمد عبد الجبار نشر بعد ذلك رسالة في الصحف تفيد بأن مدرسته (دار العلوم) رفضت ما خصت به من تبرعات روتشيلد[١].

---

(١) لسان الحال ٧٤٩١ آذار ١٩١٤م ولسان الحال ٧٥٠١ آذار ١٩١٤م.

٢ ـ مناهج التعليم:

كانت للشيخين محمد الحوت وعبد الله خالد مجالس للتدريس تخرّج منها غالب علماء بيروت. وكان من تلامذتهما الشيخ محمد عمر فاخوري والمفتي الشيخ عبد الباسط الفاخوري والشاعر عمر الأنسي والشاعر الشيخ أبي الحسن قاسم الكستي والشيخان عمر وخضر خالد والشيخ عبد الرحمن النحاس ومحمد محيي الدين البلعة ورشيد إبن الحاج أحمد قريطم والشيخ حسين عمر بيهم وغيرهم.

كانت الدروس تشمل التوحيد والفقه والتفسير والحديث والتاريخ والصرف والنحو والحساب. ويمكن أن نتعرف على موضوعات الدروس من المخطوطات التي تركها هؤلاء الطلاب. يشير المفتي الشيخ عبد الباسط الفاخوري في أوراقه إلى دروس ألقاها عليه شيخه ـ محمد الحوت ـ بعد العصر ـ فكان منها، تفسير حديث الغرانيق. ومنها جواب الأستاذ ـ الشيخ محمد الحوت ـ عن سؤال تلميذه حول ما جرى بين الصحابة وما أشارت إليه قصيدة «جوهرة التوحيد» لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشيباني ومطلعها:

سأحمد ربي طاعةً وتعبُّدا وأَنظِم نظماً في العقيدة أوحدا

وفيها يقول:

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي جرى بينهم كان إجتهاداً مجددا

وكان من الدروس التي أوردها المفتي عبد الباسط الفاخوري رسالة للشيخ محمد الحوت حول كيفية تحديد سمت القبلة.

ولما كان إتقان العربية باباً لفهم النصوص الشرعية والأحكام الفقهية وحسن تطبيقها وتوضيح دلالات الألفاظ على المعاني مما لا بد منه في فهم معاني كلام الله تعالى من الكتاب العزيز وفهم ما جاء به

الرسول صلى الله عليه وسلم بلغة العرب من ألفاظه، فكان الطلاب يدرسون شرح لامية العرب للشنفرَىٰ ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم فإني إلى قوم سواكم لأمْيَلُ

وشرح مقصورة ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي ومطلعها:

يا ظبية اشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وفي الإعراب والنحو كان الطلاب يدرسون فوائد في قواعد الإعراب لجمال الدين بن هشام ورسالة لمحمد الحدين الدمنهوري في الكلام على (كم) و(كأي) و(كذا) ورسالة لمصطفى البدري الدمياطي في حكم (ما) وشرح العوامل الجديدة للشيخ عبد الله خالد. وحاشية محمد بن محمد المعروف بالأمير على الأزهرية. وشرح الإستعارات للسمرقندي وغيرها[1]. ورسالة في حساب الكسر مع الصحيح للشيخ محمد الحوت. وشرح الرحبية في الفرائض لأبي عبد الله محمد الرحبي وشرحها لمحمد بن محمد سبط المارديني. وكتاب مسائل فقهية للشيخ عبد الله خالد (أصله في الظاهرية وفي مكتبتنا نسخة منه).

يقول الشيخ مصطفى الغلاييني إنه درس على أيادي الشيخ رجب جمال الدين والشيخ محيي الدين الخياط والشيخ حسن المدور والشيخ عبد الباسط الفاخوري والشيخ عبد الرحمن الحوت وأن ما استظهره من الشعر في المدرسة كان: لامية العجم للطغرائي[2] ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَل وحِليَةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ

---

(١) عبد اللطيف فاخوري. تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص١٥٧ و١٥٨.
(٢) الأعلام ٢ ص٢٤٦.

ولامية العرب للشنفرَىٰ، ولامية ابن الوردي ومطلعها:

إعتزل ذكرى الأغاني والغزل   وقل الفصل وجانب من هزل

ومقصورة ابن دريد ورائية بشر بن عوانة ولامية السموأل ومطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضُه   فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ[1]

كان من الشائع في تلك الحقبة تلقي العلم على أستاذ أو شيخ في بيته أو في المسجد أو في المعبد.

ففي سنة ١٨٥٨م فتحت رفقة كركور مدرسة للبنات في بيروت في بيت المعلم ميخائيل عرمان في زقاق البلاط طلعة الأميركان (القنطاري)

---

(١) ديوان الغلاييني. ص٣٧ حيفا. ١٩٢٥م.

(*) مصطفى محمد سليم الغلاييني: (١٨٨٦ ـ ١٩٤٤م) شاعر وكاتب وخطيب. مولده ووفاته في بيروت. تتلمذ في مصر للشيخ محمد عبده. أصدر في بيروت مجلة «**النبراس**» درّس العربية في المدرسة السلطانية. عين خطيباً للجيش الرابع العثماني في الحرب العالمية الأولى. عاد بعد الحرب إلى بيروت واعتقل سنة ١٩٢٢م بتهمة الإشتراك بمقتل أسعد بك خورشيد. مدير الداخلية. ثم أفرج عنه فرحل إلى شرق الأردن فعهد إليه الأمير عبد الله (**الملك**) بتعليم ابنيه. ثم عاد إلى بيروت وعين رئيساً للمجلس الإسلامي، وقاضياً شرعياً إلى أن توفي. له عدة مؤلفات منها نظرات في كتاب السفور والحجاب. والثريا المضية في الدروس العروضية. والدروس العربية. وله ديوان شعر جمعه ورتبه في حيفا وهو مجلو عن بلده ناء عن أهله وولده. ضمنه قصائد في السياسة الوطنية وأناشيد وطنية وفي الحماسة والفخر والأدب والحكمة والغزل والنسيب. وقد صدّر ديوانه برسم له وتحته بيتان هما:

قالوا تحب العرب؟ قلت أحبّهم   حباً يكلفني دمي وشبابي

مهما لقيت من الأذى في حبّهم   أصبر له والمجد ملء إهابي

الأعلام ج٧ ص٢٤٤ وديوان الغلاييني.

لتعليم القراءة العربية والجغرافية والحساب واللغة الإنكليزية والتطريز. وكان دوام المدرسة تسع ساعات ثمان للتعليم وساعة للراحة والأكل. أما برنامج الدروس فخصص قبل الظهر للقراءة والكتابة. وبعد الظهر للخياطة والتطريز. وكانت الأجرة تسعون غرشاً عن كل ثلاثة أشهر يضاف إليها ثلاثون غرشاً للغة الإنكليزية[1].

وفتح إبراهيم باحوط سنة ١٨٥٩م مدرسة قرب برج الكشاف لتعليم اللغة التركية مدة ثلاث ساعات مساءً وصباحاً والأجرة عشرون غرشاً شهرياً[2] وأعلن مسيو براكر سنة ١٨٦٤م أنه مستعد لإعطاء دروس لتعلم اللغات الإنكليزية والألمانية والإيطالية لقاء ليرة إنكليزية شهرياً[3].

ويضم هذا الكتاب صوراً لشهادات صادرة في العهد العثماني تبين مواد التدريس وهي مفصلة كما يلي:

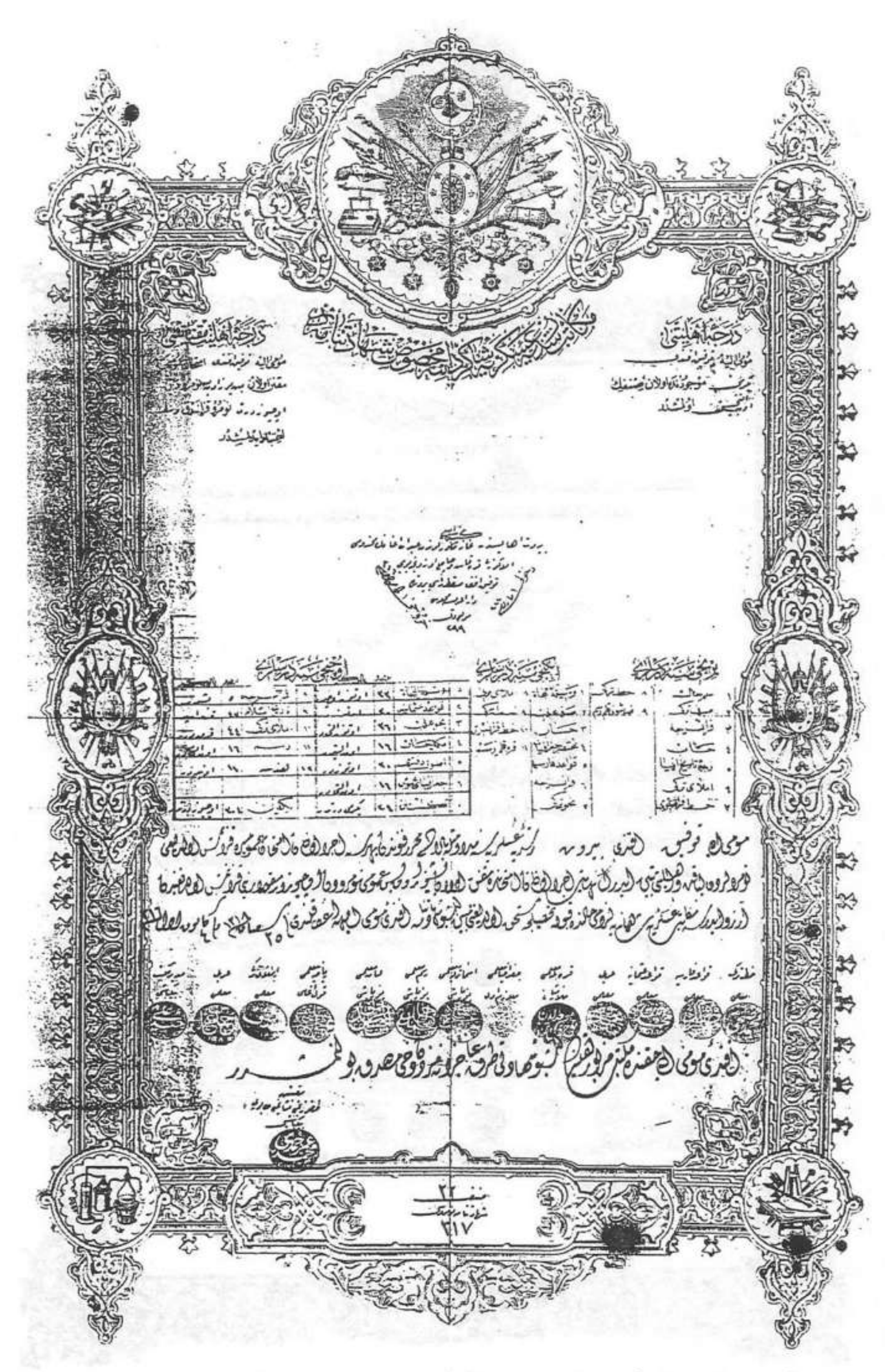
١ - **ثلاث شهادات بإسم توفيق إسكندراني: الأولى** من المدرسة الإبتدائية العسكرية (**المكتب الرشدي**) **والثانية** من مكتب الفنون الطبية **والثالثة** من المكتب الطبي العسكري. **(من مجموعة الدكتور وليد إسكندراني)**.

٢ - **شهادة الدروس الإبتدائية بإسم حسن ناظم بن كامل قريطم (من مجموعة السيد كامل قريطم)**.

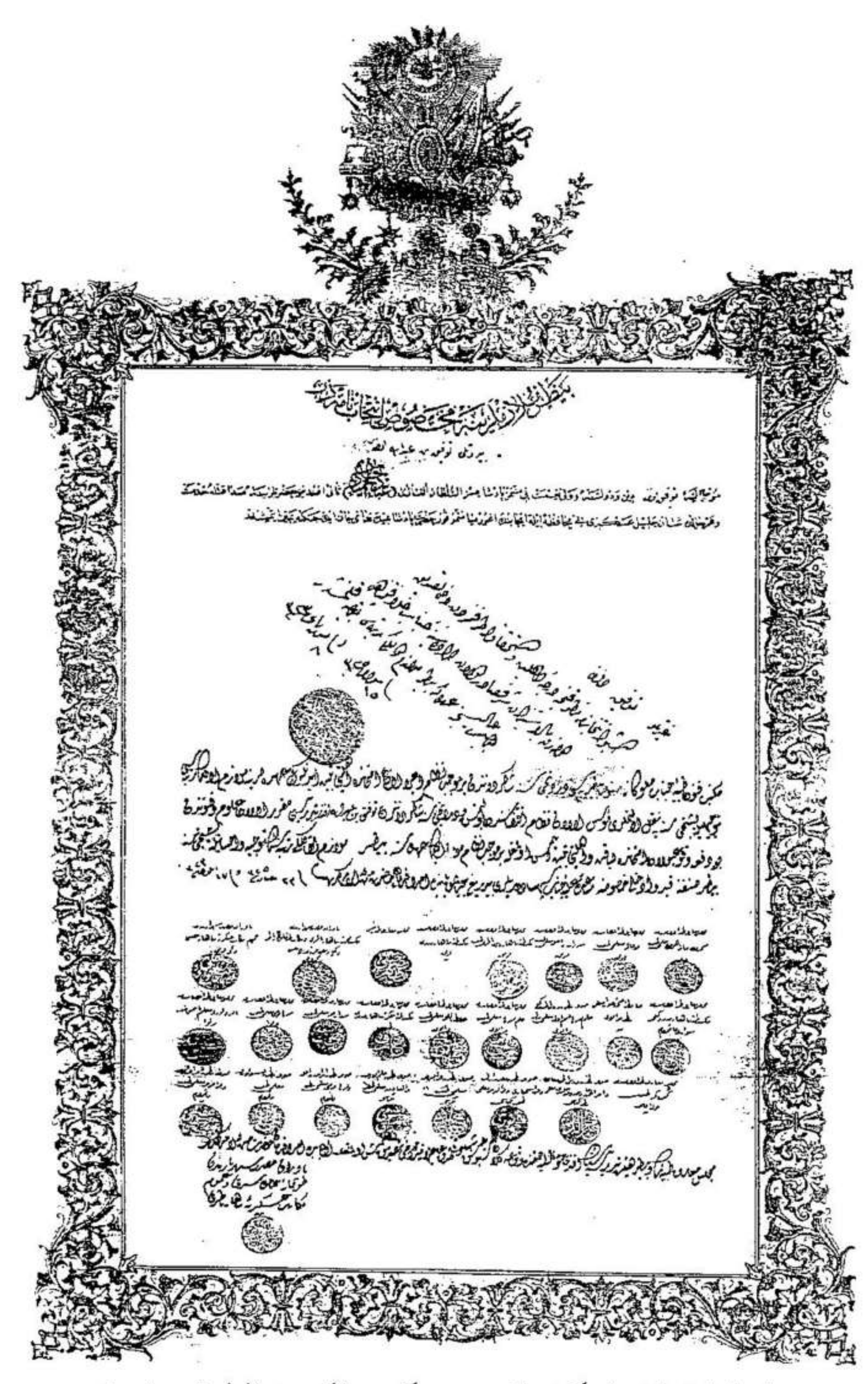
٣ - **شهادة الدروس الإبتدائية بإسم سليم عبد الرحيم فاخوري. (من مجموعة السيد علي يموت)**.

---

(١) حديقة الأخبار ٤٢ تاريخ ١٠/٢٣م ١٨٥٨م.
(٢) حديقة الأخبار ٢٦ تموز ١٨٥٨م.
(٣) حديقة الأخبار ٣١٦ تاريخ ٤ نيسان ١٨٦٤م.



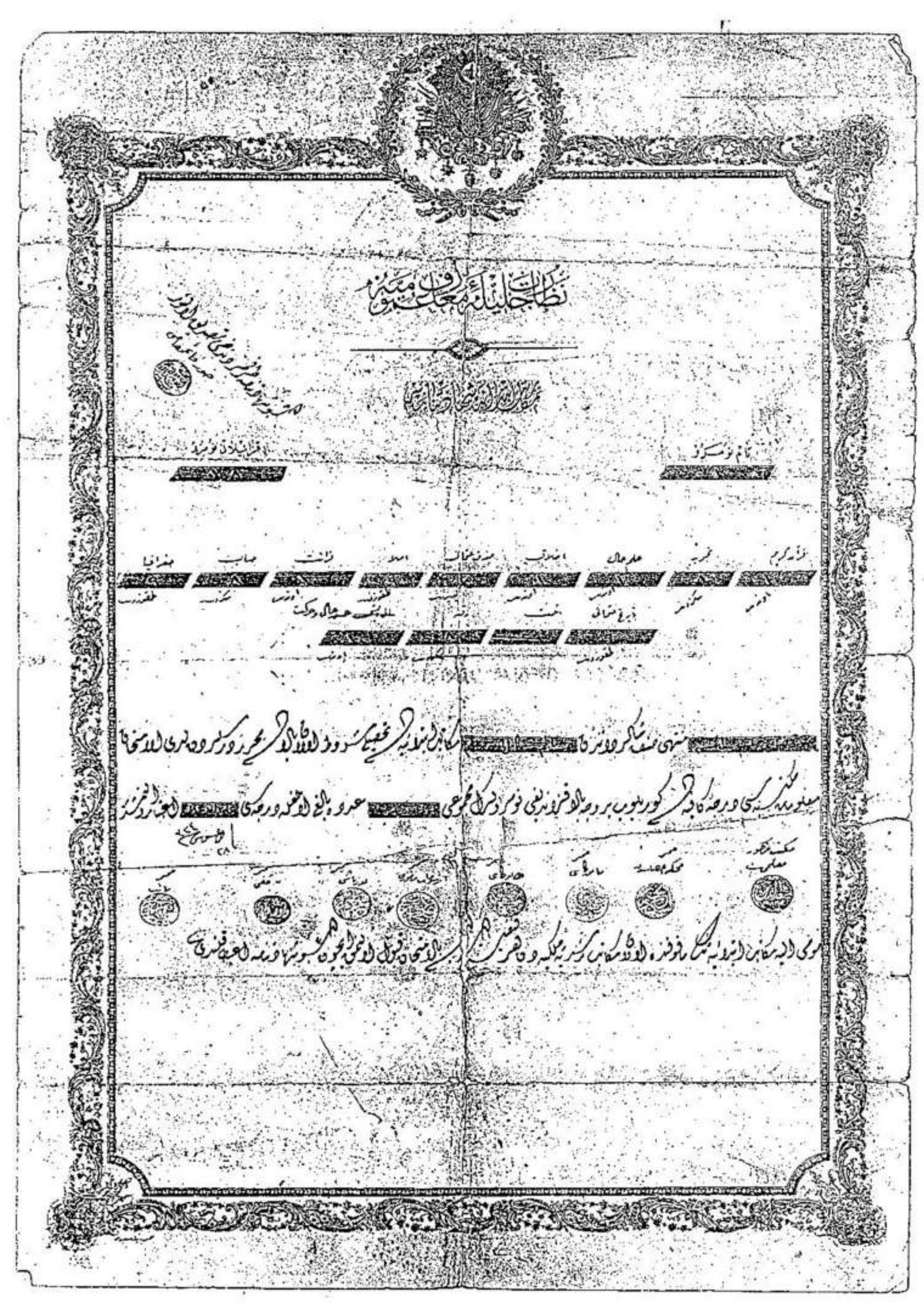
شهادة توفيق إسكندراني من المكتب الرشدي العسكري صادرة في ٢٥ شعبان ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.



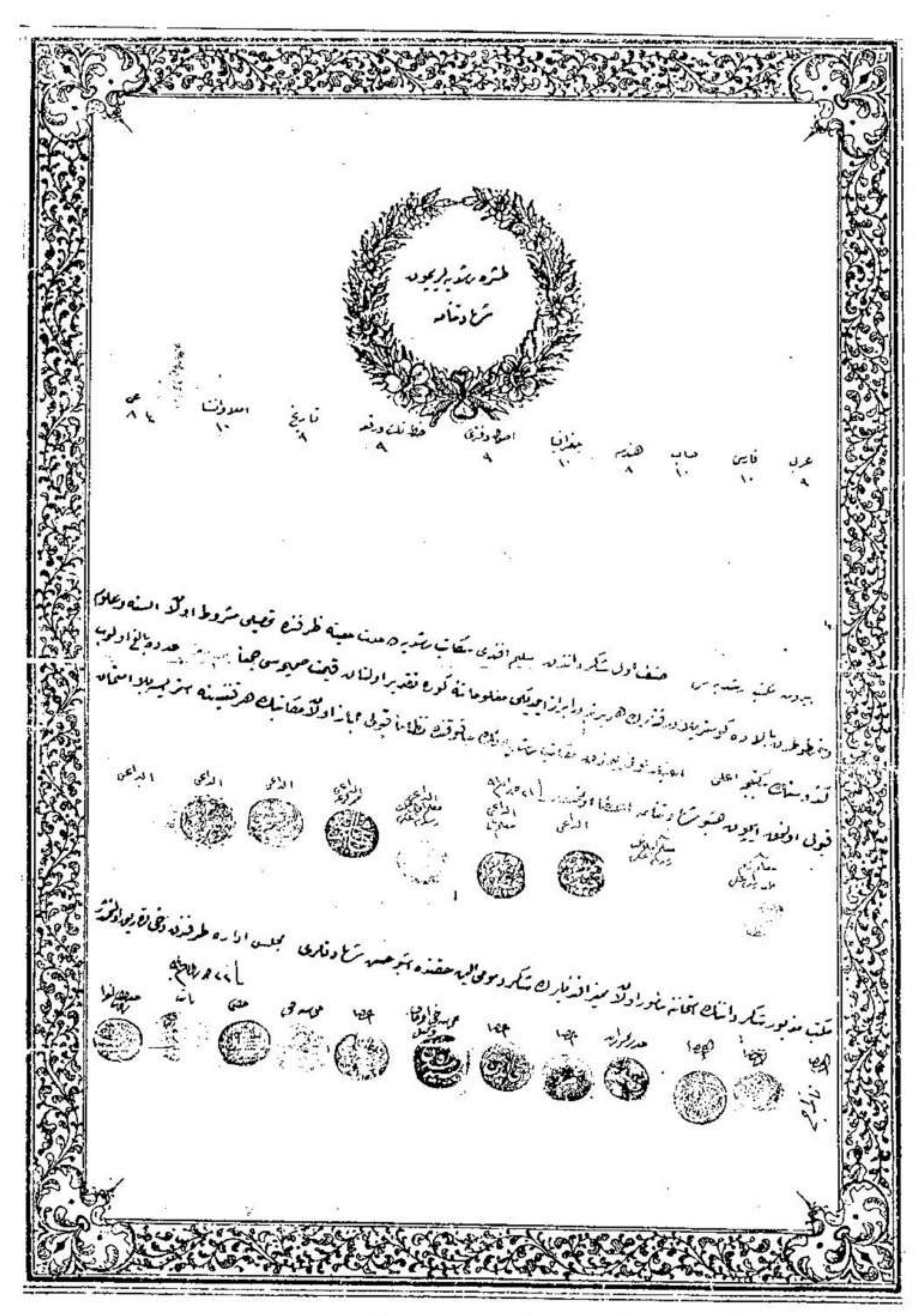
شهادة توفيق إسكندراني من مكتب الفنون الطبية صادرة في ٢٣ شعبان ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.



شهادة توفيق إسكندراني من المكتب الطبي العسكري صادرة بتاريخ ١٤ رجب ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.


نظارت جليلهٔ معارف عموميه

شهادة حسن ناظم بن كامل قريطم من مكتب رشدي صادرة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.



شهادة سليم عبد الرحيم فاخوري من مكتب رشدي صادرة سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م.

٣ ـ مدرسة الياس حبالين:

يذكر أن الياس حبالين (أستاذ محمد بيهم) نشر في تشرين الأول ١٨٥٩م إعلاناً يقول فيه:

«إنه إيجاباً لطلب بعض الأصدقاء ولايفاء قسم مما أنا مديون به لحضرة السادات أهالي هذه البلدة المحروسة اعتمدت على افتتاح مدرسة ليلية لأجل تعليم اللغة الفرنساوية. وبالحقيقة مباشرتي هذه ليست مبنية على نتيجتي الخصوصية فقط، بل السبب المهم الذي حركني على ذلك إنما هو نظري قسماً عظيماً من الشبان بني جنسي العربي مع أنهم حاصلون على أنعام وافرة وحائزون أوصافاً حميدة محرومين من معرفة هذه اللغة الضرورية ليس للقيام بواجبات التجارة، بل لترويض العقل لأن مؤلفاتها معتبرة بهذا المقدار، وهذه الفائدة لا شك أنها تتفضل عما سواها ثم مراراً عديدة قد سمع الشبان يتذمرون نادبين حظهم لعدم وجود المدارس في أيامهم. فأردت الآن أن أبلغهم مرغوبهم. ولهذا استدعيهم من باب الحب للدخول في هذه المدرسة موطداً أملي أنهم بواسطة ذكاء نيرتهم وحسن استعداد الجنس العربي خاصة لاقتباس اللغات يحصلون بمعونة الباري بأقرب وقت على الإفادة. وبما أنه لا بد من وضع شروط لقيام نظام المدرسة، فإني بتسطير البنود التابعة:

أولاً: يقبل جوق واحد فقط في المدرسة وذلك رغبة في إزدياد الإفادة.

ثانياً: لكي يتوفق وجود الطلبة بجوق واحد لا يمكن قبول سوى من لم تكن عنده مبادىء ويرغب أن يبتدىء ثانية.

ثالثاً: تعيين زمان العلم ساعتين كل ليلة أي من الساعة الواحدة ونصف إلى الساعة الثالثة ونصف.

رابعاً: يدفع سلفاً عن كل ثلاثة أشهر ماية غرش. ولربما يوجد من يفتكر أن ذلك كثير، فليذكر هذا الحبيب أن بهذه البلدة تندفع القيمة ذاتها لأجل نصف الوقت المعين في البند السابق.

خامساً: ابتداء المدرسة يكون في أول شهر تشرين الأول غربي»[١].

وكان الياس حبالين من النخبة التي بكرت بالتفكير في تحرير لبنان من الحكم التركي. كان بعد أن يختصر درس الفرنسية في صفوفه يعود إلى موضوع السياسة والتحرر من الحكم الفاسد. ولد سنة ١٨٣٩م في بلدة الذوق وتوفي سنة ١٨٨٩م في مصر. درّس في عدة مدارس منها الثلاثة القمار ثم عين ترجماناً في قنصلية فرنسا في بيروت حتى سنة ١٨٧٥م عندما غادر إلى القاهرة فعين رئيساً لقلم الترجمة بديوان رئاسة النظار بلقب بك.

نظم مسرحية مثلت في المدرسة الأرثوذكسية في بيروت حضرها قاسم أبو الحسن الكستي وقال فيها:

---

(١) حديقة الأخبار عدد ٩٢ تشرين الأول ١٨٥٩م.
أوضح جرجي باز أن مدرسة محمد بيهم التي تعلم بها على يد الياس حبالين هي مدرسة الروم الكبرى المسماة الثلاثة الأقمار. وأنها بدأت بجانب كاتدرائية مار جرجس ثم في الصيفي ثم انتقلت إلى الرميل. وإلى جانب الياس حبالين، علّم فيها الإيطالية أسعد سرسق واليونانية فيليبدس والعربية شاهين عطية وشاكر شقير والشريعة يوسف الأسير. وكان من تلامذتها: محيي الدين بيهم وعبد الرحيم بدران ومحمد العرداتي وأحمد دريان وعبد القادر الدنا وخليل الخوري أول صحافي لبناني. ومنهم جرجي دباس وجرجي زيدان واسكندر العازار وطانيوس عبده وجبران التويني وغيرهم (الكشاف ١٩٢٨م ص١٨١).

مدارس الروم في بيروت ميّزها علم اللغات على أمثالها شرفا
قد أعربت عن روايات بها حكم في معرض المزح لم نعهد لها سلفا
دلّت على فضل من تروي ملاعبها عنه فأثنت عليه السن اللطفا[1]

---

(١) الكستي: مرآة الغريبة ص٦٠ وزين زين. نشوء القومية العربية ص١٩٦ وجريدة المصباح تاريخ ٢٣/ ٢/ ١٢٨٨٥.

(*) **قاسم أبو الحسن الكستي**: (١٨٤٠ ـ ١٩٠٩م) مولده ووفاته في بيروت. تلقى دروسه في الكتاتيب. ثم ظهر نبوغه فتدرج على مشاهير عصره. عين كاتباً في المحكمة الشرعية في بيروت فرئيساً لكتابها وفي سجلاتها الكثير من الأحكام بخطه. له ديوانا شعر: مرآة الغريبة طبع سنة ١٨٦٣م. وترجمان الأفكار طبع سنة ١٨٨١م وفي الديوانين تأريخ لكثير من الحوادث الإجتماعية والعائلية والعمرانية في بيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وله منظومة في أسماء من شهد غزوة بدر (مخطوطة) ومسرحية بعنوان حكمة الأفكار مثلت سنة ١٨٧٥م. نشر في الصحف عدة مقالات. له اجتهادات لغوية منها أن صديقاً له أخبره أن بُركان بالفرنسية **ڤلقان** Volcan فتبعها في كتب اللغة ووجد أن ڤلقان (**بضم أوله**) جمع مفرده «**ڤلق**» وهو اسم من أسماء جهنم فتبين له أن اللفظ الفرنسي أصله عربي. كما برع في الألغاز النثرية التي أظهر فيها براعة كلية ودقة في معرفة دخائل اللغة ومفرداتها. (جريدة الصفاء عدد ١١ أيار ١٨٩٠م) من أبياته ما نظم سنة ١٨٩٠م بمناسبة الإحتفال باليوبيل الخمسيني لوجود العلامة كرنيليوس فإن ديك من بيروت وهو قوله:

إن فنديك بأرض الشام قد تمت له مدة الخمسين عاماً وهو بالعيش الرغيد
عيدها بين الورى يا سعد أرخ قد جرى بالهنا في عصر سلطان العلا عبد الحميد

واتبعه بقوله إن البيتين المذكورين هما من بحر الرمل إلا أنه ذيّله بتفعيله زائدة عن وزنه المعروف نظراً لزيادة قدر من نظم هذا التاريخ لأجله. ونظم سنة ١٩٠٤م بعد وصول الفونوغراف إلى بيروت بيتين مضمناً الشطر الأخير من قول المتنبي: =

٤ ـ المدرسة المارونية: المعلم نقولا الحداد والمعلم طنوس الحر:

جاء في إعلان نشر في تموز (يوليو) ١٨٧٨م أن موقع المدرسة المارونية هو في حي المقسم (قرب مبنى العازارية اليوم) بملك ميخائيل درويش. وذكر أن فحص (امتحان) تلامذة المدرسة المارونية اليومية تم سنة ١٨٧٦م في المرسح الوطني في بيروت خاصة أسعد رعد وأن التلامذة شخّصوا (مثّلوا) رواية أدبية من تأليف المعلم انطون شحيبر كما أن التلامذة مثلوا سنة ١٨٧٧م رواية بعنوان «المدرس المغفل» من تأليف انطون شحيبر أيضاً. وقد أثنى الحضور آنذاك على مدير المدرسة «المعلم نقولا الحداد».

نشير إلى أن طنوس الحر كان أستاذاً للغة الفرنسية في المدرسة المذكورة وقد سبق له أن ألف مسرحية بعنوان «ثمر العلوم ومرآة الجهل المذموم» مثلت سنة ١٨٦٤م في دار حبيب النقاش بحضور جمع غفير من المسلمين والمسيحيين كان من بينهم الشيخ الشاعر قاسم أبو الحسن الكستي الذي قرظها بقوله:

أبدى لنا الحُرُّ الأديب روايةً قرّت بحسن فصولها الأبصارُ
أَلِفَتْ خِيارُ الناس لطفَ بيانها والحُرُّ تألف فِعلَهُ الأحرارُ

يذكر أن ميخائيل درويش كان رئيساً لمدرسة السريان كما ورد عند ذكر الامتحان الانتصافي الذي جرى لتلامذة تلك المدرسة في مرسح

= يقولون هذا الفونوغراف الذي بدا يفوق على صوت الهزار إذا شدا
فقال الذي أملى عليه غناءه أنا الطائر المحكي والآخر الصدا
وللكستي عدة أبيات من بحر السلسلة وأبيات شطر فيها قصيدة للشاب الظريف. ومن آثاره أبيات نظمها سنة ١٨٩٧م أرّخ بها بناء سور مقبرة الباشورة نقشت على لوحة رخامية مثبتة على الباب الشمالي للمقبرة.

سورية. مما يرجح بأن المدرسة المارونية ومدرسة السريان كانتا في مبنى واحد يخص ميخائيل درويش[1].

٥ ـ مدرسة الطائفة الإنجيلية والمدرسة الكلية السورية الإنجيلية ومدرسة المعلم بطرس البستاني:

نشر في سنة ١٨٦٦م إعلان من مدرسة الطائفة الإنجيلية (البروسيانية) عن فتح مدرستها في أول تشرين الأول ١٨٦٧م لتعليم اللغات الفرنسية والإنكليزية والنمساوية والعربية والرومية والتواريخ العمومية والجغرافية والحساب وعلم الألحان والخط وأن تدريس اللغة الفرنسية إلزامي ودرس بقية اللغات اختياري. وأن المدرسة تقبل من يرغب الإقامة والأكل فيها. وتحدد أجرتهم بين المدير وأهالي الأولاد. أما الطلاب الخارجيين فالأجرة ماية وخمسون فرنكاً في السنة تدفع على ثلاثة أقساط[2].

وفي الرابع من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٦م نشرت الصحف إعلاناً بتوقيع القس دانيال بلس عن برامج المدرسة السورية الكلية الإنجيلية في بيروت وأجرة التعليم مفاده:

«إن هذه المدرسة قد استجدت لشبان أبناء العرب بدون نظر إلى الطوايف والأديان لكي تقدمهم إلى الدرجة القصوى من معرفة العلوم والفنون وموقعها في مكان هواه جيد للصحة وهي تحتوي على مكتبة

---

(١) ثمرات الفنون ٥٢ نيسان ١٨٧٦م و١٠١ آذار ١٨٧٧م وحديقة الأخبار ٣٣١ آب ١٨٦٤م ولسان الحال ٧٨ تموز ١٨٧٨م وديوان قاسم الكستي: مرآة الغريبة ص٦٠.

(٢) حديقة الأخبار ٤٢٣ أيلول ١٨٦٦م.

كتب وخزاين لأنواع المعادن والمواد الجيولوجية والنباتية ونظارة كبيرة لمراقبة الكواكب وآلات متنوعة تامة لدرس الكيميا وغير علوم طبيعية ثم أن مدة الدرس فيها هي أربع سنوات لأجل درس العلوم واللغات ويدرس فيها الجبر والهندسة والمثلثات الكروية ومسك الدفاتر والمساحة وسلك الأبحر وعلم الفلك والفلسفة الطبيعية والكيميا العقلية والعملية وإدخال الكيميا في الصنايع والجيولوجيا وعلم المعادن وعلم النباتات والفيزيولوجيا والتاريخ الحديث والقديم والصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض والمنطق والفلسفة العقلية والأدبية وشرايع الممالك المشتركين وشريعة التجارة وشريعة البحر واللغة الإنكليزية والفرنساوية واللاتينية والتركية وكذلك اللغة اليونانية وفن التصوير لمن يريد أن يتعلمهما ولا تهمل شيئاً من لوازم التهذيب للمسيحي الصحيح. باذلة الجهد في المناظرة التامة على صحة التلاميذ وسيرتهم نهاراً وليلاً وتعتني بهم عند المرض بأحسن الوسايط الطبية ولها الآن مدرسة استعدادية تحت إدارة المعلم بطرس البستاني حيث تدرس مبادي العلوم لكي تؤهل التلاميذ للدخول إلى هذه المدرسة ولا تقبل تلميذاً قبل أن يبلغ سن الأربع عشرة سنة والأجرة لأجل التعليم خمس ليرات مجيدية سنوياً مدفوعة سلفاً. والذي يلتزم أن يأكل خارج بيته فيمكنه ذلك بدفع إثنتي عشرة ليرة مجيدية زيادة على المرتب لأجل التعليم. أن المأمول في بحر هذه السنة أنه ستفتح محلات الطب وقد تعين من الأطباء الماهرين أساتيذ يعلمون فيها ومن يريد أن يعرف بأكثر تدقيق فعليه بمراجعة الإعلان الذي سيوجد في كنسلارية دولة انكلترا وكنسلارية دولة أميركا في القدس الشريف والشام وفي مطبعة الأميركان ومخزن الخواجا الياس فواز في بيروت وعند رئيس مدرسة عبيه وعند القسيس لانسن في مصر وعند القسيس ضدس في اللاذقية وعند القسيس دانيال بلس في بيروت من أعمال سورية.

القس دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية»[١].

٦ ـ مدارس لغات ومدرسة الطائفة الإسرائيلية:

في حزيران سنة ١٨٧٥م باشرت الطائفة الإسرائيلية بفتح مدرسة عمومية في بيروت لأبنائها لتعليم العبرانية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية والعربية والتركية واتقان الخط والحساب ومسك الدفاتر بالحساب المعروف بالدوبيا. وكان مركزها في محلة الأشرفية وكانت داخلية للإقامة والمنامة[٢] وذكر سنة ١٨٨٩م أن رئيس المدرسة ومؤسسها هو الحاخام زاكي كوهين.

وعلى عادة المدارس في تلك الحقبة، درجت المدرسة الإسرائيلية على تقديم مسرحية بعد انتهاء الامتحانات، فقدمت سنة ١٨٧٦م أول رواية باللغة العبرية كانت من تأليف الحاخام زكي كوهين، كما قدمت رواية باللغة العربية من تأليف ألياس وانطون شحيبر موضوعها «المريض الوهمي». وبعد فحص منتصف سنة ١٨٧٧م مثلت رواية بالعبرية ورواية بالعربية من ثلاثة فصول عنوانها «مدعي الشرف» تأليف الياس وانطون شحيبر، أما بعد فحص آخر سنة ١٨٧٧م فمثل التلامذة محاورة أدبية نظماً بقلم شاكر الرباط معلم العربية، ومحاورة بالفرنسية من تأليف انطون شحيبر.

وفي سنة ١٨٧٩م قدمت مسرحية «انتصار الفضيلة» بحضور والي سورية. وفي سنة ١٨٨١م قدمت مسرحية «المحبة الوالدية» بالفرنسية تأليف ميشال نورير. كما قدمت في السنة نفسها مسرحية «لقاء الحبيب

---

(١) حديقة الأخبار عدد ٤٣٥ كانون الأول ١٨٦٦م.

(٢) ثمرات الفنون ١٠ حزيران ١٨٧٥م.

بحادث غريب» بالعربية تأليف سليم زكي كوهين، ومسرحيتي «كشف الحجاب» و«عود السعادة» تأليف سليم زكي كوهين[١].

وكان هنري أوليفيه قد أعلن سنة ١٩٠٠ عن افتتاح مدرسة فرنسوية تدرس العربية والفرنسية والإنكليزية والمعاني والبيان والعلوم والتجارة ومسك الدفاتر وأنها تهيء الطلاب للدخول إلى المكتب الطبي والصيدلي الكاثوليكي الفرنسي. وأن مدرس اللغة العربية فيها الشيخ سليم الطيارة[٢].

وعرض بطرس كريستيان وكان مدرساً في المدرسة البطركية والأميركانية أنه يعلم من استدعاه لمحله اللغة والخط الفرنسي الجميل والتصوير[٣].

٧ ـ مدارس لتعليم البصراء:

وكانت أنشئت في بيروت سنة ١٨٧٨م بهمة أصحاب الخير والإحسان في بلاد الإنكليز مدرسة لتعليم الصنائع للذين فقدوا بصرهم بدون التفات إلى مواهبهم وديانتهم ليكون لهم سبيل لاكتساب لوازم الحياة وتجنب الشحاذة وكانت بنظارة يوحنا ورتبات وبركستك

---

(١) لسان الحال ١١٥٨ نيسان ١٨٨٩م.
وثمرات الفنون ١٠ حزيران ١٨٧٥م و٧٤ أيلول ١٨٧٦م و١٢٤ أيلول ١٨٧٧م و١٠١ آذار ١٨٧٧م ولسان الحال ١١٥٨ نيسان ١٨٨٩م.
وثمرات الفنون عدد ٢٢٣ سنة ١٨٧٩م و٤٢٥ سنة ١٨٨٣م والتقدم ٧٠ و١٠٧ سنة ١٨٨١م.

(٢) لسان الحال ٣٥٣١ أيلول ١٩٠٠م.

(٣) حديقة الأخبار. عدد ٤٤٦ شباط ١٨٦٧م.

وابكاريوس وهوردن وبإدارة غصن الحاوي[1].

وكان على بعض البصراء أن ينتظر سنة ١٩٠٤م عندما أقام عمر الداعوق المقرىءَ الشيخَ عرفات سالم لتعليم القرآن الكريم للناشئة منهم الذين كان أكثرهم قد اتخذ التسول أو إصلاح الكراسي مهنة لهم. ولم تمض سنة وأربعة أشهر حتى أتقن أربعة منهم حفظ الكتاب العزيز و تلقي أحكامه. وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر١٩٠٥م) احتفل في جامع المجيدية بتوزيع الجوائز التي أعدها عمر الداعوق لهم[2].

٨ ـ المدارس الرشدية والمكتب السلطاني والمدرسة العسكرية والمدرسة السلطانية:

في ٩ جمادى الثانية ١٢٩٢هـ/ حزيران ١٨٧٥م جرى إمتحان تلامذة المدرسة الرشدية السنوي بحضور متصرف بيروت وناظر الرسومات والقاضي الشرعي ومفتي المدينة ورئيس البلدية ونقيب الأشراف وكانت المدرسة بإدارة المعلم الأول عبد القادر قباني والمعلم الثاني الشيخ إبراهيم البربير.

وكانت مواد الإمتحان للصنف الثاني: أمثلة مختلفة، بناء، تعليم فارسي. وظائف أطفال، علوم دينية. قراءة تركية. خط ثلث. وكانت المواد للصنف الأول: مقصود. عوامل. قواعد فارسي. مبادىء جغرافية. حساب. إنشاء تركي. خط ثلث. خط رقعة[3].

أما المدرسة السلطانية فقد أسستها شعبة المعارف الأهلية سنة

---

(١) لسان الحال ١١٣ كانون الأول ١٨٧٨م.
(٢) ثمرات الفنون عدد ١٥٣٩ تشرين الثاني ١٩٠٥م.
(٣) ثمرات الفنون ١٢ و١٣ حزيران وتموز ١٨٧٥م.

١٨٨٣م، وهي التي تحولت سنة ١٩٢٦م إلى كلية المقاصد للبنات في محلة البسطة التحتا. تولى إدارتها عند افتتاحها الشيخ حسين الجسر الطرابلسي وتولى نظارتها الشيخ أحمد عباس الأزهري. وتألفت هيئة التعليم من ثلاثة مدرسين للعربية هم الشيخ إبراهيم الأحدب وعبد القادر المسقاوي ومصطفى مطري ومن مدرسين اثنين للتركية ومن معلمين للخط هما رشدي أفندي للخط الرقعي وحسن أفندي البنا للثلث والنسخي. فيما تولى يوسف شهاب تدريس اللغة الفرنسية ونعوم شقير الرياضيات والإنكليزية ومحمد أسكندراني الحساب. وكان طبيب المدرسة الدكتور أديب قدورة. وقد قسمت الدروس فيها على ست سنوات ثلاث إعدادية وثلاث عالية[(١)].

وفي أيلول (سبتمر) ١٨٧٧م صدرت إرادة سنية بتحويل المكتب السلطاني الذي أنشيء في بيروت إلى مكتب رشدية عسكرية يقبل الطلبة مجاناً وكان المكتب السلطاني قد بدء بإنشائه أيام ولاية راشد باشا والي سورية ثم انتقل قبل إتمام البناء إلى المبنى الذي أقيم في محلة عين الباشورة وهو المبنى الذي لا يزال قائماً وأصبح مقراً لمدرسة حوض الولاية. والحوض هو أحد الأحواض التي أقامتها مصلحة مياه نهر الكلب وكان ملاصقاً لمبنى المدرسة والولاية نسبة لسكن والي سورية حمدي باشا في المبنى المقابل لمبنى المدرسة، الذي كان بمِلْك آل العريس. ويسمى محل سكن الوالي دار الولاية.

افتتحت المدرسة الرشدية العسكرية في ١٣ شوال ١٢٩٤هـ/ تشرين الأول اكتوبر ١٨٧٧م باحتفال ضخم بدأه بعض الحفظة بتلاوة أوائل سورة الفتح الكريمة. وكانت الدروس فيها موزعة على ثلاث سنوات.

---

(١) مراجعة برنامج التدريس في أسد رستم. لبنان في عهد المتصرفية ص٢٦٥.

وتقسم السنة الأولى إلى قسمين يحتوي القسم الأول على: صرف عربي ـ قواعد فارسية ـ علم حال. إملاء تركي. حسن خط تركي. رسم بقلم الرصاص. ويحتوي القسم الثاني: الأسماء التركية. الحكايات المنتخبة. صرف تركي. حسن خط تركي. إملاء تركي.

أما دروس السنة الثانية فكانت: نحو عربي. حساب. جغرافية فارسي. إملاء تركي. لغة فرنسية. حسن خط تركي. رسم بالقلم الأسود. وكانت دروس السنة الثالثة: منطق مع تطبيق القواعد العربية. حساب الهندسة الخطية. الجغرافية العمومية. المواليد الثلاثة. القواعد العثمانية. اللغة الفرنسية. إملاء تركي. حسن الخط الفرنسي. رسم[١].

٩ ـ مواد التدريس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية:

في غرة شعبان سنة ١٢٩٥هـ/ ٣١ تموز ١٨٧٨م اجتمع في بيروت في دار عبد القادر القباني في محلة الباشورة ـ قبر الوالي ـ السادة أحمد دريان، بديع اليافي، بشير البربير، حسن بيهم، حسن الطرابلسي، حسن محرم، خضر الحص، راغب عز الدين، سعيد الجندي، سعيد طرباه، طه النصولي، عبد الرحمن النعماني، عبد القادر سنو، عبد الله غزاوي، عبد اللطيف حماده، محمد دية، محمد الفاخوري (ابن المفتي الشيخ عبد الباسط) محمد اللبابيدي ـ محمد المغربل، محمود خرما، محمود رمضان، مصباح محرم، مصطفى شبارو وهاشم الجمال. واعلنوا تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت وانتخبوا عبد القادر قباني رئيساً لها.

---

(١) ثمرات الفنون ١٢٥ أيلول ١٨٧٧م و١٣٠ تشرين الأول ١٨٧٧م و١٨٥ أيلول ١٨٧٨م.

وكانت أول مدرسة أسستها الجمعية مدرسة للبنات في محلة الباشورة سنة ١٨٧٨م ثم مدرسة ثانية للبنات في سوق المنجدين باطن المدينة القديمة في سنة ١٨٧٩م. تلتها مدرستان إبتدائيتان للذكور في سوق البازركان وفي محلة الباشورة.

وكانت مواد التعليم في مدرستي الذكور هي: القراءة البسيطة والقرآن الشريف والعقائد والتوحيد والكتابة والحساب والصرف والنحو وتهذيب الأخلاق والآداب. وفي مدرستي الإناث هي: القراءة البسيطة والقرآن الشريف والقصائد والتوحيد وتهذيب الأخلاق والآداب والكتابة والحساب ومادة الخياطة[(١)].

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت اقترحت ـ ويبدو أن سبب اقتراحها هذا عائد إلى غياب كتاب يدرس به ـ على الشاعر قاسم أبي الحسن الكستي نظم أرجوزة كما قال: «لأجل تعليمها لبنات المدارس التي أسستها، وتكون لهن سلماً لمكارم الأخلاق المطلوبة منهن في معاشرة الأهل والأزواج ويكتسبن آداب المعيشة وسياسة المنزل المختصة بهن وتهذيب النفس حتى يكنّ في حياة طيبة وتسعد بهن أزواجهن وذكر بها ما يجب عليهن لذوي القرابة والأزواج».

والأرجوزة طويلة ننشرها بكاملها للفائدة في معرفة العادات والتقاليد والبدع التي كانت سائدة في المجتمع البيروتي:

حمداً لمن قد خلق الجمادا والحيوان مثلما أرادا
وجعل الثاني أنثى وذكر وخصّ بالعقول أنواع البشر

---

(١) الفجر الصادر أعمال السنة الأولى. ص٣١ وعصام شبارو. جمعية المقاصد الخيرية ص٣٧.

وأفضل الصلاة والسلام | على ختام الرسل الكرام
وآله وصحبه الأخيار | ما غرّدت سواجع الأطيار
وبعد فالداعي لما أنظمه | مجرد النصح لمن يلزمه
بحِكَمٍ صحيحة مرضية | قدَّمتها بصفة الهديَّةْ
مني لربات الخدور في الوطن | ولي من اللَّه بها الأجر الحسن
فقلت والقول المفيد يقبله | كل امْرِءٍ يفهمه ويعقله
أن الذي يلزمهنّ أوّ لا | أداء حق اللَّه جلّ وعلا
ثم حقوق الوالدين مطلقا | وما بهنّ أدباً تعلّقا
كحُبّ بعضهن نفعَ البعض | وتَرْكَ ما يُفضي لوقع البغض
وأن يكنّ لهما أعوانا | فيكتسبن منهما الرضوانا
ولا يقال لهما من الضجر | أفّ إذا ما بلغا سنّ الكبر
ويبتعدن عن جميع العار | وصحبة الأنذال والأشرار
وأن يدمن طاهرات الذيل | من دنس يجلب كل ويل
وأن يقرن في بيوتهن | إلا بداع لخروجهنّ
فالبيت والأنثى كماءٍ وسمك | وهو إذا فارقه يوماً هلك
وأن يحافظن على غضّ النظر | لأجنبي خيفة من الضرر
ويشتغلن بالعلوم والتقى | حتى يصلن لرفيع المرتقى
وبالصناعات التي تليق | بهن فهي للغنى طريق
وأن يكنّ في غنى عنها تكن | لهن زينة وعن لهو تصن
وأن يمرّضن العليل المحرما | حتى يكون عندهن مكرما
ولا يسافرن بغير بعل | أو محرم ذي عفة وعقل
ويعتبرن الزوج فهو الأولى | بوافر التعظيم بعد المولى
وأن يدارين له القريبا | ولا يحقرن له مشيبا

ويجتنبن جحد ما تكرّما   به ويصغين إذا تكلما
ولا يخالفن له من أمر   ويصطبرن معه في العسر
وأن يُلازمنَّ الحياء الأكملا   والعفة التي لهنّ كالحلا
فأحسن الأوصاف للنساء   زيادة العفة والحياء
ومن تطيع زوجها وتعدل   تحل في دار الرضا وتنزل
وفي مقر السخط تلقى منزله   من تنكر العشير أو تسيء له
وكل من تبدي لغير محرم   زينتها تدخل في المحرّم
لا سيما من ضربت برجلها   ليسمع الناس رنين حجلها
ومن يكون الصدق فيها ديدنا   تعيش في الدارين عيشاً حسنا
فالصدق والوفاء والأمانة   من جملة المطلوب في الديانة
ومن تراها سهلة الأخلاق   مع قومها تعيش بالوفاق
والمرأة البذيّة العنيده   توقع في المصائب الشديده
ومن عيون العالمين تسقط   ولو تكون ذهباً لا تلقط
ومن تخون زوجها وتسرق   فإنها ترذل أو تطلّق
ويعتريها العار ما بين النسا   لولا يكون عارها بمنتسى
ثم ترى في الغم والندامه   والبغض والشنار والملامه
وكل أنثى فعلها جميل   به لطيب أصلها دليل
وعكسها بعكسه ولا نرى   أصيلة منها القبيح قد جرى
فالأصل والدين إذا كانا بها   فهي التي حازت كمالاً وبها
ومن تضرّ ولها وجه حسن   مذمومة تشبه خضراء الدمن
وإن أطاعت مرأة هواها   توقعها عقباه في شقاها
ومن تسوس دارها وأهلها   كان حميد الذكر منسوباً لها
ومن تمام الحرص أن تكونا   وديعة وعرضها مصونا

وعندها مودة ورحمه	لزوجها وشكر كل نعمه
وهي عليه لا تكون قاسيه	ولا لفضله عليها ناسيه
ولحقوقه تكون حافظه	ولرضاه دائماً ملاحظه
وأن أعدت نفسها له أمه	تملكه طوعاً بتلك المكرمه
فكل إنسان أمير زوجته	في حال فقره وحال ثروته
حيث له شرعاً عليها درجه	في آية من الكتاب مدرجه
وإن جرت بينهما خصومه	فلتك عن سواهما مكتومه
فربما يتسع الخرق إذا	فشت ويزداد الخصام والأذى
ولو رأت منه عيوباً تحتمل	تسترها والحب قد ينفي الدغل
وتلزم الصبر إذا خطب الم	فالصبر في المكروه من حسن الشيم
ومن تكون عاقراً لا تلد	فشغلها مع بعلها التودد
ورقة الطبع ولين الجانب	والعمل النافع في العواقب
وإن من كانت ولوداً عنده	ملزومة بأن تصون عهده
ثم تداري نفسها بالحمل	وتبذل الجهد لحفظ الطفل
ولا تربيه بلا اعتناء	كيلا يكون من ذوي الشقاء
فينبغي تربية الأولاد	بحكمة من زمن الميلاد
بأن يكون نومهم مرتبا	مقتصدين مأكلا ومشربا
ولبسهم بحسب الفصول	مناسباً لهم على الأصول
ولازم لهم إزالة الدرن	عن كل ثوب ومكان وبدن
إذ قيل في نظافة الأبدان	والثوب والمكان عمر ثان
وأن يعوّدوا على الكمال	حتى ينالوا أحسن الخصال
وليس يحكى بحضور الولد	سر فيفشيه ولا قول ردي
ولا يريه أحد تخويفا	كيلا يكون عقله خفيفا

كالغول والجن وشبه الأفعى | وما يهول نظراً وسمعا
لكنما يحكى له في صغره | كل الذي يفيده في كبره
فالمرء في الدنيا على ما اعتادا | يسري صلاحاً كان أو فسادا
وأعقل النساء من لا تَرْكَنُ | لساحرٍ ولا إليه تُذعنُ
ولا لِمُدّعٍ بعلم الغيبِ | ولا منجِّمٍ ولا ذي رَيْبِ
ولا لمن يزعم أنه ولي | وهو من العلوم والتقوى خلي
ولم تُصدِّقْ نفع ما لا ينفعُ | مثل سراجٍ في الطريق يوضع
وغسل ثوب في نهار الجمعه | فإن هذا من قبيح البدعه
ومثله في الليل حرق المكنسه | خوفاً من الشدائد المنجسه
كذاك صبّ القهوة على الردا | تفاؤلاً بجلب خير أو ردى
فكل هذه خرافاتٌ تُرى | ذوات تأثير ولن تؤثرا
وإنما المؤثر الوحيدُ | من هو فعّال لما يريدُ
ويلزم الزوج حقوق زوجته | ما لم تكن خارجة عن عصمته
منها قيامه بشأنها وأن | يسكن معها في محل مؤتمن
وأن يصون ذكرها عن غيره | وأن يقرّ عينها بخيره
وأن يكون دارئاً عنها التهم | ولا يهينها بمهنة الخدم
ولا يكون باطشاً في غضبه | بها إذا ما قصرّت عن طلبه
بل دائماً يأخذها بالحلم | كيلا يكون واقعاً في الظلم
وأن يكون مكرماً لأجلها | بحسب الحال جميع أهلها
ثم يعينها على المصيبه | لا سيما إن وجدت غريبهْ
وليعتبرها أنها أمانه | من ربه واجبة الصيانه
وذنبها إن كان مما يغتفر | يغض عن عقابها به النظر
وإنما يوعدها بالنقمه | إن رجعت له بدون رحمه

وأن يلين معها كلامه إن لم تكن تستوجب الملامه
ولا يضرها بظن فاسد ولا بقول عاذل وحاسد
إلا إذا تحقق الفسادا فليولها التسريح والإبعادا
وكل من يطمع في مال امرأه من غير طيب نفسها لن يهنأه
كفى بهذا واعظاً لمن له عقل به لا يعتريه وله
وقد تركت خشية الإسهاب ما ليس يخفى عن ذوي الألباب
فالاختصار واجب في كل ما يراد منه حفظه ليعلما
وأنني جئت بقدر الحال نصائح النساء والرجال
وأسأل اللّه تعالى النفعا بها لمن ألقى إليها السمعا
وأرتجي منه بها مكارمَهْ وأن يجود لي بحسن الخاتمه[1]

١٠ ـ جدول الدروس الرسمية العثمانية:

يلفت النظر أن نظارة المعارف في عاصمة السلطنة رتبت سنة ١٨٩٢م جدول الدروس للمدارس الإسلامية في الولايات للسنوات الأربع لجهة الموضوعات ولجهة عدد الدروس أسبوعياً فوضعت في السنة الأولى ألف باء عثماني (١٢ درساً) وأجزاء شريفة (١٢) وحساب ذهني (٦) وفي السنة الثانية: القرآن الكريم (٦) وعلم حال (١) وحساب ذهني (٢) وقراءة (٣) وخط (٢).

وفي السنة الثالثة: القرآن الكريم مع التجويد (٥) وعلم حال (٣) وحساب (٣) وقراءة (٣) وخط وإملاء (٢) وفي السنة الرابعة: القرآن الكريم مع التجويد (٥) وعلم حال (٥) وحساب (٣) وقراءة (٣) وخط وإملاء (٢).

---

(١) الكستي. ديوان ترجمان الأفكار ص١٣٥.

كما حددت النظارة اسماء الكتب المقبولة للتدريس وأثمانها فكانت: ألف باء لوهبي أفندي (١٠ بارات) الأجزاء الشريفة (١٠) الحساب الذهني لأحمد راسم (١٠) تلخيص الملخص في علم الحال لمصطفى بك (١٠) رسالة في الأخلاق لرفعت باشا (١٠) كتاب القراءة الأول جامع الأسماء التركية (٢٠) قاعدة لخط الرقعة للخطاط ضيا الدين (٥) مختصر في الحساب لعلي نظمي بك (١٠) زبدة التاريخ العثماني لحقي بك (٢٠) مختصر في الجغرافيا لسري بك (٢٠).

كما حددت النظارة تعليمات بكيفية التدريس وكان من ضمنها:

ـ إذا لم يدرس كتاب ألف باء العثماني إلى آخره فلا يجوز أن يبدأ بدرس آخر. يبدأ من جزء (عمّ) ثم ينتقل بالتدريج إلى سائر الأجزاء.

ـ بعد أن يتم تدريس كتب ألف باء والأجزاء الشريفة يبدأ في تدريس الحساب الذهني.

ـ من يقدم إمتحاناً حسناً آخر السنة ينقل إلى الدرجة الثانية فيعلم فروض الصلاة.

ـ في تعليم الخط يعود على تسويد الخطوط البيضاء الواردة تحت الخطوط المطبوعة ويمرن على الكتابة.

ـ من يقدم إمتحاناً حسناً في السنة الثانية ينقل إلى الثالثة. إلخ[١].

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر تكاثرت المدارس الإبتدائية فأسس المعلمان عيسى قاسم كتوعة ومحمود فرشوخ سنة ١٨٩٥م المدرسة الوطنية في دار محمد دية في طريق المحافر تجاه الباب الغربي لكلية

---

(١) ثمرات الفنون عدد ٨٨٩ حزيران ١٨٩٢م.

المقاصد للبنات في محلة الباشورة[1].

١١ ـ الكلية (العثمانية) ثم الإسلامية:

أسس الشيخ أحمد عباس الأزهري مدرسة ثانوية بإسم الكلية العثمانية، أصبحت الكلية الإسلامية وغدت مركزاً لتخريج أعلام الوطنية والعروبة والعلم الثلاثة: عمر حمد وعمر فاخوري وعمر الزعني. وفي هذه المدرسة ألقى عمر حمد قصائده الوطنية مَطْلعها:

نحن أبناء الألى شادوا مجداً وعلا

وفيها ألقى سنة ١٩١٢ قصيدة ذكرى وفيها قوله:

أرى بيننا نشأً أطاشت حلومهم أضاليل أهل الغرب فاستدرِكوا الأمرا
لقد وهموا أن لا تَمدُّن للفتى إذا هو للغربي لم يتبع الأثرا[2]

ولا بد من الإشارة إلى أن المدرسة العثمانية التي أسسها الشيخ أحمد عباس الأزهري أصبحت سنة ١٩١١م كلية أطلق عليها إسم الكلية العثمانية الإسلامية، تدرس فيها مواد درجة البكالوريا وأصبحت مدة الدراسة فيها عشر سنوات. وكانت أقسامها ثلاثة: القسم الإبتدائي مدته سنتان والإستعدادي ومدته أربع سنوات والعلمي ومدته أربع سنوات أيضاً.

وكانت تدرس اللغات العربية والتركية والفرنسية وآدابها فيما كانت الإنكليزية أو الألمانية لغة إختيارية، إضافة إلى العلوم الدينية كالقرآن الكريم والتوحيد والفقه عملاً وعلماً وأصول الفقه والفلسفة الأدبية

---

(١) ثمرات الفنون ١٠٤١ آب ١٨٩٥م.
(٢) المفيد ١٢٦٣ سنة ١٩١٣م وديوان عمر حمد ص٣٤ و٦٣.

والحديث والتاريخ والسيرة النبوية والجغرافية التجارية والاقتصادية والرياضيات من جبر وحساب وعلم فلك وهندسة ومسك الدفاتر. والعلوم الطبيعية والكيمياء. والرسم وحسن الخط والموسيقى والمنطق الفلسفي والإقتصاد السياسي وعلم الأخلاق وتاريخ الأدب العربي. وتأسست في هذه الكلية جمعيتان هما الجمعية العلمية العربية أصدرت مجلة التلميذ وكانت تقيم احتفالاً سنوياً. والجمعية العلمية الفرنسية[١].

١٢ ـ مدرسة التوفيق ومدارس أخرى:

وفي سنة ١٩٠٢م أسس الشيخ محمد توفيق ابن عمر بن عبد الله خالد مدرسة بإسم مدرسة التوفيق أو المدرسة التوفيقية الإسلامية. تطورت فيما بعد وتوسعت سنة ١٩١٠م فقسمت الدراسة فيها إلى ثلاثة أقسام: الأول تمهيدي مدته سنتان يتعلم فيها التلميذ الهجاء مع الحساب الذهني والإبتداء بالأجزاء الشريفة وتعليم رسم الأحرف على دفاتر خصوصية. والقسم الثاني مدته ثلاث سنوات يتعلم فيها التلميذ القرآن الكريم تجويداً مع القراءة والإملاء العربي والحساب والعلوم الدينية

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٨٥١ و٨٥٣ سنة ١٩١١م.

(*) الشيخ أحمد عباس الأزهري (١٨٥٣ ـ ١٩٢٧م): قدم والده سليمان إلى بيروت مع حملة إبراهيم باشا وتوطن بها. تعلم الشيخ أحمد في بيروت ثم في الأزهر فلقب بالأزهري. انشأ الكلية العثمانية الإسلامية وعرفت بكلية الشيخ أحمد عباس. وكان لها أثر كبير في تربية روح اليقظة العربية الحديثة وتخرج بها كثيرون ممن حملوا فكرة الإستقلال العربي عن العثمانيين. أقفلت خلال الحرب العالمية الأولى ونفي إلى استانبول. أعدم بعض تلامذته كالشاعر عمر حمد. من كتبه المدرسية تاريخ آداب اللغة العربية. وله مسرحية «وفاء السموأل» مثلت في مدرسته (الاعلام ج١ ص١٤٢).

وحسن الخط مع اللغات الثلاث العربية والتركية والإفرنسية. والقسم الثالث الرشدي ومدته سنتان يتعلم فيها التلميذ القرآن الكريم مع أحكام التجويد والعلوم الدينية واللغات الثلاث المذكورة والجغرافية والتاريخ الإسلامي مع الحساب بالكسر العادي والإعشاري والمقياسات وحسن الخط التركي والعربي والمعلومات المدنية والأخلاق.

وكانت الأقساط خمس مجيديات للقسم التمهيدي وسبع مجيديات للإبتدائي واثني عشر مجيدياً للرشدي تدفع سلفاً على أربعة أقساط[١].

وكان الشيخ نديم الأرناؤوط قد أسس في الخندق الغميق كتّاباً باسم «مدرسة تنوير الأفكار». فيما فتح الشيخ نعمان الحنبلي سنة ١٩٠٣م في المحلة نفسها المدرسة الوطنية الإسلامية. وأسس سليم المغربل مدرسة سنة ١٩٠٤م.

وأسس عبد الرحيم شعر المدرسة العصرية سنة ١٩١٠م[٢]. وأعلن الشيخان محمد سلام ومحمد علايا سنة ١٩١١م عن رغبتهما بفتح مكتب ليلي لتعليم القراءة والكتابة للراغبين من أصحاب الأشغال النهارية سمياه «المكتب الليلي»[٣] وقد أشار عبد القادر قباني في مذكراته إلى كتاب الشيخ جمعه الذي فتحت ابنته بعده كتّاباً للفتيات بجوار قصر عارف النعماني بشارع عبد القادر الخرسا بالبسطا التحتا.

يذكر أن جمعية محلة البسطة الخيرية تمكنت سنة ١٩١٠م من وضع

---

(١) ثمرات الفنون عدد ١٣٩٩ تشرين الأول ١٩٠٢م وعدد ١٤٥٢ تشرين الأول ١٩٠٣م والإتحاد العثماني عدد ٦٤٣ تشرين الأول ١٩١٠م.

(٢) الإتحاد العثماني ٦٦٦ كانون الثاني ١٩١٠م و٧٥١ آذار ١٩١١م.

(٣) الإتحاد العثماني عدد ٧٣١ تاريخ ١٤/١٢/١٩١١م و٧٣٩ تاريخ ٢٢/٢/١٩١١م.

ثلاثين تليمذاً من أبناء المحلة المعوزين في المدرسة العصرية على نفقتها بلوازمهم وكسائهم[1] وأسهم الحاج رشيد رمضان والحاج خليل عبد العال ـ والد المهندس إبراهيم عبد العال ـ سنة ١٩١٠م بتأسيس «جمعية السلام لتعليم فقراء الأيتام» التي رأسها الشيخ عبد الرحمن سلام[*].

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٦٠٤ أيلول ١٩١٠م.

(*) الشيخ عبد الرحمن محمد سليم المهتدي سلام «ولاء»:
الإتحاد العثماني عدد ٤٤٩ آذار ١٩١٠م و٤٦٢ آذار ١٩١٠م. مولده ووفاته في بيروت. اختلفت الأقوال في تعيين سنة ولادته. منهم من قال سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م ومنهم من جعلها ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وهذا القول الأخير رجحه حفيده الشيخ بهاء الدين سلام. والصحيح ما عثرنا عليه وما ذكرته صحيفة الإتحاد العثماني في عددها ٨٨ الصادر سنة ١٩٠٩م قالت: سئل الشيخ عبد الرحمن سلام عن تاريخ ميلاده فأجاب «**أم الغرائب**» فحسبت بحساب الجمل فكانت ١٢٨٥هـ التي تبدأ في ٢٤ نيسان (أبريل) ١٨٦٨م.
درّس في فلسطين ودمشق وحمص وفي مقاصد بيروت والكلية الشرعية.
عين أميناً للفتوى في بيروت.
قال فيه الشيخ علي الطنطاوي: «إذا احتاج أن يتكلم في موضوع لم يكن عليه إلا أن يفتح فمه ويحرك لسانه فإن المعاني في ذهنه والألفاظ في شفتيه والسحر من حوله والأنظار متعلقة به والأسماع ملقاة عليه والقلوب مربوطة بحركات يديه، كان يرتجل الشعر كما يرتجل الخطب. شعره دون أشعار المطبوعين المجودين وفوق شعر الفقهاء. وكان يتكلم من أول ساعة إلى آخرها في اللغة والأدب وكل شيء». من أشعاره ثلاثة أبيات نظمها سنة ١٩٠٩م إثر انتخاب رضا الصلح وسليمان البستاني مندوبين عن بيروت لمجلس المبعوثان (جمع مبعوث باللغة العثمانية) العثماني هي:

قد ناب عنّا بني بيروت قاطبة — في المجلس الشوروي العادل اثنانِ

فالصلح خير لنا ما بينهم ولنا — في كل فاكهة زوجان في الثاني =

١٣ - درجات النجاح:

لم نعثر بالنسبة لدرجات النجاح إلا على ما كان مكتب الحقوق الشاهاني في الأستانة يحدده لدرجات الناجحين بأنها كانت: عال العال - عال - تقريباً عال. وتعادل برأينا Trés bien - bien - Assez bien[1].

ويتبين من الوثيقة الشرعية المؤرخة في ٢٠ صفر سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م أن أجرة التعليم في المدرسة اليسوعية بلغت عشرين ليرة

= وإنني عن بني بيروت أجمعهم أرّخت مبعوثنا صلح وبستاني

فأوحى ذلك للشيخ مصطفى الغلاييني قوله:

يا مجلس النواب أنت حديقة من كل فاكهة بها زوجان

والكل يعلم دون أدنى ريبة أن الحديقة روحها البستاني

ونظم الشيخ عبد الرحمن سلام في جرائد بيروت سنة ١٩٠٩م:

أرى كل يوم نحو عشر جرائد أقابلها وجهاً وأقلبها ظهراً

فأقرأ منها ما يروق لخاطري وما أنفته النفس أهجره هجرا

فإن هي مجتّ هذه استجمها برنة أوتار بها أدفع الأصرا

فآتي إلى الطنبور وهي جريدة لها نغمات صوتها يشرح الصدرا

أطالعها يوماً ولست أملّها فأقرأها الأسبوع والشهر والدهرا

محررها العود الرخيم ومثله إذا نحن حققنا بتحريرها أحرى

وإن نحن دققنا عجباً فيا ترى متى كان ذلك العود يكتب أو يقرأ

وقد تبع الطنبور طبل سمعته فأنزل في أذانيّ من صوته وقرا

وقد زاد في الطنبور نغمة عاشق فلم يبق إلا أن نرى الطبل والزمرا

(الاتحاد العثماني ٣٩ و١٦٧ سنة ١٩٠٩م. وبهاء الدين سلام: عالم من بيروت. الشيخ عبد الرحمن سلام).

(١) ثمرات الفنون عدد ٩٠١ تشرين الأول ١٨٩٢م.

فرنساوية سنوياً[1].

١٤ ـ أوضاع التعليم بين سنتي ١٩١١ و١٩١٣:

من المفيد الإشارة إلى الخطاب الذي ألقاه سنة ١٩١٢م الدكتور بشير القصار مدير الكلية الإسلامية في حينه وذلك في الحفلة السنوية التي أقامتها جمعية زهرة الآداب في الكلية الأميركية بعنوان «حاجة العلم إلى الأخلاق» وقال فيه:

«حاجة العلم إلى الأخلاق حاجة ماسة بعلاقة متماسكة غير منفصمة. إذ لو انفصمت لزال نفع العلم بتجرده عن الأخلاق، وأصبح ينبوع فساد لا صلاح، وجرثومة شر لا خير.

حاجة العلم إلى الأخلاق كحاجة الرجل إلى الهواء والسمك إلى الماء. وما نفع العالم الذي عزز علمه وجمع شتات المعارف وضم إليه الحواشي والمتون واستبحر في مختلف الفوائد والفنون إذا لم يكن هناك خلق قويم وصفات فاضلة وخلال حميدة تهيب به في طرق الصلاح والإصلاح، وتنهض به في مراقي الكمال وتحثه على عمل الخير وخير العمل واستعمال معارفه في إفادة قومه وبني جنسه».

وقال عن المعاهد وطريقة التعليم:

«أما معاهدنا العلمية فهي أقسام شتى وشيع متفرقة، وشعب متباينة. يختلف الواحد عن الآخر اختلافاً كلياً في الخطة والسير والمبدأ، لا تجمعهم وحدة التربية والتعليم، ولا يلتفتون إلى ما ينقص هذه البلاد، فيقومون بسد هذا الخلل. اللهم إلا فيما ندر، والنادر لا يقاس عليه.

---

(١) سجل ١٣٠٥/١٣٨ ص٥٤٦.

يجتهد غالب المعاهد العلمية في تحميل ذهن الطالب ما لا طاقة له عليه، ورصف المعلومات فيه رصفاً محكماً من متون وحواشي وشروح وهوامش محفوظات ومعلومات قديمة وحديثة بدون نظر إلى سنه ومقدرة عقله وكيفية الوصول إلى فهمه، ليقال إنهم حمّلوه من المعلومات ما لا يحملها أكبر سناً وأرقى فكراً وعقلاً. ويا ليتهم يلتفتون إلى تحميله من المبادىء والأخلاق ما يكون له أقوى معين في مستقبل أيامه»[١].

وكان الدكتور بشير القصار[*] قد ألقى كلمة في احتفال أقامته

---

(١) الحقيقة ٤٤٤ أيار ١٩١٢م.

(*) بشير القصار: (١٨٨٣ ـ ١٩٣٥م) طبيب من رجال التربية والتعليم مولده ووفاته في بيروت. من عائلة القصار البيروتية المعروفة التي عرف من رجالها الشيخ علي القصار الذي بنى زاوية القصار سنة ١٦٨٠م ووقف عليها عدة عقارات. وعبدي آغا بن حسن القصار الذي كان دزدار قلعة بيروت (أي قائد حاميتها) (سجل محكمة بيروت الشرعية ٦٣/ ٦٥ ص١٩٨ وعبد اللطيف فاخوري. منزول بيروت).
تعلم بشير الطب في الجامعة الأميركية في بيروت. تولى إدارة الكلية الإسلامية في عهد صاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهري. تولى التدريس في التفتيش في مدارس جمعية المقاصد الخيرية إلى أن توفي. له «التاريخ العالم» مدرسي و«أوليات الحساب» مدرسي و«الوصي الخائن» مسرحية مثلت في بيروت وهي لا تزال مخطوطة وفي مكتبتنا نسخة منها.
عمل في سبيل التحرر العربي وساند جمعية العربية الفتاة. سافر إلى مصر هو والمربي نجيب بليق هرباً من ملاحقة السلطة العثمانية وسكنا في مصر وكان كل من يرد من مصر من شباب لبنان العربي يزورهما. من زوارهما الأديب عمر فاخوري سنة ١٩٢٠م أثناء سفره إلى باريس (عبد اللطيف فاخوري. رسائل عمر فاخوري. ص٣٨).
نظم الدكتور بشير القصار عدة أناشيد للكشاف المسلم منها نشيد بعنوان «للظفر» قال فيه: =

الكلية العثمانية الإسلامية لوداع عبد الغني العريسي ـ الذي كان مسافراً إلى فرنسا لمتابعة تخصصه ـ رد فيه على من انتقد سفر الشبان فقال: «وهؤلاء الشبان الذين يرحلون إلى البلاد الأجنبية ويتحملون متاعب الرحيل ومَشاقّه بغية التحصيل والتعليم، هم الذين يرجعون لمدينتهم ذلك الإسم الباهر والمقام العظيم. وأن الوقوف في وجه هذه الرحلات المباركة أعظم جناية على الوطن وبنيه...»(1).

أما المربي نجيب بليق(*) وكان أحد الذين جاهدوا في سبيل القضية العربية ونفوا وقد أدركناه سنة ١٩٥٤م في كلية علي بن أبي طالب التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، أستاذاً لمادة التاريخ فقد نشر سنة ١٩١١م عدة مقالات في السياسة والمدارس والمعلمين. منها

= هيا بني الأوطان هيا يا خير الجنود
اشحذوا العزم القوي عزمة الأسود
أنتم أبناء عرب خيرة الجنود
هيا بنا للظفر

(1) المفيد ٨٩ تاريخ ١٩١٣/١/٣م.

(*) نجيب بليق: من الرعيل الأول الذي انتسب للعربية الفتاة وعمل للقضية العربية والتحرر العربي من الحكم العثماني. نشر سلسلة مقالات في التربية والسياسة والتعليم. اضطهده العثمانيون فسافر إلى مصر وسكن بها مدة ثم انتقل إلى الأردن مع الأمير (الملك) عبد الله الأول بن الحسين وكان برفقة الشيخ مصطفى الغلاييني. وفي الستينات عاد إلى بيروت ودرّسنا في ثانوية علي بن أبي طالب في المرحلة التكميلية درس التاريخ. وكنا كثيراً نلح عليه فيروي لنا بعض ذكرياته حول حوادث الثورة العربية التي شهدها ثم الأحداث التي عاصرها في الأردن بعد حركة التمرد التي انتهت بطرد غلوب باشا القائد الإنكليزي للجيش الأردني المعروف باسم «أبو حناك». وقد حفظنا له يومها مكاناً خاصاً في قلوبنا احتراماً له وإعجاباً بنضاله.

مقال بعنوان: «المعلم في المدارس الأهلية» لفت فيه النظر إلى دور المعلم في تربية الناشئة وقال: «كثر ضجيج القوم وبحت أصوات الكتبة، وجف لعاب الشعراء وهم يصيحون بنغم ملؤه الغيرة إلى العلم إلى العلم (و) تعلم يا فتى فالجهل عار، إلى غير ذلك من ضروب الاستفزاز والحث، وكل ذلك لا يفي بالحاجة الماسة إلا إذا نشط المعلم من عقاله وعزز جانبه، فحينئذ يجدي التحميس ويثمر ذاك الضجيج، لأن بيده قلوب النابتة يطبع عليها ما يشاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وأيم الله لن ينهض بهذا الوطن إلا معلمو المدارس، ولن يرقى إلا برقي المعلمين».

وفي لفتة مهمة منه إلى أهمية إختصاص المعلم بتدريس مادة واحدة قال: «وآخر ما أبتغيه من المعلم أن يكون من الأهمية بمكان في عرف علماء التربية والتعليم. ولا يصل إلى درجة الكمال حتى يختص بفن ويقتصر عليه. وإلا ما دام يخرج من غرفة الجغرافيا ويدخل درس التاريخ ولا ينتهي من هذا حتى يبتدىء بالرياضيات ولا يلبث أن يودعه حتى يصافح طلبته بالأدبيات أو كما يسمونه عندنا بالاستظهار، ولا يعتم أن يخلص من هذا حتى يتأبط إبن عقيل والأشموني والصبّان وغيرهم... وهذه حاله من بزوغ الشمس إلى أن ينسى دخائل الفن ولا يعرف منها إلا ما يعرفه الطلاب...»(١).

وتحت عنوان «نظر بائس في المدارس» كتب سنة ١٩١١م يقول: عن «المدارس الأهلية» من نظر إلى هذه نظر المدقق وفكر فيها ملياً، لا يلبث أن يرى فيها وميضاً سوف ينير فيما بعد وإن لم يعمَّ جميعها. وهي الآن قسمان: قسم قد ألف القديم ورضي بحالته التي هي أقرب إلى الضر منها إلى النفع. وقسم شعر بالحاجة الماسة إلى التعليم الحديث

---

(١) المفيد ٧١٠ حزيران ١٩١١م.

وتتبع المدارس الأجنبية فيما يعود علينا بالمنفعة المنتظرة. وقد وجد لهذا القسم آخر يخبط بالتعليم خبط عشواء لا يدري صبحه من المساء. والمدارس الأهلية جماعها لا يُأمل لها خير ولا يرجى منها نفع، إن لم يقم بإدارتها شبان، ولا أقول رجال ـ لأن هؤلاء يجهلون المدارس ـ يكرسون أنفسهم لخدمتها والعمل من أجلها. والمدارس الوطنية لا يخضر لها عود ولا يقوم لها عمود ما زالت تنتقي المعلمين الذين يرضون بالقليل من المعاش ويقنعون بالزهيد منه. ومثلها في ذلك كالذي يرغب في شراء الأرخص علاجاً والأصغر قيمة، وهي إنما تضر نفسها من حيث تشعر أو لا تشعر، وتلوم الأهلين في إرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية وترميهم بضعف في الوطنية إذا لم تتهمهم بالخروج من الدين.

وقصارى القول إن المدارس الوطنية إذا لم تنازع المدارس الأجنبية في كل ما تحتاجه المدرسة، فمصيرها لا محالة إلى الخسران، وتصبح كتاتيب لا يأوي إليها إلا بؤساء الطائفة الذين يحول بينهم وبين المدارس الأجنبية فقدان الدينار وخلو الوطاب...»[١].

من المفيد الإشارة إلى كلمة ألقاها محمد جميل بيهم في الكلية العثمانية الإسلامية أشار فيها إلى تاريخ الإرساليات الدينية في الشرق وكيف ترقت مدارسها ونجحت أعمالها. وتساءل «كيف تؤمل رقي بلاد يتأمرك أولادها، ويتنكلزون، ويتفرنسون؟» ودعا إلى تأسيس كلية إسلامية في سوريا وتسديد نفقاتها بواسطة شركة تصدر خمسة آلاف سهم قيمة السهم الواحد ثلاث ليرات توزع على ولايتي بيروت وسورية وحلب ومتصرفية القدس»[٢].

---

(١) المفيد ٧٠١ أيار ١٩١١م.

(٢) المفيد ٦٦٦ نيسان ١٩١١م.

قيل إن التعليم كان معتمداً على الإنشاء أكثر مما اتجه إلى الناحية العلمية التجريبية. وأن الكتابة في موضوعات علمية غلب عليها أسلوب السجع. من أمثلة الإنشاء الأدبي في موضوع علمي ما ورد في أحد المؤلفات عن الشمعة أنها غصن من التبر أثمر لهباً. وصدر رمح أطلع كوكباً. عامود من العاج في رأسه سراج. ونخلة من البلّورة طلعها النور. روحها فتيلة كخيط النخاع. يضمها الجسم كما تضم القلب الأضلاع. لها عين نضّاحة لا تفتر عن البكاء. وبالبكاء يدركها الفناء. تصوبها وتصعدها كأنها تجتلي الوجود وتلحظ الشهود. تذرف دموعاً سخينة تنحدر على جسمها كذوب لجين أو لؤلؤ رطب أو جاب ماء أو سقيط طل أو قطر منهمل. فتخالها محزوناً وَهَى جلده وتزايد كمده. فهو يسكب العبرات يشفي بها علته ويبرد غلته. أو حاسداً برح به الحسد فبرى لحمه وأماع شحمه. فلا يزال حلف الجوى وسقم حتى يلحقه العدم».

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن سنة ١٩١٢م وما يليها، شهدت ظهور مقالات في بعض الصحف من إنشاء فتيات بيروتيات كن منتسبات إلى مدرسة الإناث للمقاصد الخيرية، وبررت صحيفة المفيد نشر تلك المقالات «ليقف القراء على ترقي هذه المدرسة الوحيدة التي يرجى منها أن تعد لأبناء المستقبل أمهات صالحات يحسنّ تربية أبناءهن، فيجددن بالنابتة عهد الجد والنشاط[١]».

كانت إحدى تلك المقالات بعنوان «نهضة الفتاة العربية» التي تبين أنها ـ أي الفتاة ـ عنبرة سليم سلام. وأن مقالة أخرى لوداد محمصاني

---

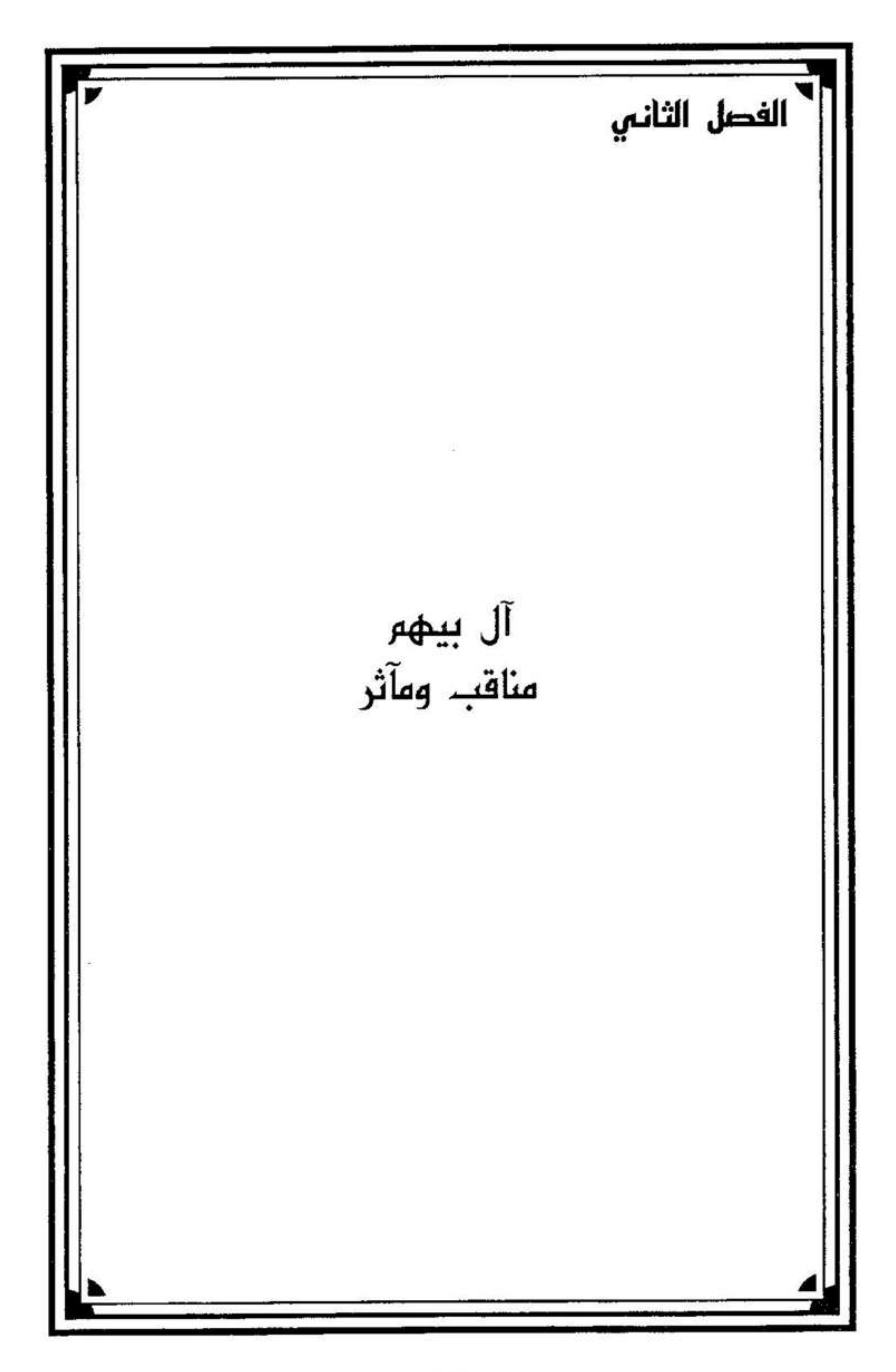
(١) المفيد ٩٨٦ أيار ١٩١٢م.

بعنوان «الائتلاف» ومقالة ثالثة لسلوى محمصاني[*] بعنوان «الإنسان إبن المشقة» قالت فيها «ليس من عار على الذين يفشلون في أعمالهم، ولكن العار على الذين لا يستعملون عقولهم وقواهم ليبلغوا درجة التمدن وقمة الفلاح. إن للمذهب والفضة والحديد وغير ذلك معامل. وللصوف والحرير والكتان مصانع. ولكن الإنسان له معمل ومصنع ألا وهو المشقة. المشقة للإنسان كالنار للذهب لها آلات عديدة تديرها: الإرادة والشجاعة الأدبية والصبر والثبات»[1].

* * *

(*) سلوى محمصاني: (٠٠٠ ـ ١٩٥٧م) أديبة بيروتية المولد والوفاة. لها «مع الحياة» مجموعة قصص و«نفثات» انتسبت لمدرسة الإناث الثانية التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية وعاصرت النهضة العربية وحركة التحرر العربي وشهدت شنق قريبيها محمد ومحمود المحمصاني في السادس من أيار سنة ١٩١٥ في ساحة البرج. تولت إدارة مدرسة فاطمة الزهراء سنة ١٩٢٠م ـ التي أصبحت فيما بعد مدرسة عثمان ذي النورين. (الأديب ١٧ ص١٠٢ والأعلام ٣ ص١١٥ وشبارو. جمعية المقاصد ث٧٦) وهي زوجة عزيز مومنة.

(١) المفيد ٩٨٦ أيار ١٩١٢م.



الفصل الثاني

آل بيهم
مناقب ومآثر

الفصل الثاني:

آل بيهم: مناقب ومآثر

نقل نسّابة بيروت أن أسرة بيهم هي فرع من أسرة العيتاني التي يذكر بعضهم أنها من الأسر التي نزحت من المغرب إلى بيروت عقب إجلاء الأسر الإسلامية عن الأندلس.

وكان من أبناء هذه الأسرة **حسين بن ناصر بن محيي الدين العيتاني** وقد كان كريماً يعطف على الفقراء والأيتام. ويروى أن جاراً له توفي عن أربعة أبناء صغار زغب الحواصل فتعهدهم بالرعاية والنفقة والتعليم حتى شبوا عن الطوق فغلب على حسين العيتاني لقب «**بيهم**» لأنه قام مقام أبيهم فصاروا كأنهم أولاده.

ومنذ ذلك الزمن غلب على هذا الفرع من أسرة العيتاني لقب بيهم.

تزوج **حسين بيهم** من صالحة قرنفل فولدت له ستة أبناء هم: **محمد ويوسف وعمر وناصر ومصطفى وعبد الله**، وبنتاً هي **خديجة**(١). وقد نشأوا على طريقة والدهم في التقوى وحب الخير للناس وطاعة الله والرسول والتجمل بمكارم الأخلاق وبرزوا في الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية.

ويبدو أن **يوسف** كان ألمع إخوته بدليل شهرته في ممارسة التجارة

---

(١) سجل ١٢٩٣/ ٩٥هـ تاريخ ١٨ شعبان ١٢٩٣هـ رقم ٤٧.

فقد أرسل هنري غيز نائب قنصل فرنسا في بيروت رسالة في ١٥/ ١/ ١٨٢٧م إلى وزير خارجيته يذكر له فيها أسماء التجار المعتبرين في بيروت فكان منهم الحاج يوسف بيهم وإخوانه[1]. وذاعت شهرة تجارة يوسف وإخوانه لا سيما مع الداخل العربي كما يتبين من الرسالة التي وضعها راتب الحسامي عن محل بيهم في القرن التاسع عشر (مخطوط ـ الجامعة الأميركية في بيروت).

جاء في ديوان القاضي الشيخ أحمد الأغر أن هذا الأخير جاء سنة ١٨١٧م لتوديع يوسف بيهم العيتاني الذي كان متوجهاً إلى دمشق فقال مرتجلاً:

تـوجَّـهْ نـحـوَ جِـلَّـقَ فـي سـرورٍ   فـبـاب الـلَّـه فـيـهـا والـسـلامُ
وتـرجـع رابـحـاً ديـنـاً ودنـيـا   بـسـعـد ثـم عـزّ لا تُـضـامُ[2]

وقام **عمر حسين بيهم** بدور سياسي إبان حكم إبراهيم باشا على بيروت. ففي الثاني من شهر نيسان (إبريل) سنة ١٨٣٢م دخل إبراهيم باشا بيروت من باب الدركاه (تجاه مبنى التياترو الكبير) على رأس جيش من ستة آلاف جندي بين فارس وراجل يرأسهم القائد سليمان باشا الفرنساوي المعروف بالكولونيل سيف.

عين إبراهيم باشا محمود نامي بك جركس محافظاً على بيروت وشكل مجلس شورى بيروت من اثني عشر رجلاً من أعيان المدينة ستة من المسلمين هم: عمر بيهم وعبد الفتاح حماده وأحمد العريس وحسن البربير وأمين رمضان وأحمد جلول. وستة من المسيحيين هم: جبرائيل حمصي وبشارة نصر الله والياس منسى وناصيف مطر ويوسف عيروت

---

(١) إسماعيل المراسلات التجارية ج١ ص١٨٨.
(٢) ديوان الأغر ص٤٤.

وموسى بسترس[1].

وكان عمر بيهم محبوباً في قومه متواضعاً ذواقاً للأدب والشعر. مدحه الشيخ أحمد الأغر قائلاً:

أنت الضياء يا عمر في كل وقت للبصر
لك الكمال شاهد يكفيك ما قال القمر
إن غبت عنكم فابشروا خليفتي فيكم عمر[2]

كما ذكر أحمد الأغر في ديوانه أن عمر بيهم طلب منه تخميس أبيات وتشطير أخرى كان عمر معجباً بها. والأبيات التي طلب تخميسها هي:

وليلى ما كفاها الهجر حتى محت رسمي بألحاظ العيون
وأفتت حِلَّ هجري ثم راحت إلى قاضي المحبة تشتكيني
فقلت لها ارحمي آلامي قالت ومن يبغي الرحم يبتغيني
فمتّ وجداً فما هذا التمني وهل في الحب يا أمي ارحميني

وطلب تشطير وتخميس:

يا ليل طل أو لا تطل لا بد لي أن أسهرك
لو كان عندي قمري ما بت أرعى قمرك[3]

وقد تزوج عمر بيهم من خديجة قرنفل وأنجب **محيي الدين وحسين**

---

(١) مجلة المرأة الجديدة. فؤاد مغبغب بيروت في عهد إبراهيم باشا المصري ١٩٢٦ ج١٠ ص٣٧١ وعبد الرحمن الرافعي. عصر محمد علي ص٢٩٥ وما يليها.
(٢) ديوان أحمد الأغر ص٤٤.
(٣) ديوان أحمد الأغر ص٤٥.

وعائشة وأسماء وسعدى[1]. تولى محيي الدين عدة مناصب إدارية منها عضوية مجلس إدارة لواء بيروت ورئاسة شعبة المعارف. أحبه فؤاد باشا فاختاره سنة ١٨٦٠م عضواً في «مجلس كبير فوق العادة» الذي تولى التحقيق في حوادث وفتنة سنة ١٨٦٠م الطائفية.

وبناء لطلب فؤاد باشا تخلى محيي الدين بيهم عن زيه البلدي ولبس الزي الإفرنجي والطربوش العزيزي. وكان مقرباً من الوالي عبد الخالق نصوحي بك فعهد إليه سنة ١٨٨٧م الإشراف على تنميق وتجديد مشهد النبي يحيى الحصور في الجامع العمري الكبير. وكان بيته منزولاً لكبار زوار المدينة ومنهم سنة ١٨٨٠م سلمان أفندي نقيب أشراف بغداد والشريف أحمد نجل عبد المطلب أمير مكة المكرمة.

كما تولى سنة ١٨٧٧ رئاسة مجلس بلدية بيروت. وامتنع عن ترشيح نفسه لمدة ثانية. وفي سنة ١٨٨٨م جرت الإنتخابات البلدية وقدمت أصوات الفائزين إلى نصوحي بك فاختار محيي الدين بيهم للرئاسة.

وقد تبرع براتبه للبلدية إلا أنه لم يستمر طويلاً. فقدم سنة ١٨٨٨م استقالته لأنه وجد أن أعضاء المجلس البلدي يفرضون رسوماً على الفقراء كجزاء نقدي، فتخلى عن الرئاسة وطلب من أمين صندوق البلدية كشفاً بالأموال التي تغرمها الفقراء خلال رئاسته للمجلس، وقام بدفعها من جيبه الخاص للذين أخذت منهم. وانصرف عن المناصب إلى أن وافاه الأجل سنة ١٩٠٤م.

أما **حسين عمر بيهم** فكان شاعراً وأديباً انتخب عضواً في مجلس

---

(١) وثيقة رقم ٥٢٦ سجل ١٣٠٨/١٣١٠هـ.

المبعوثان (مجلس النواب العثماني) وكانت له مواقف حاسمة يشار إليها.

كان الحاج حسين عمر بيهم عضواً في لجنة تجنيد الشبان المعروفة باسم «**قومسيون لَمّ العسكر**». حضر الضابط التركي ذات يوم وطلب من اللجنة أسماء جميع من هم «**تحت السن**» فاعترض الحاج حسين بأن بيروت لا تقدم جميع الشباب وأن بعض هؤلاء يعيل أرامل وأيتاماً. ودار جدل بين الإثنين وصاح الضابط بأن ذلك أمر الدولة، فغضب الحاج حسين وطوى سجل النفوس وقال لزملائه: تفضلوا لنفل على بيوتنا وخلي الدولة تأتي تلم العسكر. وملأ الخبر المدينة وهاجت النفوس وأرسل المتصرف أمين سره يعتذر من الحاج حسين فأصر هذا الأخير على موقفه حتى ينقل الضابط من المدينة وكان ذلك(١).

وحسين بيهم أديب وشاعر شارك في تأسيس الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٦٨م، قدم في أحد اجتماعاتها أرجوزة طويلة في الدعوة إلى العلم مطلعها:

حمداً لمن علمنا بالقلم ... وخصّنا بالنطق والتعلم
ثم الصلاة والسلام أبدا ... على جميع الرسل أصحاب الهدى

ثم يقول بعد الديباجة:

وبالعلوم تكثر الصنايع ... وتتقن الأعمال والبضايع
قد ظهرت شموسه في المغرب ... وعنه بلادنا غدت في حجب
فاغتنمت ما ضاع تلك الأمم ... وشملها أضحى به ينتظم
وأصبحت بلادنا تحتاج ... منها لما لها به علاج

ويشير إلى حالة المجتمع:

---

(١) أوراق لبنانية ج١ ص٤٣.

والله قد غير فيما قد مضى حالتنا حسب الذي به قضى
حتى طفقنا في بحار الجهل نسبح من بعد الذكا والفضل
فأصبحت حالتنا بين الورى إلى ورا إلى ورا إلى ورا

وله في إنشاء تلغراف بيروت:

لله در السلك قد أدهشت عقولنا لمّا على الجو ساق
فأعجب الكون بتاريخه شبيه برق أو شبيه البراق

وعند إنشاء آل حمادة سوق السيد (نسبة لوالدهم السيد عبد الفتاح حماده) سنة ١٨٦٤م الذي آل فيما بعد إلى آل أياس وعرف بسوق أياس. وكان من ضمنه قبة أقيمت على أربعة أركان كتب في أنحائها بيتان من نظم حسين بيهم هما:

لله قبة سوق شاد رونقه بنو حمادةَ آلُ الجاهِ والنُسُكِ
تنسيك من جلق باب البريد كما بالسعد أرخت تزري قبة الفلك[1]

يذكر أن **حسين عمر بيهم أنجب محمد راشد ومحمود ناصر وأحمد مختار** (١٨٧٦ ـ ١٩٢٠م) الذي كان قدوة شباب بيروت في حينه وهو والد أمين بيهم الذي ترأس المجلس البلدي.

قال السيد رشيد رضا في **أحمد مختار بيهم**: «كان لأحمد مختار بيهم جملة من المزايا لم تجتمع في وطنه لغيره في عصره. كان على كرامة بيته ومكانة عشيرته ذكي الفؤاد، طلق اللسان، جريء البنان، صادق الوطنية والغيرة القومية، عالي الهمة وفياً لأصدقائه. فكان بذلك زعيماً من زعماء مسلمي بيروت الذين يرجع إليهم في المهمات. كما كان محترماً عند سائر الطوائف بآدابه وحسن معاشرته. فكان الناس

---

(١) عبد اللطيف فاخوري. منزول بيروت ص١٣٢.

يحبونه ويحسنون الظن بإخلاصه حتى فيما ينكرونه من ميله إلى التفرنج. فلم يكونوا يتهمونه بأنه يقصد بهذا إضعاف مقومات أمته ومشخصاتها الملية ولا تقوية النفوذ الأجنبي فيها».

تجلت همة أحمد مختار بيهم وجرأته في الحث على تحسين أوضاع المجتمع والدولة. فشارك في تأسيس جمعية بيروت الإصلاحية وشارك في أعمال المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس سنة ١٩١٣م وفي تأسيس جمعية الأمور الخيرية للفتيات المسلمات. وكان محط أنظار الشباب ومحبتهم واعتبارهم، فأتخذوه مثلاً أعلى لهم وأطلقوا عليه لقب «فتى العرب» خاطبه الشاعر الشهيد عمر حمد قائلاً:

يا فتى العرب ويا ليث العرين ونصير الحق بين العالمين
دمت للعرب عميداً مصلحاً دمت ركناً في مبانيهم ركين
لك في الإصلاح يا مختاره راية كانت منار المهتدين
في سبيل اللّه ما كابدته لا يضيع اللّه أجر المصلحين

يذكر أن فتيات بيروت نسجن الأبيات المذكورة بالذهب على قطعة من قماش المخمل وحملنها أثناء مهرجان استقبال وفد الإصلاح العائد من باريس والأستانة سنة ١٩١٣م والذي كان مؤلفاً من سليم علي سلام والشيخ أحمد طباره وأحمد مختار بيهم.

ولأحمد مختار بيهم كلمات مأثورة عديدة. ففي خطاب ألقاه سنة ١٩١٣م بمناسبة سفر عبد الغني العريسي لتلقي العلم في باريس قال في ختامه «إلى العلم إلى العلم وإلى الغرب إلى الغرب» وفي حفلة تدشين نادي الفتيات المسلمات كتب في سجل النادي «إلى الأمام إلى الأمام دون الإهتمام بتقولات اللئام».

أما **مصطفى حسين بيهم بن ناصر** فقد أنجب **عبد الرحمن**

وعبد الغني ومحمد[١] وهذا الأخير هو والد العلامة المؤرخ **محمد جميل بيهم**.

وقد وقفت **خديجة بنت حسين بيهم بن ناصر** أملاكها النصف على مقام الإمام الأوزاعي خارج بيروت لإقامة الصلاة وذكر الله، والنصف على مسجد زقاق البلاط. كما وقفت نصف دكان على وجوه البر والصدقة بما يراه الناظر على الوقف محيي الدين عمر بيهم[٢].

وتبرعت **أسماء بنت عمر بن حسين ناصر** بأرض جامع البسطة الفوقا وتبرع شقيقها الحاج **محيي الدين** بنفقات إقامة الجامع.

أما **عبد الله بن حسين بيهم بن ناصر** فقد أنجب أربعة صبيان وثلاث بنات هم **محمد وعبد القادر و عثمان ونجيب والحاجة صفية والحاجة رقية والحاجة أمينة**[٣] وقد مارس التجارة مع أشقائه تحت شعار الآية الكريمة **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه﴾**. وازدهرت تجارته فأنشأ سنة ١٨٥٠م قصراً في محلة باب إدريس. وهذا القصر حلّ فيه ضيفاً الأمير عبد القادر الجزائري عندما قدم بيروت سنة ١٨٥٦م. اشترت القصر الدولة الفرنسية سنة ١٩١١م ثم استقر فيه المعهد الفرنسي للأثار ولا يزال القصر موجوداً (تجاه مبنى ستاركو).

تقاطر البيروتيون إلى هذا القصر للترحيب بالأمير عبد القادر وسؤاله عن أخبار جهاده وبطولات إخوانه الجزائريين وشهد محمد بن عبد الله بيهم توارد الشعراء إلى القصر لتكريم الأمير ومدحه، فسمع الشاعر الشيخ أبو الحسن قاسم الكستي يردد:

---

(١) سجل ١٣٠٧/١٣١٠هـ رقم ٥٢٦.
(٢) سجل ١٢٩٣/١٢٩٥هـ رقم ٤٧ تاريخ ٢٨ شعبان ١٢٩٣هـ.
(٣) سجل ١٣٠٥/١٣٠٨هـ رقم ٥٣٣ تاريخ ٣ شعبان ١٣٠٦هـ.

أسبل البدرُ للدلالِ قِناعَهْ فسبى بالجمال أهل القَناعَهْ

إلى قوله:

هو للقادر المُهَيْمنِ عبدٌ بهداه أعيا الزمان وراعَهْ
محيي دينِ العُلَىٰ أبوه برشدٍ وإلى جدّه تؤول الشفاعه
راية كالحسام بل ذاك أمضى كم أرانا في المشكلات زماعه
ما دعا الدهر في قضاء أمور قطّ إلا لبّاه سمعاً وطاعة

وفي هذا القصر تمّ زفاف عبد الرحيم نجل عبد القادر بيهم وحفيد عبد الله بيهم على كريمة الأمير محيي الدين الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري[1]. وفيه أيضاً تمت خطبة عادلة عبد الرحيم بيهم إلى الأمير مختار الجزائري.

كانت **عادلة بيهم** إحدى اللواتي أسَّسن سنة ١٩١٤م جمعية يقظة الفتاة العربية. كما أسهمت سنة ١٩٤٧م في تأسيس جمعية الأمور الخيرية للفتيات المسلمات التي افتتحت نادياً في ١٩١٧/٧/٢٣م في محلة البطركية باسم نادي الفتيات المسلمات وذلك «بمساعدة أنصار المرأة المسلمة الذي كان لأحمد مختار بيهم ومحمد الفاخوري وعمر الداعوق أكبر نصيب. . .»[2]. وكان لعادلة بيهم دور رائد في النهضة النسائية في دمشق.

يذكر أن **عبد الله بيهم** تولى سنة ١٨٦٠م رئاسة مجلس التجارة في بيروت الذي كان مقره في حارة محمود نامي بك تجاه خان السيد (حماده) في المرفأ. وكان المعلم بطرس البستاني قد أصدر سنة ١٨٥٩م

---

(١) ثمرات الفنون ٩٣٢ كانون الأول ١٨٩٣م.
(٢) مصطفى الغلاييني. نظرات في كتاب السفور والحجاب. ص١٧ سنة ١٩٢٨م.

كتاباً بعنوان «**روضة التاجر في مسك الدفاتر**» أهدى في خاتمته كتابه إلى الحاج عبد الله بيهم رئيس مجلس التجارة ونقولا مدور أمين سر التجار «لفضل مساعيهما في مصالح التجارة ومصالح التجار والعموم من كل ملة ومذهب».

كان عبد الله بيهم يفض الخلاف بين التجار، ويصدر الأحكام بين المتقاضين أمامه من خلال ما تمتع به من خبرة وحنكة وأصالة رأي وبعد نظر وحكمة، وكان مكتبه عبارة عن طراحة فوق الحصير يتميز عن بقية الحاضرين بغليون طويل (شُبُق) ومسبحة ومنضدة أمامه عليها دواة حبر نحاسبة وقلم غزار وقرطاس ومرملة لتجفيف حبر الأحكام[1].

اجتمع لعبد الله بيهم الدين والدنيا معاً فأقام على التقوى وعلى مكارم أخلاق صفت من الشوائب وكانت له مناقب تذكر فتشكر: كتب خليل الخوري سنة ١٨٦٠م في صحيفته حديقة الأخبار حرفياً: «لا يخفى أن كثيرين من فقراء النصارى في جبل لبنان قد التجأوا إلى بيروت منهزمين من نار الشرور التي ثارت في بلادهم فصادفوا كل مرحمة مجابرة من أهالي المدينة ولا سيما من أمة الإسلام الذين بذلوا لهم المساعدة العظيمة بإعطاء محلات للسكن وبتفريق الخبز وجمع الحسنات وكل ما يؤول لنفعهم مظهرين الغيرة التي هي من شعائر الإنسانية وبذلك تمّموا إكرامَ الغريب ونابوا الأجر عند الله والشكر عند الناس».

ويضيف خليل الخوري قائلاً:

«وهنا نثني على جناب العلامة الشيخ محمد الحوت صاحب البر والفضل الشهير الذي لا يفتر عن الإنذار بالخير والصلاح حسبما انطوت عليه سريرته السليمة من محبة العموم وحب السلام.

---

(١) كتاب بني العيتاني: محمد زكريا عيتاني.

كما إننا لا ننكر فضل جناب العلامة الشيخ عبد الله خالد وجناب السيد عبد الله أفندي بيهم رئيس مجلس التجارة وجناب السيد محمد البربير مع المتميزين من وجوه الإسلام الذين مارسوا أُبَّهتَهم بكل ما يوطد الألفة والمحبة بين الجميع»[١].

وكان **عبد الله بيهم** واحداً من الذين لازموا حضور الدروس في الجامع العمري الكبير لا سيما درس الشيخ محمد المسيري الإسكندري الذي توطن بيروت منذ سنة ١٨٠٨م مهاجراً من الإسكندرية (توفي في بيروت سنة ١٢٣٧هـ ودفن في مقبرة السنطية) روى الحاج عبد الله بيهم قال: حضرت درس الشيخ محمد المسيري يوماً فأخذ يفسر قوله تعالى: **﴿وأوحىٰ ربك إلى النحل﴾** الآية. وكان الوقت شتاءً فقال بعد أن شرع في تفسيرها: يا إخواننا هذه النحلة قد جاءت.. وإذا بنحلة أقبلت فمد لها إصبعه الشاهد فوقفت عليه، وصار الشيخ يشرح كيفية عملها البيوت والشمع والعسل ويشير إليها إلى أن أتم كلامه على ذلك فطارت[٢].

كما ترأس عبد الله بيهم سنة ١٨٦٤م أول مجلس بلدي في بيروت.

توفي عبد الله بيهم في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٣هـ/ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٦م. وقام أنجاله طيلة أربعين يوماً بعد وفاته بالإحسان على الفقراء والمحتاجين حتى بلغ ما أنفقوا مقداراً وفيراً من النقود. وكانت تلاوة الأذكار والختمات تتواتر كل يوم ثواباً له.

وقد شاء أبناؤه تخليد ذكرى والدهم وقد يكون ذلك بوصية منه فانشأوا مسجد عين المريسة. وذكر في حينه أن محمد ابن الحاج عبد الله بيهم اشترى الأرض من ماله الخاص واحتفل سنة ١٨٨٧م بأداء الشعائر

---

(١) حديقة الأخبار عدد ١٢٧ أيار ١٨٦٠م.

(٢) النبهاني: جامع كرامات الأولياء ج١ ص٢٢٠.

في المسجد المذكور فتليت قصة المولد النبوي الشريف وكان المنشدون يرددون المدائح النبوية برئاسة الشيخ سلامة حجازي الذي حضر من مصر خصيصاً لهذه المناسبة وذاع صيته بعد ذلك في بيروت[1].

وسار أبناء عبد الله بيهم على نهج أبيهم. فاشترك ابنه عبد القادر سنة ١٨٧٧م بتأليف جمعية خيرية لجمع الإحسان والصدقات وتوزيعها على الفقراء والمساكين العاجزين عن الكسب من عيال عسكر الرديف (الاحتياطي) الذين أخذوا إلى الخدمة العسكرية ولم يتركوا لعيالهم ما يعولهم كما تولت هذه الجمعية مساعدة المهاجرين الذين لجأوا إلى بيروت سنة ١٨٧٨م بسبب الحرب في البلقان فأعالتهم وآوتهم. وكان إلى جانب عبد القادر بيهم في هذه الجمعية محيي الدين عبد الفتاح حمادة وحسن محمد القاضي وعمر درويش الغزاوي وزين عبد الله سلام[2]. وعبد القادر المذكور هو والد حسن بيهم الذي كان أحد الذين اجتمعوا سنة ١٨٧٨م في منزل الشيخ عبد القادر قباني وأسسوا جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

وكان حسن بيهم أديباً عيّن سنة ١٨٨٢م عضواً في شعبة المصارف «**بيروت معارف مجلسي شعبه**». يذكر أن الدكتور كرنيليوس فان ديك ألّف سنة ١٨٨٦م من سلسلة النقش في الحجر كتاباً في علم الكيمياء قدمه «إلى الشاب الذكي البارع عزّتلو السيد حسن ابن السيد عبد القادر ابن الحاج عبد الله بيهم. وذلك ليس لأن عملي هذا شيء يذكر فيشكر

---

(١) جريدة بيروت. عدد ٦٣ تشرين الأول ١٨٨٦م. وعدد ١٠٦ آذار ١٨٨٧م وعدد ١٧٥ تشرين الثاني ١٨٨٧م.

(٢) سجل ١٢٩٣/٩٥ رقم ١٦٦ و١٦٧ وثمرات الفنون الأعداد ٩١ و٩٨ و١٠٠ و١٠٩ سنة ١٨٧٧م والأعداد ١٦ و١٤٧ و١٥٠ سنة ١٨٧٨م وعبد اللطيف فاخوري. تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص٢٣٥.

بل اعتباراً لما بذله جنابه من الجهد والعناء في خدمة المعارف وإذاعتها بين الشباب الشرقيين»[١].

ومن الطريف أن نشير إلى أنه في تموز (يوليو) ١٨٨٦م تم زفاف حسن بيهم بحضور المتصرف والمفتي والعلماء والوجهاء وقد وصفت صحيفة ثمرات الفنون حفل الزفاف فقالت:

«. . . فكان مدخل المنزل مزيناً بالأعلام والمصابيح والزَّهْر، وآلاتُ الطرب تصدح بألحانها الشجية وقد طيفَ بالأشربة المبردة على الحاضرين ثم تليت قصائد التهاني المختلفة اللغات بين عربية وتركية وفارسية وإفرنسية وإنكليزية وألمانية وإيطالية ومقالات النثر في مدح الموما إليه وعائلته. . .»[٢].

وكان **حسن بيهم** قد نال امتياز تسيير الترامو ي البخاري بين بيروت ودمشق الذي بوشر فيه في كانون الأول ١٨٩٢م من بستان قرب مخفر جبل لبنان في فرن الشباك (ثمرات) وتولى **نجيب ابن الحاج عبد الله بيهم** رئاسة غرفة تجارة بيروت سنة ١٨٨٧م وكان لقبه آنذاك «**رئيس أوطة تجارة بيروت**» وقد أطلق على غرفة التجارة لفظ حجرة التجارة للتماثل بين غرفة وحجرة.

وكان **نجيب بيهم** كثير الأسفار، وكانت أشهر رحلاته زيارته روما وجلوسه مع البابا ليون الثالث عشر في الفاتيكان (تولى هذا البابا كرسي البابوية بين سنتي ١٨٧٨ و١٩٠٣م) ودامت الزيارة مدَّة نصف ساعة واعتبرت هذه الزيارة يومئذٍ لقاءً فريداً بين رأس الكنسية الكاثوليكية وأحد أعيان مسلمي بيروت، فقد كانت المقابلة في تلك الأيام امتيازاً لا يحظى

---

(١) فان ديك. في علم الكيمياء ص٤ وصحيفة بيروت ٩١ شباط ١٨٨٧م.
(٢) ثمرات الفنون ٥٩٠ ثموز (يوليو) ١٨٨٦م.

به إلا العظماء من قواد الأمم وحكامها (توفي الحاج نجيب سنة ١٨٩٩م).

ومن أبناء عبد الله بيهم **عثمان بيهم والد عبد الله بيهم** أمين سر الدولة أثناء الإنتداب الفرنسي.

في سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م قال الشاعر أبو الحسن الكستي مهنئاً عبد الله بيهم بزفاف ولديه نجيب وعثمان:

أخلاقه تُنبيءُ عن طيبها   خمائل الورد وزهر البشام
من طبعه التقوى وحسنُ الوفا   والحلم المعروف بين الأنام
على سواه فاق فضلاً كما   فاق على الأشهر شهر الصيام
يقينه أرسخ في الدين من   طودٍ وأمضى رأيه من حسام
بيروت قد شدّت به أزرها   وفاخرت مصر به والشآم
زفت لنجليه نجيب العلا   وصنوه عثمان غيد النظام[1].

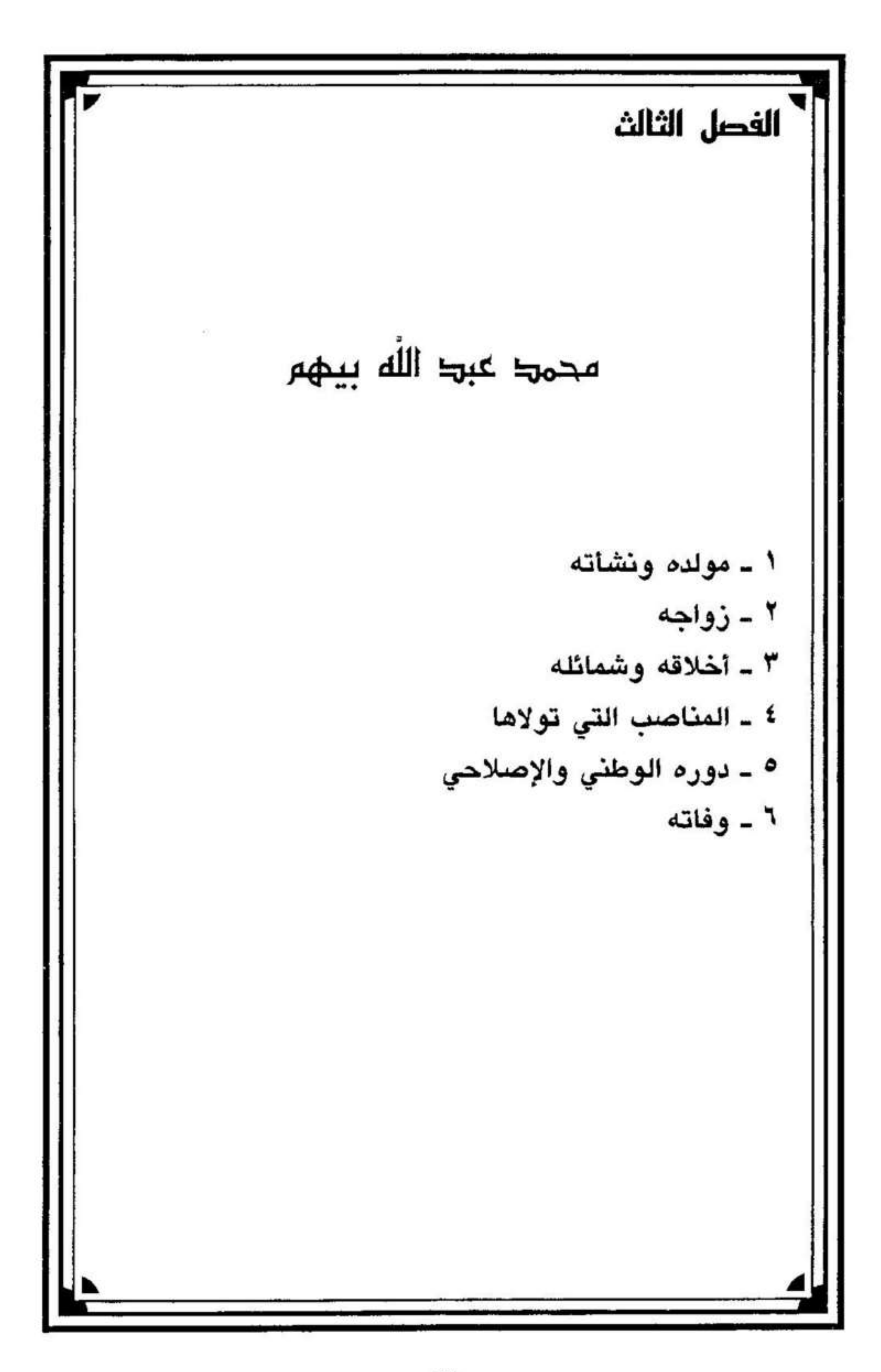
وليس غريباً ولا غلواً ما قاله الشاعر عمر الأنسي في بني بيهم:

بنو أبيهم أبوا إلا الكمال فما   لهم من الصيت إلا المَنْدَلُ العَطِرُ
أكرم بها دوحة فيحاء ناضرة   من آل عدنان قد باهى بها النضِرُ
قوم أقاموا على حمد الإله فهم   أهل المحامد إن غابوا وإن حضروا
غاروا على بيت مال الفضل وانتهبوا   خزائن البر والتقوى وما خسروا
للَّه ما احتسبوا والحمد ما اكتسبوا   والمجد ما وهبوا والدين ما ادّخروا[2]

* * *

---

(١) الكستي. ترجمان الأفكار ص٦٣/ ٦٤.
(٢) عمر الأنسي. الديوان ص١٣٥.



الفصل الثالث

محمد عبد الله بيهم

١ ـ مولده ونشأته
٢ ـ زواجه
٣ ـ أخلاقه وشمائله
٤ ـ المناصب التي تولاها
٥ ـ دوره الوطني والإصلاحي
٦ ـ وفاته

الفصل الثالث:

محمد عبد الله بيهم
مولده ونشأته. أخلاقه وشمائله.
المناصب التي تولاها. دوره الوطني والإصلاحي. وفاته

١ ـ مولده ونشأته:

كتبت مجلة الكشاف سنة ١٩٢٧م في ذكرى محمد عبد الله بيهم أنه توفي سنة ١٩١٤م عن عمر يناهز الثمانية والستين. فيمكن إستناداً إلى ذلك تحديد مولده في سنة ١٨٤٦م.

ومن المرجح أنه ولد في محلة باب إدريس ـ في إحدى البيوت التي جاء ذكرها في الوثيقة المؤرخة في ١٣ صفر الخير سنة ١٠٣٥ هجرية/تشرين الثاني (نوفمبر) ١٦٢٥ميلادية والتي تفيد تولية الخواجا[١]

---

(١) **الخواجا**: فارسية. أطلقت على أعيان المدن من الطبقة المتوسطة وأكابر التجار الأعاجم. ومعناها السيد. إضافة حرفي الكاف والياء إلى الكلمة الفارسية (خواجكي) للمبالغة وتعني رب البيت والمعلم والتاجر والشيخ والحاكم. ولكن استعمل اللفظ على كبار التجار عامة وعلى تجار القماش والجوخ خاصة. كتبت بعدة ألفاظ ففي الفارسية (خواجه) وقد تلفظ (خاجه) وانتقلت إلى العربية بصيغة خواجا ـ خواجه ـ خوجا. وانتقلت إلى التركية (خوجه) أو المعلم الخاص. وغدت تطلق على التاجر في بلاد الشام. ثم غدت تطلق على التجار من غير المسلمين.

أحمد بن محيي الدين إبراهيم العيتاني على وقف والده الكائن داخل مدينة بيروت قرب حمام الأوزاعي في محلة كانت تعرف وفقاً لتلك الوثيقة «**بالجاموس**» والخواجا لقب للتجار في العهد العثماني.

والدور المذكورة التي كانت موقوفة على ذرية الواقف من الذكور سكناً وإسكاناً جرت قسمتها لدى القاضي الشيخ أحمد الأغر في ٧ من محرم الحرام سنة ١٢٢٦هـ/ شباط (فبراير) ١٨١١م على ستة أسهم من ذرية الواقف فكان سهمان من نصيب أبناء حسين بيهم وهم محمد ويوسف وعمر وناصر (الراشدون) ومصطفى وعبد الله (القاصران).

نشأ محمد بن عبد الله بيهم قرب زاوية الإمام الأوزاعي و كانت في مواجهتها زاوية إبن عراق أو قبة العشرة[١]. وعلى بعد أمتار من بيته

---

(١) **محمد بن عراق**: محمد بن علي ابن عبد الرحمن بن عراق الدمشقي الشافعي. من أولاد الجند المماليك الجراكسة. ولد في دمشق سنة ١٤٧٣م. زار بيروت سنة ١٤٨٩م واجتمع بشيخه علي بن ميمون المغربي الصوفي في زاوية الحمراء الملاصقة للجامع العمري الكبير، كما زار مقام الإمام الأوزاعي. وفي سنة ١٥١٧م عاد إلى بيروت مبتعداً عن مضايقات العثمانيين وبنى في محلة السوق الطويلة داراً لعياله ورباطاً لمريديه ثم قصده الناس لأخذ الطريق عنه وازدحم العلماء والتلاميذ على بابه. وكان يأمر مريديه بحفظ القرآن الكريم. وكان يقول كل ليلة بعد صلاة العشاء أبياتاً هي:

كلام قديم لا يمل سماعه ... تنزه عن قلبي وفعلي ونيتي

به أشتفي من كل داء وإنه ... دليل لعلمي عند جهلي وحيرتي

فيا رب متعني بحفظ حروفه ... ونوّر به قلبي وسمعي ومقلتي

ولا تزال زاويته قائمة حتى تاريخه وهو الأثر المملوكي الوحيد الباقي في بيروت وكان مؤلف هذا الكتاب سنة ١٩٩١م أول من نبّه إلى أهميتها الأثرية وإلى ضرورة ترميمها والمحافظة عليها.

جامع النوفرة. فشب على تقوى الله تعالى وعلى أصوات المؤذنين والقراء تتردد في آذانه، مما سيكون له أكبر الأثر فيما بعد في تصرفاته ومعاملاته.

ولد محمد عبد الله بيهم وفي فمه ملعقة من ذهب فلم يستسغ أن يأكل بها دون الفقراء فأخذ يفرق بها من صحن صدقات ماله ويطعم الجياع والفقراء والمحتاجين.

وبعدما انتقل من بيت عائلته القديم قرب زاوية الأوزاعي وسكن في القصر المنيف الذي بناه والده الحاج عبد الله بيهم. نشأ ميالاً إلى العلم ولم يكن في البلدة مدارس، فكان يتردد على علماء عصره ويأخذ عنهم. كان تعلم اللغة الأجنبية نادراً جداً، أخذ محمد بيهم يتابع الدروس باللغة الفرنسية عن المعلم الياس حبالين في مدرسة الروم الكبرى المسماة «الثلاثة أقمار» الذي كان مركزها قرب السراي القديمة وكان من تلامذتها: محيي الدين بيهم ومحمد عرداتي وأحمد دريان وعبد القادر الدنا وأسكندر العازار وطانيوس عبده وجبران تويني وغيرهم[١].

اشتغل محمد عبد الله بيهم على طريقة والده وأعمامه بالتجارة مع الشرق أولاً ثم مع أوروبة، فكان مثال الإستقامة وحسن المعاملة والأخلاق الحميدة الرضية. وكانت التجارة في وقته تعني ما تتضمنه أحرف لفظة التاجر من معان. فالتاء تعني التقوى والألف تعني أمانة والجيم تعني الجرأة والمغامرة والراء تعني الرحمة والنظر إلى ميسرة، فالتاجر تقي يخاف الله، أمين صادق يرتبط بالكلام واللسان، وهو جريء مغامر، وهو أخيراً رحوم يصبر على مدينه ويقدر ظروفه ولا يتوانى عن منحه الأجل المطلوب للتسديد ويهب لمساعدته عند المعسرة والإعسار.

(١) الكشاف ١٩٢٧ ص٢٤٥.

٢ - زواجه:

في تموز (يوليو) ١٨٦٧م تلألأ قصر عبد الله بيهم بالأنوار احتفالاً بزفاف محمد بن عبد الله بيهم على بنت عمه سعدى بنت عمر بيهم والذي تم بحضور الوالي والأعيان.

أرخ الشاعر عمر الأنسي هذا الزفاف بقصيدة من بحر البسيط تجلى فيها توشيح بديع مطلعها:

تقارن النيّران الشمسُ والقمرُ   فأشرق الطالعان السعد والظَفَرُ
وقام داعي الهنا يدعو السرور لنا   يزفه المطربان الناي والوتر

ويقول فيها:

زفافه كان عيداً للقلوب به   من المسرات عدّ ليس ينحصر
فيا محمد طب نفساً فقد حمدت   عقبى زفافك والفالات تعتبر
ونل من اليمن والإقبال كل منىً   فيه النجاح وفيه الفوز والظفر
واهنأ بشمس عُلاً زُفّت على قمر   وقل أفدنا التهاني منك يا عمر
لبيك ها أنا بالبشر أأرّخه   في طالع السعد أمسى الشمس والقمر[1]

وتميز الإحتفال بتقديم مسرحية في القصر نظمها خصيصاً للمناسبة ابن عم العريس الشيخ حسين عمر بيهم بعنوان «الرواية الجميلة بتزويج جميل بجميلة» ومثلت بعد ذلك في دار الولاية (أي دار سكن الوالي).

انتقد بعضهم حينئذٍ بعض موضوعات المسرحية زاعماً أنها من الملاهي الممنوعة والملاعب غير المشروعة فأشار الشاعر عمر الأنسي لذلك ورد عليه قائلاً:

قل للجهول الذي أضحى يعارضنا   ذببت ويحك مهلاً فاتك الشنب

---

(١) ديوان الأنسي ص١٣٥.

عفا المهيمن عن قوم سماجتهم لدى السماحة عنها يرفع الغضب
وشرف اللّه قوماً شرفوا كرماً ملاعباً لهم الأفراح تجتلب
بنو أبيهم هم في كل منقبة لها المكارم أمّ والكمال أب
قاموا بها حول عبد اللّه في فرح كأنه البدر ضاءت حوله الشهب
قوم أقاموا على تقوى الآله كما قاموا بما فعله أو تركه يجب

إلى أن يقول:

رواية كلها فضل ومعرفة وحكمة ومعان كلها نخب
وجميلة ينسب الجميل لها فليس يطرأ إطراء ولا كذب
باهت بتشخيص أحوال فكم شخصت لها عيون محا من عجبها العجب
فقل لمن رام يحكيها معارضة لقد حكيت ولكن فاتك الشنب[(١)]

وقد سارت أسرة بيهم على تشجيع الأدب المسرحي. ففي نيسان (إبريل) ١٨٧٦م جرى في قصرهم وبمناسبة ختان محمد راشد ابن حسين عمر بيهم، تشخيص مسرحية «ولادة بنت المستكفي مع الوزير ابن زيدون» من تأليف الشيخ إبراهيم الأحدب. وقد مثلت بحضور متصرف جبل لبنان وقناصل الدول والأعيان. وأعيد تمثيلها في دار محيي الدين عمر بيهم بحضور والي سورية أحمد حمدي باشا[(٢)].

٣ ـ أخلاقه وشمائله:

كان بشوشاً يسلّي المحزون ويضحك المغبون. يزور العلماء

---

(١) حديقة الأخبار ٤٦٧ تموز و٤٨٩ كانون الأول ١٨٦٧م.
عمر الأنسي. المورد العذب ص٤٤.

(٢) ثمرات الفنون ٥٣ و٥٤ نيسان ١٨٧٦م ومحمد يوسف نجم. روايات إبراهيم الأحدب ص٩٣.

ويحضر في بعض الأحيان دروسهم صار منزله منهلاً للواردين ومرجعاً للوافدين فيتلقى من يرد إليه بالبشر والطلاقة ويبذل جهده في قضاء حاجة من له به أدنى علاقة، مع الحشمة وحسن المسامرة والسياسة. رأى العلوم دراسة والهمم يابسة فسعى في بناء المدارس وسقي المغارس. تمتع ببديهة مطاوعة. وجد السبل مخوفة والأحوال منتهبة وحاول إصلاح الأمور بنفسه، فرفض الدعة وترك الركون إلى الراحة بطوية صحيحة وعزيمة صريحة متحملاً التعب والنصب. إذا سمع موعظة دمعت عينه وخشعت نفسه. وإذا ذكر الله وجل قلبه واطمأن صدره. ما كان إلا صاحب دين عمل للآجلة لا صاحب دنيا يعمل للعاجلة.

حاز حمد الوصف والفعل لم يوفِ حقه مادح. ورث الإرشاد والتقوى عن خير والد، أقبلت عليه الدنيا وازداد وجاهة وشهرة ونالَ حظاً من الثروة في تجارته فاجتمعت له الدنيا والدين معاً. حوى كرم الطائي وهمة آصف وحذق إياس، جمعت فيه الشمائل وجمعت في ذاته المكارم وارتدى منها أحسن رداء، كانت له في كل فضل مناقب هي في جيد الزمان قلائد.

كان للمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً. ما رأى مسكيناً إلا كان له مالاً مكان ماله وأهلاً مكان أهله وما رأى يتيماً إلا كان له أباً مكان أبيه. يعين الكسير بالجبر. ما أنصف إذ وصف.

أخبرنا المرحوم الحاج محمد رضوان عن والده أن محمد عبد الله بيهم كان يتوجه إلى ساحة البرج ظهراً فيختار عدداً من الشباب الذين فاتهم قطار العمل لذلك النهار، فيأخذهم إلى حديقة قصره في رأس بيروت، ويختلق لهم أعمالاً مختلفة. فيكلف واحدهم بحفر بقعة معينة. ويكلف الآخر بجمع الأشواك والأوراق اليابسة، ويطلب من الثالث تشذيب الأغصان وهكذا ثم ينقدهم أجرتهم اليومية المعتادة.

كما أخبرنا بأن بعض الشبان وقد ضاقت بهم السبل اتفقوا ذات يوم على التسلل إلى قصر محمد بيهم وسرقة ما خفَّ حمله وغلا ثمنه. وعينوا ليلة تنفيذ الخطة. ويبدو أن صديقاً لهم علمَ بالأمر فأعلمَ صاحب القصر بموعد العملية.

وفي منتصف تلك الليلة حضروا فوجدوا الباب الخارجي للقصر غير مقفل فقالوا لبعضهم يبدو أن الجماعة نسوا أن يقفلوه. ثم تقدموا إلى الباب الداخلي ففوجئوا بصاحب القصر يفتح الباب وينير الأضواء ويقول مُرحِّباً بهم: أهلاً أهلاً بالشباب، لقد تأخرتم تفضلوا تفضلوا. وأدخلهم إلى غرفة الطعام فإذا المائدة جاهزة ونادى الخدم لخدمة الضيوف وتعشى معهم وكان قد وضع أمام كل منهم صرة فيها بعض الدارهم وقال لهم بعد العشاء: اعتبروا ما في هذه الصرة رأسمالاً يعمل به كل منكم ما يعتقد أن بإمكانه أن ينجح به.

وخرج الشباب مشدوهين يدعون له ويمطرونه بعبارات الشكر والثناء والدعاء.

٤ ـ المناصب التي تولاها:

شعر المسؤولون في الإدارة الحاجة إلى الإنتفاع بموهبة محمد بيهم فسألوه أن يترأس مجلس بلدية بيروت فقبل ذلك سنة ١٨٩٢م.

وأقيمت سنة ١٨٩٤م حفلة تكريمية للوالي وألقى فيها محمد بيهم خطاباً قال فيه: «إنما جرأني على هذا الموقف اختيارك وتفضلك بتعييني رئيساً للبلدية بل خادماً لوطني العزيز وبين إخواني الكرام ولي الفخر فبلساني ولسان الهيئة البلدية ولسانهم أقدم فرائض الأدعية الخيرية بخلوص النية وصدق العبودية للذات الشاهانية الساهرة على رفعة واعلاء شؤون الدولة العلية ورفاه وأمن وراحة الرعية فالله أسأل وبأنبيائه الكرام

أتوسل أن يديم خلافته محفوفاً بالنصر والتأييد والعمر المزيد وأن يحفظ ذاتك أيها المولى الأصيل النبيل لمتابعتك أفكار ونوايا حضرة متبوعنا الأعظم بالمحافظة على الأمن والأمان وإزدياد الثروة والعمران وأقابل بمزيد الشكر والامتنان عناياتك الأكيدة وأياديك البيضاء العديدة على دائرتنا البلدية فإنك وأيم الله قد قلدت عنقها بأطواق منن يفنى الزمان ولا تفنى نعم يا بني وطني وإخواني الكرام إن معمورية البلاد كما تعلمون متوقفة على إحدى ثلاث إما التجارة وتعلمون إلى ما صارت وإما الصناعة وحبذا هي وإما الزراعة وأين هي وما خلا عن أحد هذه الثلاث فلا يقوم إلا بحسن الترتيب والانتظام ومعدات الراحة والرفاه بحيث يكون جالباً للمترددين من النواحي والأقطار بما يعود بالثروة على الغني والفقير والرفيع والوضيع فبيروتنا إذاً من هذا القبيل فإن موقعها الجغرافي مع طيب مائها وجودة هوائها يساعد على سيرها وتقدمها بالمعمورية بظل الحضرة السلطانية خصوصاً وقد رمقتها بعين عنايتها وجعلتها مركزاً للولاية ومنت بإيجاد المرفأ والسكة الحديدية ووجود الإدارات الرئيسية والنظارات العمومية إلى غير ذلك من أسباب العمران.

وإذ قد عرف حضرة ملجأ ولايتنا السامي المدارك ضرورة تنظيم بيروتنا حفظاً لثروتها وازدياد تقدمها ومعموريتها قد مد يد المساعدة والعناية لهذه الغاية ورمق بلديتنا بالتفاته العالي ومهد لها سبيل النجاح بمدها بآرائه السديدة الثابت ويذب عن حقوقها حاضرة كانت أو غائبة فها هي يا مولاي والعموم تتقدم إليك بعرض الشكر والثناء وفرائض الدعاء وتستمنحك مزيد نعم ولا مزيد ولا أزيد إذ الأمر ظاهر وكلنا بك يباهي ويفاخر. وأنت أيها الوزير الخطير (نعوم باشا المتصرف) طالما شنفت أذاني مدة تشرفي بوجودي في دار السعادة بذكر صفاتك الأسمية حتى حقق الخبر الخبر.

والآن فلنشترك جميعاً بتكرار الأدعية لباري البرية بحفظ وتأييد حضرة مولانا وسلطاننا ذي الشوكة والإقتدار السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان الذي غمرنا بالفضل والإحسان قائلين مرددين باد شاهم جوق شاهم»[1].

وشمر محمد بيهم عن ساعد الجد ووجه اهتمامه لاكمال تنفيذ مشروع توسعة سوق الفشخة وهو الشارع الممتد من ساحة السراي قرب جامع الأمير عساف وصولاً إلى باب إدريس والذي أطلق عليه فيما بعد الشارع الجديد ثم أصبح أثناء الإنتداب شارع ويغان.

وفي شهر أيار ١٨٩٤م احتفل بتدشين الشارع الجديد فألقيت عدة خطب منها خطبة للمطران يوسف الدبس. كما ألقى محمد بيهم خطاباً هاماً قال فيه:

«أمر بديهي لا يختلف فيه إثنان، أن تزايد السكان يقضي بتوسيع المكان. وإزدياد الحضارة يستوجب النضارة.

بنَت أسلافنا الأوائل رحمهم الله أبنية البلدة القديمة كما تعلمون متلاصقة متراكمة اضطراراً ليكونوا داخل السور. ومع ذلك فقد فتحوا جزاهم الله خيراً شوارع كافية إذ ذاك لمرور وعبور الأهالي الذين لم يكونوا ليتجاوز عددهم العشرين ألفاً من النفوس. أما الآن فحيث اتسع نطاق البلدة واستبدل السور الحجري بسور الأمن والأمان بظل حضرة مولانا وسيدنا الخليفة الأعظم، فأينما أتجه الإنسان يجد الأبنية المشيدة. ولما كان قد تضاعف سكان بيروت إلى خمسة بل إلى ستة أضعاف ما كانت عليه بتلك الأزمان ولم تزل أسواقها على ما كانت عليه، وكان

---

(١) اللسان عدد ١٥١٩. سنة ١٨٩٤م.

تكاثر العائلة القاطنة في بيت واحد يقضي عليها بتوسيع ذاك البيت بنسبة عددها، كان من باب أولى وألزم توسيع الشوارع والأسواق بما يعم نفعه عموم السكان مادياً وأدبياً وصحياً.

فالمادي كما تحقق ذلك الجميع بالإمتحان. فإن كل شارع ينظم تتحسن قيمته وأجوره. وأدبياً فإن من يأتي بيروت ويجدها على غير ما يسمع عنها من الإنتظام، فلا بد من أن ينسب لنا نحن الأهالي القصور والتواني. وأما صحياً فإن اتساع الشوارع يجعل مجالاً للهواء ومنع التعفنات، إلى غير ذلك من المحسنات. وإذا ارتأى حضرة والينا الهمام العظيم الشأن الضرورة إلى ذلك، فقد بذل عنايته المشهورة لهذه الغاية المبرورة، وصار إجتماعنا هنا لمباشرة العمل بفتح الشارعين المقرر فتحهما...»[١].

وكان الشارع الثاني من باب السراية إلى المرفأ (المعروف حالياً بشارع فوش).

رأى محمد بيهم أثناء توليه رئاسة المجلس البلدي بعض الأولاد وذوي البطالة يعيثون في المدينة فساداً ويرتكبون المحارم في سبيل تحصيل ما يتعيشون به، فأوعز من يبلغهم بالحضور إلى محل عبد الرحمن نعماني فيعطي كلاً منهم واجهة يحملها في عنقه عليها بضائع مختلفة كأوراق الكتابة والبضائع الصوفية والقطنية والكتّانية وغيرها من ماله الخاص، فيطوفون بها ويبيعونها في الأسواق، فيحصلون بريعها على ما يتعيشون، فتنقطع شرورهم ويتمرنون على العمل وينبذون البطالة والكسل[٢].

---

(١) لسان الحال عدد ١٦١٤ أيار ١٨٩٤م.
(٢) ثمرات الفنون ٩٦١ كانون الثاني ١٨٩٤م.

وكانت قد تألفت لجنة لتخمين الأماكن الواقعة على جانبي طريق الفشخة من السادة: إبراهيم طيارة، خليل البربير، عبد الرحمن عيتاني، بشارة الهاني، محمد أبو عمر الداعوق، نقولا منسى، وحنا شكور طراد[١].

وحصل نتيجة ـ توسيع سوق الفشخة خلاف بين الدائرة البلدية وأصحاب الأملاك فتألفت لجنة برئاسة المفتي الشيخ عبد الباسط الفاخوري والسادة نقيب الأشراف عبد الرحمن النحاس ومحمد بيهم (رئيس المجلس البلدي) ومحيي الدين القاضي ونخلة بسترس وجبران تويني وحبيب طراد ويوسف عرمان ويوسف (الخياط) المهندس[٢].

وفي سنة ١٩٠٥م انتخب محمد بيهم عضواً في مجلس إدارة ولاية بيروت[٣].

وفي كانون الثاني ١٩١٤م عين محمد بيهم عضواً في مجلس الأعيان العثماني عن بيروت[٤].

والجدير بالملاحظة أن وكيل والي بيروت زار سنة ١٩١١م محمد بيهم في منزله الذي أصبح فيما بعد بيت عمر بك الداعوق، فأعجب بأخلاقه وغيرته على مصلحة الأمة واعتبره عميداً للطائفة الإسلامية.

ثم زاره مرة ثانية وعرض عليه رئاسة مكتب الصنائع ولكن محمد بيهم اعتذر لأنه كان «يعتقد أن بروغرام (برنامج) الذي سنته الحكومة لا

---

(١) ثمرات الفنون ٩٧٤ نيسان ١٨٩٤م.
(٢) ثمرات الفنون ١٠٢٨ أيار ١٨٩٥م.
(٣) لسان الحال ٤٨٠٨ سنة ١٩٠٥م.
(٤) لسان الحال ٧٤٣٨ و٧٥٢٠ سنة ١٩١٤م.

يجعله في المكانة التي يتمناها»[1].

٥ ـ دوره الوطني والإصلاحي:

وكان محمد بيهم قد دعا في نيسان ١٩١١م إلى داره نخبة من كرام بيروت لإزالة سوء تفاهم وقع في ما بين البعض منهم فيما يختص ببعض المسائل العمومية التي كانت سبباً لظهور الفتن بينهم حفظاً لمصلحة الوطن من أن تعبث بها أيدي الإختلافات والغايات[2].

ثم دعا علماء بيروت وأعيانها وتذاكروا بموضوع تأليف مجلس ملي إسلامي برئاسة المفتي. ثم عقد اجتماعاً في بيت المفتي (الشيخ مصطفى نجا) تم فيه انتخاب أعضاء المجلس الملي الإسلامي من خمسة عشر عضواً بحيث يكون فيه المفتي ونقيب الأشراف عضوين دائمين دون انتخاب.

وانتخب السادة أحمد عباس الأزهري، أحمد حسن طبارة، أحمد العيتاني، سليم علي سلام، سليم البواب، عبد القادر قباني، عمر الداعوق، عبد الحميد الغندور، عبد الغني العريسي، محمد عبد الله بيهم، محمد إبراهيم الطيارة، الشيخ محمد البربير، والشيخ مصطفى الغلاييني. وانتخب لهيئة إدارته محمد بيهم نائباً للرئيس وأحمد عيتاني أميناً للصندوق ومصطفى غلاييني أميناً للسر وأحمد طبارة محاسباً[3].

يذكر أن مجلس إدارة ولاية بيروت ألّف سنة ١٩٠٥م، لجنة للنظر في توفير نفقات تأسيس مستشفى للبلدية فعهد برئاستها إلى محمد عبد الله

---

(١) جريدة المفيد ٦٦٤ نيسان ١٩١١م.

(٢) المقتبس ٦٥٣ نيسان ١٩١١.

(٣) الإتحاد العثماني. الأعداد ٧٨٢ و٨٠١ نيسان وأيار ١٩١١م.

بيهم. وأن محمد بيهم تولى ويوسف سرسق الرئاستين الفخرية لجمعية الملجأ الصحي للتدرن.

وكانت رياح الإصلاح قد هبت في أرجاء الدولة العثمانية وتعددت النظريات حول السبل الكفيلة بإصلاح المجتمعات.

واقترحت جريدة لسان الحال مقالة في طرق الإصلاح في بيروت وتلقت عدة مقالات من جملة كتاب، وكان محمد بيهم من ضمن من كتب بذلك مشيراً إلى أن الجهل هو سبب علة الأمة وأن العلاج في العلم:

«خطر لي بهذه المناسبة قصة ذلك الملك الذي أدرك انحطاط مملكته وجمع إليه الوزراء والكبراء وشكا إليهم تعاسة الأحوال ورغب إلى كل منهم أن يكشف له الحجاب عن الأسباب ويشير إلى ما يرتأيه من العلاج. فاستمهلوه برهة يُهيّء كل منهم لائحة بما يراه فلما حان وقت الإجتماع أتى كل منهم بلائحة وقدم أحدهم وريقة صغيرة محرر عليها (العلة ر.ر والعلاج منعهما) فحين تناول الملك تلك الوريقة استشاط غضباً وقال له ما أظنك إلا مجنوناً. أمملكة وشعبها تشخص اعتلالها وتصف علاجها بوريقة تحتوي حرفين!؟ وأمر به إلى البيمارستان فاستماح ذلك الوزير حلم الملك قائلاً يا مولاي. مجنون يتكلم وعاقل يتفهم. فانتهره وقال أوضح فقال قصدت يا مولاي بالراء الأولى راء الرشوة وبالراء الثانية راء الرجاء وبمنع الرشوة والرجاء تستقيم الأحوال فيحنئذٍ سري عن الملك.

وعليه فإني أتقدم بوريقتي هذه وأقول إن علتنا نحن العثمانيين (الا المتنورين وقليلاً ما هم) حرف واحد لا حرفان وهو **ج**.

نعم جيم الجهل وعلاجنا حرف واحد هو: **ع**.

نعم عين العلم. فجيم الجهل جنت علينا وعين لعلم عميت علينا (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون).

إنا للَّه وإنا إليه راجعون. فيا من فيه عرق نابض وفي قلبه ذرة من الإنسانية اترضى لأمتك أنواع المحن دون البرية. ألا فلينهض كل منا لإيجاد المدارس وإحياء العلم الدارس. المتمول بماله، والخطيب بمقاله، وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته. الصارخ المكتوم - بل الصائح المكلوم»[١].

كما كتب قنصل فرنسا العام في بيروت في ١٧/٥/١٩١١م إلى وزير خارجيته يعلمه باختيار والي بيروت محمد بيهم والفرد سرسق لتحية السلطان لما لهما من مركز وتقدير في بيروت[٢].

كما اقترحت جريدة لسان الحال سنة ١٩١٢م على والي بيروت إدخال أعضاء من الأجانب في مجلس بلدية بيروت كما حصل قديماً. فأبدى محمد بيهم رأيه بهذا الأمر مؤيداً قال:

«طالعت في جريدة لسان الحال الغراء بمناسبة انتخاب البلدية اقتراح على عطوفة والينا النزيه والأهلين الكرام إدخال أعضاء من الأجانب فحبذت الفكرة لا سيما وأنه قبل وضع النظام الحالي كانت البلدية مشكلة من نخبة ذوات البلدة وكان بينهم من الأجانب الكونت دي برتوي والخواجا بلاك والخواجا جورج لوريلا وربما غيرهم أيضاً. ولم أجد ما يمنعهم سوى ما أشار إليه حضرة صاحب جريدة الرأى العام الأغر وهو عدم مساعدة القانون فإن ملاحظته هذه بمحلها إنما يمكن إدخالهم

---

(١) لسان الحال عدد ٦٣٨٤ تاريخ ٢٢/٧/١٩٠٩م.

(٢) د. عادل إسماعيل: المراسلات الدبلوماسية ج١٨ ص٣٥٩.

كمستشارين أو كمعاونين علاوة على الهيئة الوطنية ومعلوم أن خدمة البلدية هي صرف خدمة إنسانية إعمارية وهم ليسوا بعيدين عن القيام بهذا الوجب حالة كونهم مواطنينا يهمهم ما يهمنا من النظام والانتظام خصوصاً أنهم ناشئون في بلاد منظمة بل كل منهم يأسف ويتأوه لعدم النهضة لتنظيم البلدة حسبما تقتضيه شهرتها وقابليتها بحيث تكون روضة غناء.

ومعلوم أن بيروت خالية من الزراعة والصناعة وبعد أن كانت مركز عموم تجارة سورية قد تحول عنها قسم عظيم من تجارتها لباقي الأساكل وسيتحول أيضاً ولا أمل بتقدمها إلا بتنظيمها بحيث تكون مورداً للمتنزهين. وحيث أن وزارتنا الجليلة اعتمدت على الإستعانة بالإختصاصيين من الأجانب فلم يعد ما يمنع إدخال غير أصحاب الإمتيازات منهم في مجلسنا البلدي كما ذكرنا. على أننا أرجو أن تتبع دولتنا العلية خطة اليابان بالإستعانة بجملة كافية وافية منهم وتوجيه ألوف من أبناء العثمانيين لمدارسهم بحيث تتفق مع عموم الدول على قبول تلامذة العثمانيين بفئة معتدلة ليسهل على من هم من الدرجة الوسطى إرسال أولادهم. وما عليها إلا أن تذكرهم بالألوف المؤلفة التي كانت تأتي لمدارس الأندلس وغيرها من أبنائهم وهي كانت الواسطة الوحيدة لتأسيس مدنيتهم ورقيهم (والبادي أكرم) وإذا لم تتبع هذه الخطة لا رقي ولا نجاح ولا صلاح ولا إصلاح وقد قال رسول الله ﷺ (استعينوا بكل صنعة بصالح من أهلها) وقال: (أطلبوا العلم ولو بالصين). وقال: (الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها). هذا ما اضطرتني إليه الوطنية والعثمانية لابدائه مع اعتزالي حتى اشغالي الخصوصية ولكل رأيه (وفوق كل ذي علم عليم)[١].

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ١٢٨٥ تاريخ ١٩١٢/١٢/٢١م.

وكان ستة وثمانون شخصاً من وجهاء بيروت ومثقفيها عقدوا في ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٢م. إجتماعاً أسسوا فيه «جمعية الإصلاح العام في ولاية بيروت» وانتخبوا لجنة من ٢٥ عضواً لصياغة المطالب الإصلاحية إستجابة لسياسة اللامركزية التي كان ينفذها حزب الحرية والإئتلاف والأعضاء هم: أحمد مختار بيهم، سليم علي سلام، محمد إبراهيم طيارة، أحمد حسن طبارة، حسن الناطور، جميل الحسامي، عبد الحميد الغندور، عبد الباسط فتح الله، إبراهيم حكيم، سليم البواب، محمد فاخوري، جان نقاش، رزق الله أرقش، فؤاد حنتس، جان بسترس، بترو طراد، أيوب ثابت، خليل زينية وجان تويني..

وزار محمد بيهم ويوسف سرسق نادي جمعية الإصلاح وعرضت اللجنة عليهما أن يكونا رئيسين فخريين فقبلا بين تصفيق الحضور[١].

إلا أن سقوط حكومة هذا الحزب وتأليف وزارة إتحادية أدى إلى إعتبار الحركات الإصلاحية خيانة. فعزل والي بيروت أدهم بك وعين مكانه حازم بك والياً، فأمر في ٨ نيسان ١٩١٣م بحل الجمعية الإصلاحية وإقفال ناديها فأثار هذا الأمر نقمة الأهالي وظهرت الصحف المحلية في اليوم التالي بيضاء لم تنشر سوى قرار الحل ضمن إطار أسود. وبناء لدعوى أعضاء الجمعية أقفلت حوانيت بيروت. فجرى إلقاء القبض على بعض الأعضاء وتم إغتيال زكريا طبارة وأشيع أن الوالي أوعز أيضاً باغتيال أحمد مختار بيهم. وهنا تدخل محمد عبد الله بيهم ويوسف سرسق لدى الوالي فأعطاهما ضمانات بإخلاء سبيل الموقوفين وإصدرا نداء بفتح المحلات جاء فيه:

---

(١) الحقيقة. عدد ٥٢٤ آذار ١٩١٣م. ود. عادل إسماعيل: المراسلات الدبلوماسية والقنصلية ج١٩ ص٤٢٢ و٤٢٩.

«أيها الأخوان الكريم. نرجوكم بلسان الإنسانية والمروءة وشرف الوطن المقدس أن تعودوا إلى أشغالكم وتفتحوا محلاتكم التجارية، وبهذا العمل تكونوا برهنتم على وطنيتكم العثمانية الصادقة. وإطاعة أوامر الحكومة السنية. حيث لا يجوز بوجه من الوجوه قطعاً ترك المحلات مقفلة لأنه يعود بالضرر على الوطن العزيز. فكل من عنده محبة لوطنه يجب عليه المساعدة بذلك وأن يظهر استعداده التام لمساعدة الحكومة السنية وإطاعة أوامرها المقدسة (التوقيع يوسف سرسق ـ محمد عبد الله بيهم) ونشرت المفيد ما جاء في برقية والي بيروت للصدر الأعظم وفيها «أتى إلى هذ العاجز بصورة مخصوصة أكبر ممتازي وأشراف ومعتبري البلدة نظير محمد بك بيهم يوسف بك سرسق والتمسوا إخلاء سبيل الأشخاص الخمسة الذي جرى توقيفهم وتسليمهم إلى ديوان الحرب..»[١].

وفي غمرة الحركة الإصلاحية أصدر عمر فاخوري كتابه «كيف ينهض العرب» مُحدثاً ضجة فلوحق الكاتب وصودر الكتاب[٢].

---

(١) المفيد ١٢٥٢ نيسان ١٩١٣م. عبد اللطيف فاخوري. كتاب عمر فاخوري كيف ينهض العرب ص٥٢.

(٢) أصدرت المكتبة الأهلية في بيروت خلال شهر تشرين الأول ١٩١٣م كتاب عمر فاخوري «كيف ينهض العرب» فذهب من همس بأذن والي بيروت أبي بكر حازم بك أن في الكتاب استهانة بالرابطة العثمانية ودعوة لإحلال الرابطة العربية مكانها. فقرر الوالي إتخاذ إجراءات مصادرة الكتاب وملاحقة كاتبه، وتمكن محمد فاخوري نسيب الكاتب من إقناع الوالي بالكف عن الملاحقة لصغر سن المؤلف لقاء إتلاف الكتاب بعد أن جاء الأمر من نظارة الداخلية بمصادرته. يذكر أن بعض ما جاء في الكتاب كان قد نشر قبل ذلك في جريدة المفيد. وقد فصلنا كل ذلك في تحقيقنا للكتاب.

وكانت جمعية الإتحاد السوري في أميركا قد أرسلت إلى محمد بيهم برقية إثر تعطيل الجمعية الإصلاحية قالت فيها: «لقد احتججنا لدى الصدارة العظمى على تعطيل الجمعية الإصلاحية في بيروت. إقبلوا تحياتنا الأخوية وولاءنا الخالص المتين»[1].

فأرسل محمد بيهم إلى الجمعية المذكورة في نيويورك كتاباً بعنوان «حب الوطن من الإيمان» جواباً على برقيتها التي أرسلتها إليه معلنة فيها إحتجاجها على حل الجمعية الإصلاحية في بيروت وإقفال ناديها لدى الصدارة العظمى كما ذكر أعلاه وهذا نص الجواب قال:

لا شيء عن طلب الإصلاح يثنينا　　نثري ونقوى فلا نبقى مساكينا
حفظاً لذا الملك في ظل الهلال فذا　　واللّه يا قوم يحميه ويحمينا
يا آل عثمان لا نبغي بكم بدلاً　　واللّه يشهد لم يخطر لنا حينا
لكننا نرتجي الإصلاح يرمقنا　　يحيي البلاد ويحييكم ويحيينا

حضرات الأخوان الأكرمين الوطنيين الغيورين المحترمين أعزهم الله.

سلام واحترام. سلام عليكم يا من هجرتم (على الرغم منا ومنكم) وطناً لم يكن له في الكون مثال إلى بلاد لم تكن شيئاً مذكوراً أحيتها يد المفكرين والعمال قصد العيشة الراضية في بلاد راقية. نعم فارقتم بلاداً أفقرها وأضنكها الجهل والكسل إلى بلاد أغناها العلم والعمل. سرتم من بلاد توحش وتقفر (بعد أن كانت هي العامرة الآهلة) إلى بلاد تزهو وتثمر (بعد أن كانت خاوية خالية).

وإذا نظرت إلى البلاد رأيتها　　تشقى كما تشقى العباد وتسعد

---

(١) المفيد ١٢٦١ نيسان ١٩١٣م.

ومع هذا أيها الكرام ما أخالكم إلا مرددين قول الشاعر:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى — وحنينة أبداً لأول منزل

فحيا الله وطنيتكم وأن أكبر دليل هو تلغرافكم الكريم المنبيء على إحتجاجكم لدى الصدارة العظمى على تعطيل جمعية الإصلاح الذي وصلني بوقته كما ترون بالجرائد المحلية والكل لخطتكم شاكر ولوطنيتكم ذاكر فحياكم الله وأحياكم وجمع شمل الوطن بلقاكم فإنه بدون الإصلاح لا فلاح ولا نجاح ولا يكفي ما فقدناه من البلاد التي تفتتت عليها الأكباد وأن في مبارحتكم ومئات الألوف من شبان الوطن أكبر عبرة. ألهم الله دولتنا العلية لما به خيرها وخير الرعية لتحفظ كيانها ويقوى سلطانها فانصحوا ما استطعتم فإن الدين النصيحة وحب الوطن من الإيمان دامت غيرتكم ودمتم للأوطان آمين. في ٢٩ نيسان ١٩١٣»[١].

نشير إلى أن محمد بيهم استعار قوله «لا شيء عن طلب الإصلاح يثنينا» من قصيدة بعنوان «الإصلاح» من نظم الشيخ مصطفى الغلاييني نشرت في جريدة المفيد في آذار (مارس) ١٩١٣م ومطلعها:

لا شيء عن طلب الإصلاح يثنينا — ولا القواضب عن مغناه تكوينا

لا خير في العيش والبيئات فاسدة — يحوطنا البؤس واللأواء ترمينا

وقال في ختامها:

جاءتك تبتغي الإصلاح غادية — هتانة الغيث تسقينا فتروينا

آمين آمين لا نرضى بواحدة — حتى نضيف عليها ألف آمينا[٢]

ومن الأهمية أن نشير في هذا المجال إلى أن جبران التويني نشر سنة ١٩١٣م قصيدة موجهة إلى الوالي أبي بكر حازم بك قال فيها:

---

(١) اللسان عدد ٧٢٢٧ تاريخ ٣/٥/١٩١٣م.

(٢) المفيد عدد ١٢١٧ آذار ١٩١٣م.

أبا بكر فلا تعجل علينا وأنظرنا نُخبِّرْكَ اليقينا
بأنّا لم ننم للذل يوماً ولم نرضخ لظلم الفرد فينا
أبا بكر رويدك لا تحاول بنا أمراً نراه لنا مهينا
فلا تقطع بظلمك حبل ود تعبنا في حياكته قرونا[1]

وفي سنة ١٩١٣م منح محمد بيهم مدالية المعارف. فنظم في المناسبة المذكورة:

تقاسمونا حرباً وسلماً وحالنا صار كالمعمَّىٰ
فليس ندري ما يكتمونا وقد غدا الوقت مدلهمّا
فلو حوينا علماً صحيحاً لما لقينا ذلاً وهضما
فهل وسام يسر قلبي وكيف ينسرّ وهو يدمى
لكن شكر السلطان فرض لا سيما إذا أراد رحمى
يا قوم هبوا إلى علوم كم ذا أنادي نثراً ونظما
به غنانا به قوانا فقد كفانا ما قد ألمّا
فالعلم غنمُ والجهل عدمُ هل يستوي باصرُ وأعمى
فيا وجيهاً ويا غنياً رحماكم النشء فهو يظما
ألا أرحموه وعلموه فإن فعلتم فيا نعما
وأن أبيتم فقد جنيتم بما يداوى من غص بالما
ويا ولاة الأمور عوناً نريد فعلاً وليس اسما

---

(١) المحروسة. عدد ١٣١٣ تاريخ ١/٦/١٩١٣م.
عارض جبران التويني في قصيدته معلقة عمرو بن كلثوم التي يقول فيها:
أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبّرك اليقينا
بأنّا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا

نـريـد عـلـمـاً يـعـمّ مـلـكـاً　　قـد ضيـع الـجـهـل منـه قـسـمـا
وهـــاك بـــاقـــيـــه داركـــوه　　مـــاذا وإلا يـضـيـع حـتـمـاً
مـا قـام مـلـك بـغـيـر عـلـم　　وكـلـمـا ازداد فـهـو اسـمـا
فـيـا بـلانـا ويـا شـقـانـا　　أن دام ذا الـجـهـل سوف نـصمى
فـلا كـبـيـر ولا صـغـيـر　　بـل كـل فـرد يـنـال سـهـمـا[1]

٦ - وفاته:

في سنة ١٣٣٣هـ توفي **محمد عبد الله بيهم**، ولم يعقب ولداً. وقد دفن بناءً على وصيته داخل مقام الإمام الأوزاعي ونقشت على شاهد قبره أبيات من نظم الفيكونت فيليب دي طرازي وهي:

دهـت بـنـي بـيـهـم بـالأمـس نـازلـة　　أودت بشهـم عَلِيٍّ القـدر والشـانِ
عـلـى سـنـد الأيـتـام حيـن قـضـى　　مـحـمـد فبكـاه آلُ حصٍّ وعيتـانـي
لما دعاه الردى، اهتزت لمصرعه　　أنحاء بيروت من قاصٍ ومن دان
وأفجعت مجالس الأعيان مَوْتتُه　　لأنـه كـان فـيـه عـيـن أعـيـان
وبـرّد الـلّـه لـحـداً قـد تـوسّـده　　وفـوقـه نـقـشـت آيـات قـرآن
مـن بـدء أيـامـه جـلّـت شـمـائـلـه　　وخَتْمُـهـا كـان تـاريـخـاً بـغـفـران
١٣٣٣هـ

نقش في ختام شاهد القبر تاريخ الوفاة على أنه سنة ١٣٣٣هـ. وقد ذكرت مجلة الكشاف (١٩٢٧م) أن تاريخ وفاة محمد بيهم في سنة ١٩١٤م.

ومن مراجعة مذكرات سليم علي سلام تبين أن محققها حدد وفاة محمد بيهم في سنة ١٣٣٤هـ.

---

(١) لسان الحال عدد ٧٢٥٢ و٧٢٥٦ أيا وحزيران ١٩١٣م.

وقد ورد في المذكرات المذكورة أن سليم علي سلام بعد أن استدعي إلى الديوان العرفي في عاليه وحقق معه ثم أفرج عنه في شهر آب سنة ١٩١٥م، أنه أخبر بعد الإفراج عنه أن محمود المحمصاني ضرب في السجن وأن السجان سأل المحمصاني «هل سليم سلام ومحمد أفندي بيهم معكم؟» أي في السجن.

ويتبين من هذا السؤال أنه في شهر آب سنة ١٩١٥م كان محمد بيهم لا يزال حياً.

وإذا علمنا أن محمود المحمصاني أعدم في ١٩١٥/٨/٢١م وأن السنة الهجرية ١٣٣٣ تبدأ في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٤م، فتكون وفاة محمد عبد الله بيهم قد حصلت بين ١٩١٥/٨/٢١م وتشرين الثاني ١٩١٥م.

أساليب
محمد عبد الله بيهم في تشجيع العلم

١ ـ شعار تعلم يا فتى فالجهل عار
٢ ـ منح ساعات ذهبية للطلاب المتفوقين
٣ ـ تشجيع تاليف وتقديم المسرحيات
٤ ـ نشر فقرات في الصحف لتأسيس المدارس والجمعيات
٥ ـ توزيع نشرات في الأسواق
٦ ـ نظم أناشيد شعبية وطبعها على اسطوانات
٧ ـ نظم ونشر قصائد تحض على نشر العلوم
٨ ـ الدعوة إلى إعانة مدرسة الصنائع
٩ ـ التبرع للمؤسسات الخيرية وأعمال الإغاثة

أساليب
محمد عبد الله بيهم في تشجيع العلم

١ ـ تعلم يا فتى فالجهل عار:

أفاقت بيروت صبيحة أحد الأيام في سنة ١٩٠٩م لتجد أن جدران بيوتها خطت عليها بأحرف كبيرة عبارة «**تعلم يا فتى فالجهل عار**» ـ وهو الشطر الأول من بيت وعجزه: والعار لا يرضى به إلا الحمار ـ.

وتبين أن العبارة المذكورة نقشت على جدران أسواق دمشق وحلب وحمص وحماه وطرابلس. استنفرت السلطات الرسمية قواتها ومخبريها لتسقّط حقيقة الأمر وكأنها خشيت أن يكون وراءه حركة عصيان أو إنقلاب. أو أن ذلك فعل جمعية ثورية سرية سيما وأن المجتمع كان يموج أيامها بالتيارات المختلفة بدءً من طلب الإصلاح واللامركزية وصولاً إلى طلب الإستقلال التام.

وتبين بعد التحقيق أن محمد عبد الله بيهم هو وراء هذا العمل. وقد اتخذ عبارة تعلم يا فتى فالجهل عار شعاراً لحملته في محاربة الجهل والتخلف والدعوة إلى العلم. وبلغ من انتشار هذا الشعار أن بعض الذين كلفوا بكتابته على الجدران، كتبوه أثناء مرورهم في محلتي المزرعة والمصيطبة في بيروت على ألواح الرخام التي كانت معامل البلاط في تينك المحلتين تصفّها أمام معاملها.

وكان المعماريون يستعملون ألواح الرخام كأرضيات للبلكونات. وكان المرحوم والدي قد صحبني يوماً إلى أحد البيوت القديمة في محلة الخندق الغميق وأراني عبارة «تعلم يا فتى فالجهل عار» كانت لا تزال منطبعة على أرضية رخامية لأحدى الشرفات.

وشاع هذا الشعار على ألسنة الشباب والأدباء في لبنان وسوريا، وأخذ الأطفال يرددونه كنقش في صدورهم. وأراد بعض التجار استغلال رواج الشعار المذكور في ترويج بضاعتهم، فأرسلوا من ينقش على الجدران بجانب عبارة تعلم يا فتى فالجهل عار، عبارة «بيرا أولمبوس» بالعربية والإفرنجية. وقد علقت صحيفة الحقيقة على ذلك بقولها: «كان بإمكان صاحب البيرا أن يكفينا مؤونة البحث إلا أنه أراد أن ينبه الأفكار إلى بيرته فأحب أن يسكر الشعب بالخمر التي تذهب بالعقول في وقت أحوج ما نكون فيه إلى الاحتفاظ بالعقل والإقتصاد بالدرهم»[١].

أشار فخري البارودي في مذكراته (ج١ ص١٠١) إلى أنه لم يدع حائطاً من حيطان الشوارع والحارات في دمشق... إلا وكتب عليه هذه الجملة: تعلم يا فتى فالجهل عار[٢].

٢ ـ تقديم ساعات ذهبية للطلاب المتفوقين:

لم يترك محمد عبد الله بيهم وسيلة لتشجيع العلم وحث الأهل على تعليم أبنائهم وبيان فوائد الدرس والتحصيل إلا واتبعها. وكانت له في ذلك أساليب مختلفة منها قيامه بالانفاق على الطبعة الثانية لكتاب مفتي بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري «الكفاية لذوي العناية» ومنها منح

---

(١) الإتحاد العثماني ٥٤٢١ حزيران ١٩١٠م.

(٢) فخري البارودي في شعره ونثره. نهال صدقي. دار القدس ١٩٧٤ ص٦٧.

الطالب المتفوق ساعة ذهبية في وقت كانت الساعات الذهبية شبه حلم عند كل طالب.

ففي تموز ١٩٠٥م نشر خبر تبرع محمد بيهم بثلاث ساعات ذهبية للأكثر إجتهاداً من تلامذة: المدرسة السورية الإسلامية التي كانت بإدارة طه النصولي، والمدرسة العثمانية، ومدرسة ثمرة الإحسان (للإناث)(١).

وفي سنة ١٩٠٧م أعلن محمد بيهم قراره منح ساعة ذهبية لكل من فاق أقرانه في طلب العلم، أي المتفوق منهم، وذلك في ست مدارس من مدارس المسلمين في بيروت ذكوراً وإناثاً استنهاضاً منه لهمم الطلاب ودفعهم إلى الإقبال على العلم(٢).

وفي سنة ١٩١٠م تبرع محمد بيهم بساعتين ذهبيتين للأكثر إجتهاداً من تلامذة المدرسة العثمانية. ففاز بالأولى أمين ميسر (من مدينة حلب) وفاز بالثانية عمر الزعني ـ الشاعر المعروف. كما أهدى محمد بيهم ساعة ذهبية للفائز من طلاب المدرسة الأدبية لصاحبيها حسن شاهين ومصباح شبقلو، فكانت من نصيب أحمد نجل الشيخ يوسف علايا(٣).

يذكر أن الأديب عمر فاخوري، والأديبة عنبرة سلام الخالدي نال كل منهما ساعة ذهبية.

وفي تموز (يوليو) ١٩١٢م احتفلت جمعية مدارس رأس بيروت العلوي باحتفالها السنوي في مدرسة البنات التابعة لها ووزعت الجوائز على عادة محمد بيهم، فنالت التلميذة آمنة حنون ساعة ذهبية، وكذلك التلميذة نظمية رمضان(٤).

---

(١) ثمرات الفنون ١٥٢١ تموز ١٩٠٥م.
(٢) لسان الحال ٥٤٦١ تموز ١٩٠٧م.
(٣) الحقيقة ٢٦١ و٢٦٧ تموز ١٩١٠م.
(٤) المفيد عدد ١٣٨ تموز ١٩١٣م.

وكان محمد بيهم يرفق هديته الساعة الذهبية ببطاقة فيها أثمن درر النصائح. نشرت مجلة الكشاف سنة ١٩٢٧م نموذج إحدى البطاقات وهو:

هدية الحقير
محمد عبد الله بيهم

إلى الأكثر إجتهاداً من تلامذة القسم النهاري في المدرسة العثمانية العامرة فتح الله عليهم فتوح العارفين بجاه طه الأمين صلى الله عليه وسلّم مصحوبة بالشكر والثناء للقائمين بشؤونها جزاهم الله تعالى جزاء الخير وخير الجزاء آمين اللهم آمين.

وعلى الجانب الآخر من البطاقة أبيات من نظمه:

دعوا الشقاق بني الأوطان واتحدوا ... لنشر علم فإن الجهل يردينا
إن لم تقوموا بهذا الفرض وأسفي ... سيصبح الشعب لا دنيا ولا دينا
فليس تنفع أقوال بلا عمل ... ولا دعاءٌ وقول المرء آمينا
وراقبوا اللّه في أبناء أمتكم ... وعلّموهم لتُحيوهم وتُحيونا[1]

ويلاحظ أنه نعت نفسه بالحقير تواضعاً وتصاغراً للّه تعالى.

٣ ـ تشجيع تأليف وتقديم المسرحيات:

ولم يقتصر الأمر على تشجيع المتفوقين من الطلاب، بل كان محمد بيهم يشجع النابهين من الأدباء على تأليف مسرحيات وتكريم مقدميها.

ففي تموز (يوليو) ١٩٠٦م أقامت لجنة مآثر التربية الإسلامية (في

---

(١) الكشاف ١٩٢٧ ص٢٤٦.

المدرسة العثمانية) في بيروت ليلة أدبية مثلت خلالها رواية «**تسبا**» وقد تبرع بتقديمها المطرب والممثل المشهور الشيخ سلامة حجازي(*) إعانة للجنة، وقد خصصت اللجنة ساعة ذهبية قيمتها عشر ليرات ذهبية يقترع عليها بين حاملي بطاقات الحضور، قدمها محمد بيهم. وكانت من نصيب ميخائيل حبيب الموظف في محل نقولا ونجيب طراد(١).

وفي شهر آذار سنة ١٩٠٨م مثلت لجنة مآثر التربية الإسلامية في المدرسة العثمانية رواية «**وفاء السموأل**» من تأليف الشيخ أحمد عباس الأزهري. وهي مأساة تاريخية من ثلاثة فصول.

افتتحت الحفلة بخطاب من توفيق الناطور(*) ثم تلاه الدكتور بشير

(*) **سلامة حجازي**: (١٨٥٢ ـ ١٩١٧م): مؤسس أول جوقة تمثيلية في مصر ومن كبار المغنين. أنشأ فرقة للتمثيل وزار البلاد العربية. حضر إلى بيروت سنة ١٨٨٧م وقدم مدائح نبوية في حفل إفتتاح جامع عين المريسة الذي بناه أبناء عبد الله بيهم على إسم أبيهم. ومن طريف ما ذكر أن الشيخ سلامة حضر إلى بيروت سنة ١٩٠٥م لإحياء حفلات تمثيلية وعندما حان موعد الحفلة تبين أن الحضور قليل عددهم جداً. فتشاءم الشيخ سلامة وأمر أحد رجاله بأن يعتذر من الجمهور بداعي المرض. وانصرف الجمهور ساخطاً وخرج الشيخ من الباب الخلفي. وذهب بعض المصريين إلى الشيخ في الفندق واقترحوا عليه أن يقوم بدور المؤذن في مسجد بيروت (الجامع العمري الكبير) عند صلاة الجمعة وأن المصلين متى سمعوا صوته وتساءلوا عنه أخبرهم رفاقه بحقيقته. ونفذ الشيخ الإقتراح فما أن بدأ الآذان حتى غصّ داخل الجامع وخارجه بالناس وانطلقت حناجرهم بالإستحسان.
وفاق الإقبال تلك الليلة على المسرح التوقعات (قسطندي رزق. الموسيقى الشرقية ج٣ ص١٣٠).

(١) ثمرات الفنون ١٥٧٢ و١٥٧٣ تموز ١٩٠٦م.

(*) **توفيق الناطور**: بيروتي المولد والوفاة. أسس أثناء دراسته في باريس =

القصار فأظهر موضوع الرواية وتاريخ حوادثها. كما قام كثير من الأدباء

= سنة ١٩٠٩م مع جماعة من رفاقه الطلاب «**جمعية الفتاة**» وكان أكثرهم همة ونشاطاً. سموها في بادىء الأمر «**جمعية الناطقين بالضاد**» ثم عادوا فأطلقوا عليها إسم «**الجمعية العربية الفتاة**» وكان هدفها نيل الإستقلال العربي ضمن الدولة العثمانية. إضافة إلى رفع شأن الأمة العربية إجتماعياً وتربوياً إلى مستوى الدول الغربية.

يذكر أن الديوان العرفي في عاليه أصدر حكماً بإعدام توفيق الناطور شنقاً. ولكن أطلق عليه الرصاص وهو على باب زنزانته فجرح جرحاً خطيراً وعندما حان وقت شنقه كان في المستشفى العسكري في بيروت. فنفي إلى قرية نائية في الأناضول.

ولم تكن فكرة القومية العربية أو العروبة في رأي توفيق الناطور قد تبلورت وقويت وجل ما وكان ورفاقه يطلبونه هو التمتع بنفس الحقوق والواجبات التي كان يتمتع بها الأتراك (زين زين. نشوء القومية العربية. ص٩٠ و٩٢ و٢٠٩).

يذكر أن جريدة المفيد نشرت نص محاضرة ألقاها توفيق الناطور سنة ١٩١٢م في بيروت بعنوان السياسة الوطنية قال فيها:

«قام ما قام من الأحزاب السياسية منذ بدء طريق الحكم الظاهري في هذه المملكة، فكنا نحن العرب لأربابها كما كانوا يريدون منا أن نكون. فكثيراً ما ائتمرنا بأقوالهم، وتحركنا لحركاتهم، وسكنا لسكناتهم بل كثيراً ما تحملنا تبعة أعمالهم ونحن الفاعلون. ووقع بين أفرادنا ما يقع من التباعد والتشاتم وكلنا أخ وإبن عم دون أن نعرف ما به من الغضاضة من كرامة بعضنا بعضاً. ثكلت الثواكل أحزاب هذه المملكة لما أدت بنا إلى التناحر و العدوان وأصابنا من ورائها ما أصابنا من البلاد. جاء في المثل العامي: تخانق الريح مع البحر طلعت الصلحة على المراكب.

ونحن كذلك إذ تشاجر ريح الترقي (حزب الإتحاد والترقي) ببحر الإئتلاف (حزب الإئتلاف) فأسفرت النتيجة عن غرق مركب هذه البلاد، ومن =

بتقريظها وذلك في الفترة الواقعة بين الفصول. وجرى قبل تمثيل الفصل الثالث الإقتراع العلني على الساعة الذهبية التي تبرع بها محمد بيهم وثمنها أربعة عشر ليرة ذهبية، فكانت من نصيب عارف البربير[١].

يذكر أن جمعية مآثر التربية الإسلامية تأسست في بيروت سنة ١٩٠٥م لتعليم من قعد بهم الفقر من نابتة المسلمين عن إتمام علومهم في المدارس العالية فتبعث بهم إلى الكلية الأميركية أو الأزهر أو باريس. وتألفت من نخبة من الشبان برئاسة أحمد مختار بيهم وتولى عمر الداعوق نيابة الرئاسة وكانت تسعى كل عام بتمثيل رواية تهذيبية. وعزمت سنة ١٩٠٩م على تمثيل رواية عاقبة الظلم تأليف الشيخ فضل القصار[*]

= أحق منهما بإغراقه! زرع الرياح هناك وحصد العواصف هنا. تتشاجر الأفراد هناك لمناصب وزارة أو اكتساب ثروة أو عمولة قروض أو منصات رئاسة. وهنا نتشاجر لا لشيء بل لمجرد الدفاع عن زيد أو عمرو أو مجرد الإنتساب لحزب دون حزب. هناك يجنون الثمرات وهنا نقطف العداوة والبغضاء» (المفيد ٢٩/ ١/ ١٩١٣م) يذكر أنه بعد أن قامت السلطة بحل جمعية الإصلاح العام لمدينة بيروت سارع البيارتة إلى تأسيس «الجمعية البيروتية» بهدف بعث روح جديدة في البلاد وتعميم المعرفة وانتخب أعضاء لعمدتها السادة توفيق الناطور وجرجي باز وحسن القاضي ورائف فاخوري وشفيق نعماني وعبد الرحمن بيهم وعبد القادر غندور وعزيز كساب و الكونت فيليب دي طرازي وكمال عباس ونجيب بليق ووديع أبو رزق. وانتخب الأعضاء توفيق الناطور مديراً مسؤولاً وجرجي باز كاتباً وشفيق نعماني أميناً للصندوق ورائف فاخوري مديراً للأشغال ونجيب بليق لمعاونة الكاتب (لسان الحال ٧٢٧٥ و٧٢٧٦ حزيران ١٩١٣م).

(١) لسان الحال ٥٦٦١ آذار ١٩٠٨م.

(*) الشيخ فضل القصار: ألف الشيخ فضل القصار مسرحية عاقبة الظلم. أجرى حوادثها أوائل دولة الفرس والماديين وأودعها ثورة نفسه على =

التي أحدثت ضجة واضطهد مؤلفها. وقدم محمد بيهم ساعة ذهبية نالها جرجي أبي شديد وساعة فضية نالها جرجي الحداد[١].

ونقلت جريدة المقتبس الدمشقية سنة ١٩١٠م عن جريدة المفيد البيروتية أن محمد بيهم أوصى أن يصرف من وارداته على مكتب الصنائع في كل سنة مبلغ ثلاثماية ليرة عثمانية إذا كانت إدارته بيد الأهالي لا بيد

= الأوضاع الفاسدة. مثلت سنة ١٨٨٣م في صيدا بمناسبة ختان نجل محمود المجذوب بحضور موظفي الحكومة وضباط العساكر السلطانية ووجوه البلدة وسر الجميع من حسن التشخيص. عرف من أبياتها:

إليكم بني الأوطان تجلى رواية   مدبجة الأطراف بالنثر والنظم

تشخص ملكاً ظالماً باد ملكه   لذا دعيت بالإسم عاقبة الظلم

نقدمها في ظل مالك أمرنا   مليك المعالي ناشر العدل والحلم

خليفتنا عبد الحميد الذي به   مضى الجهل مذ أحيا لنا دولة العلم

ثم أعيد تمثيلها سنة ١٨٨٧م فما كادت تظهر للعيان أول ليلة حتى أحدثت تأثيراً غريباً في النفوس خصوصاً الموظفين فلجأوا إلى الفرار قبل إنتهاء التمثيل خوفاً من أن يقال أنهم رأوا عاقبة الظلم ونتائج الإستبداد ومنعت المسرحية. واضطهد مؤلفها وجرت مراقبته ثم أمّوا داره وفتشوا بين أوراقه وكتبه ومراسلاته وأرسل النص إلى الآستانة وترجم التركية وعرض على قصر السلطان.

وأعيد عرض المسرحية سنة ١٩٠٩م بعد سقوط السلطان عبد الحميد.

مثلها سنة ١٩١١م في طرابلس مصطفى إبن المرحوم الشيخ فضل القصار (ثمرات الفنون ٤٥٥ كانون الأول ١٨٨٣م ولسان الحال عدد ٩٦٠ أيار ١٨٨٧م وبيروت عدد ١٢٤ أيار ١٨٨٧م، الإتحاد العثماني عدد ١١٩ و١٢٦ شباط ١٩٠٩م. ولسان الحال ٥٩٣٥ كانون الثاني ١٩٠٩م والمفيد عدد ٦٠٤ كانون الثاني ١٩١١م والعربي عدد ٣٧ سنة ١٩٦١م).

(١) الاتحاد العثماني عدد ١١٩ شباط ١٩٠٩م.

الحكومة، وإلا فترصد القيمة المذكورة لمدارس المسلمين الأهلية في بيروت. كما أوصى بأن تعطى جمعية مآثر التربية إيراد أحد الأسواق التي كان يملكها. وعلقت الصحيفة على عمل محمد بيهم بأن هذه الأمة لا يرأف بها ولا يحن على أبنائها إلا رجالها فكم مبرة ظهرت على يد هذا الرجل وكم حسنة سطرها له التاريخ في خدمة الإنسانية فرحمة الله على الكواكبي حيث يقول: «لا رجال إلا بالرجال»[1].

٤ ـ نشر فقرات في الصحف لتأسيس المدارس والجمعيات:

درج محمد بيهم على إرسال نشرات إلى الصحف فيها أبيات شعرية نصائح ودعوات إلى فتح المدارس وتأسيس الجمعيات. وكان يوقع النشرات بإمضاء «**الصارخ المكتوم بل الصائح المكلوم**».

منها نشرة بعنوان «**في أوروبا**» قال فيها: «في أوروبا فتحوا مدارس لتعليم الببغاوات فهلا تفتحون مدارس لتعليم البنين والبنات في كل الجهات أم لا حياة. بل نبقى في عداد الأموات. الصارخ المكتوم بل الصائح المكلوم»[2].

ومنها فقرة بعنوان «**تنبيه**» لتأسيس المدارس في بيتين من الشعر هما:

إذا لم يكن للعلم عون فباطلاً نعالج أمراضاً بنا ودواهيا
فهيا بني الأوطان هيا وأسسوا مدارس تحيينا وتنفي العواديا
الصارخ المكتوم»[3]

---

(١) المقتبس عدد ٥٥٩ كانون الأول ١٩١٠م.
(٢) الإتحاد العثماني ١١٠ شباط ١٩٠٠م.
(٣) الإتحاد العثماني عدد ٩١ تاريخ ١٢/١/١٩٠٩م.

ومنها فقرة تحض على تأسيس الجمعيات لنشر التعليم جاء فيها:

«فيا كرام القوم لم لا يكون في كل بلدة بل في كل قرية جمعية تقوم بتنظيم وتزيين المكاتب والمدارس وأنتم أهل الشفقة وأهل الرحمة وتواسون الفقير فاغنوه بتعليم أولاده. تداوون المريض فأي مرض أدوى وأعدى من الجهل. تحبون الوطن فحافظوا عليه بالعلم. تودون الثروة فبالعالم. ترومون القوة فبالعلم. ترغبون الصناعة فبالعلم. تميلون لاتقان الزراعة فبالعلم. تنالون العدل والإحسان فبالعلم. ينفد المداد ولا ينتهي التعداد. وبالإجمال تريدون خير الدنيا والآخرة فبالعلم. فالجمعيات الجمعيات. سنشد عضدك بأخيك. لمثل هذا فليعمل العاملون. حقق الله الآمال بجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآله. «**الصارخ المكتوم**»[1].

ومنها فقرة بعنوان «**لا تزاحموا الفلاح بل ألّفوا جمعيات أيها السراة**» جاء فيها:

«رفعت نشرة إلى المجالس العمومية قصد إيجاد معلمين في القرى والدساكر يعلمون القراءة والكتابة بحيث لا تصرف واردات المعارف في إنشاء بنايات أو تعليم أبناء مراكز الولايات والألوية ويحرم الباقي. وبما أن واردات المعارف (ولو تضاعفت) لا تقوم بالإحتياجات فعلى أهالي المراكز الكرام وهم مدركون اضطرارنا للعلم خلافاً لأهل القرى كما أنهم قادرون على جمع ودفع إعانات لتعليم ناشئتهم أن «**لا يزاحموا الفلاح**» إذ أن نجاحه لنا نجاح فهو هو القوة وهو هو الثروة.

ماذا يفيد إذا كنا ذوي سعة وكان أقوامنا غفلاً مساكينا[2]

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٩٣ تاريخ ١٤/١/١٩٠٩م.

(٢) المفيد عدد ١٣١٦ تاريخ ٢/٧/١٩١٣م.

وفي المعنى نفسه ما كتبه سنة ١٩١٣م موجهاً إلى المجالس العمومية في الدولة العثمانية وقال فيه:

«ما قولكم دام فضلكم في رجل له عدة أولاد جياع عراة لا مأوى لهم وله واردات لا تكاد تكفي للحاجيات فهل يجب عليه والحالة هذه بادىء بدء إطعامهم وإكسائهم جميعاً واستئجار مأوى لهم أم يترك البعض منهم على الحالة التي وصفناها ليبنى للبعض الآخر دوراً ومساكن للإيواء.

- البيان -

الرجل هو الوطن. والأولاد هم الناشئة الوطنية المحرومة من العلم الذي أشبهه بالقوت. ومن الأخلاق التي أشبهها بالكساء. وها قد فوض إليكم صرف واردات المعارف (وعسى أن تضاعفوها) وذلك لاعطاء كل فرد من الناشئة قسطه من العلم خصوصاً أبناء القرى والدساكر لما تقتضيه الذمة والعدل والمصلحة الوطنية والإنسانية بحيث لا يكن كما يقول المثل: (علي يرث وعلي لا يرث).

وإن قيل إنه لا يوجد معلمين تكفي القرى والدساكر فهؤلاء لا يلزمهم معلمين أصحاب شهادة بل يكفي أن يكونوا قارئين كاتبين وإلا فتشيب الأطفال قبل أن يوجد لهم معلمين. وإني واثق أيها المحترمون بأنكم ستحققون ثقة منتخبيكم وأماني الشعب بتمسككم بالجد دون الظواهر والمظاهر ببناء المدارس أولاً كما هو اصطلاح المعارف إذ الإستئجار كافٍ في حالتنا الحاضرة والقصد العلم لا دوراً للعلم. نعم نريد اللؤلؤة لا الصدف.

وحاجتنا إنما هي إنشاء رجال للوطن لا بناء جدران للسكن والسلام على من أخلص النية وعمل لمصلحة الرعية.

«من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها»[1].

٥ ـ توزيع نشرات في الأسواق:

وفي سنة ١٩٠٩م شوهدت في يد الغلمان أوراق مرسوم عليها رؤوس صبيان غرقى في البحر يمدون أيديهم يستغيثون ويستنجدون وتحت الرسم أبيات بتوقيع الصارخ المكتوم هي:

يا بني الأوطان غرقى ... في بحار الجهل نشقى
فامددوا الأيدي إلينا ... علمونا كيف نرقى
إن توانيتم غرقنا ... أو نشأنا كالأرِقّا
ليس كالجهل عدوٌّ ... يخنق الأمة خنقا
نحن منكم وإليكم ... فحناناً ثم رفقا[2]

ودلالة على تأثير دعوة محمد بيهم إلى العلم ما أخبره محمد أمين الجمل بأنه شاهد ولده محمد زكي الجمل أحد تلامذة دار العلوم ولم يكن قد تجاوز التاسعة من عمره مكباً على دروسه إلى ساعة متقدمة من الليل وسأله: أما حان وقت النوم؟ فأجابه ابنه: كيف تريد أن أنام وفي هذه الورقة نداء من الصارخ المكتوم يقول: «من طلب العلا سهر الليالي».

قال محمد الجمل: ثم دفع إليّ الورقة فأخذتها وعيناي تدمعان تأثراً فإذا فيها: أيها التلميذ النجيب. أهنيك بسنتك الدراسية راجياً لك نجاحاً وفلاحاً. فإنك ستكون من رجال الغد الذين يعتز بك الوطن وتحيا بك الأمة. سلامي عليك، سلامي على معهدك العلمي منبع النور. سلامي على القائمين به وشكراً شكراً لهم. حيّاهم الله وبيّاهم. **الصارخ**

---

(١) المقتبس ١٩١٣ تاريخ ١٦/٨/١٩١٣م.
(٢) الاتحاد العثماني عدد ٣٥٦ تشرين الثاني ١٩٠٩م.

المكتوم بل الصائح المكلوم»[1].

٦ ـ نظم أناشيد شعبية وطبعها على اسطوانات:

لجأ محمد بيهم إلى الأسلوب الذي كان يتبعه أهل التصوف بما يسمى «التنزيلات» على الأغاني الشعبية. فقد كانوا يؤلفون أناشيد على لحن من الألحان الشعبية الشائعة بحيث يسهل حفظها على العامة، وهكذا فعل محمد عبد الله بيهم «**احتيالاً على نشر العلم وإنشاء المدارس**» فاستصنع اسطوانات للفونوغراف كانت توزع مجاناً على نفقته وضع فيها أنشودة لطيفة قريبة من إفهام العامة على وزن الأنشودة التي ينشدها الأولاد في بيروت أيام الأعياد وهي قولهم (يا ولاد محارم). وأصبحت بفعل محمد بيهم تنشد في المحال العمومية في بيروت بواسطة الفونوغراف. كما أرسل منها كميات إلى دمشق وحلب وغيرهما من البلدان آملاً بأن ينفث عمله هذا في روح البنين والبنات ملكة حب العلم وتعلمه وهذا نصها:

يا ناس غنايم   يوه يوه   شدوا العزايم   يوه يوه
للعلم الغالي   يوه يوه   تجنوا اللآلي   يوه يوه
تكثر ثروتنا   يوه يوه   وتعود قوتنا   يوه يوه
المتعلم عالي   يوه يوه   من الهمّ خالي   يوه يوه
والجهل شين   يوه يوه   والعلم زين   يوه يوه
والجهل شقوه   يوه يوه   والعلم ثروه   يوه يوه
الجهل عار   يوه يوه   خرّاب ديار   يوه يوه
يعمي الأبصار   يوه يوه   يُدخل للنار   يوه يوه

---

(١) الاتحاد العثماني ٦٣٧ كانون الثاني ١٩١٠م.

الوقت تغيّر يــوه يــوه تعلم يا صغيّر يــوه يــوه
تصبح وزير يــوه يــوه لا تقول فقير يــوه يــوه
العلم يغني يــوه يــوه والجهل يضني يــوه يــوه
يا إبن الأكارم يــوه يــوه صار لك مزاحم يــوه يــوه
اجهد وتعلم يــوه يــوه كيما تتقدم يــوه يــوه
تحفظ مكانك يــوه يــوه ما بين أقرانك يــوه يــوه
اسمع كلامي يــوه يــوه كن عصامي يــوه يــوه
فخرك بفعلك يــوه يــوه ما هو بأصلك يــوه يــوه
المجد الباطل يــوه يــوه ما تحته طائل يــوه يــوه
يا أبا الأولاد يــوه يــوه كفاك عناد يــوه يــوه
علم أولادك يــوه يــوه تنال مرادك يــوه يــوه
يكثر إيرادك يــوه يــوه تنفع أحفادك يــوه يــوه
تعمر أوطانك يــوه يــوه تنفي أحزانك يــوه يــوه
حرام عليك يــوه يــوه تتركهم هيك يــوه يــوه
يغدوا حمير يــوه يــوه يغلوا الشعير يــوه يــوه
لا يرضى الدون يــوه يــوه إلا المجنون يــوه يــوه
ما هم أولادك يــوه يــوه مهجة أكبادك يــوه يــوه
أنت المسؤول يــوه يــوه وحق الرسول يــوه يــوه
خاف اللّه فيهم يــوه يــوه أنت راعيهم يــوه يــوه
والجهل ذيب يــوه يــوه منهم قريب يــوه يــوه
والعلم واقي يــوه يــوه أحسن ترياق يــوه يــوه
يحرسهم اللّه يــوه يــوه بالعلم إنشا اللّه يــوه يــوه

يا أهل القرايا	يوه يوه	صرتم عرايا	يوه يوه
من الجهل الفاضح	يوه يوه	والظلم الفادح	يوه يوه
لوذوا للعلم	يوه يوه	لا تكونوا بُهم	يوه يوه
تكسوا عراكم	يوه يوه	يزداد غناكم	يوه يوه
يا أهل البوادي	يوه يوه	فيكم أنادي	يوه يوه
تعالوا معنا	يوه يوه	تعمر أربُعنا	يوه يوه
يكثر الشعب	يوه يوه	ويهون الصعب	يوه يوه
اللَّه حباكم	يوه يوه	فيما أعطاكم	يوه يوه
ذكا وشجاعه	يوه يوه	نعم البضاعه	يوه يوه
لا تضيعوا النعمه	يوه يوه	وتبقوا بالظلمه	يوه يوه
هيا للعلم	يوه يوه	تزدادوا فهم	يوه يوه[1]

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٢٩٠ تاريخ ١/٩/١٩٠٩م.
لجأ أهل الطرق المتصوفة إلى تأليف أناشيد ومدائح على ألحان شعبية رائجة بحيث يسهل على المريدين حفظها وإنشادها. وقد نظم مفتي بيروت وقاضيها الشيخ أحمد الأغر (١٧٨٣ ـ ١٨٥٨م) قصائد على أغان كانت شائعة في بيروت في القرن التاسع عشر. وكان الشاعر يذكر عنوان الأغنية ثم يورد قصيدته المنزلة على لحنها. وبذلك تمكنا من معرفة عناوين بعض الأغاني التي كانت شائعة في بيروت في زمان الشاعر، فكان منها: يا مانهيتك. وهيا للخمّار هيا، هيا للخمّار هيا، واسقني كأس الحميا، لأعطي للخمّار روحي، لأعطي للخمّار روحي، والهدوم اللي عليا. ويا ناس خلوني بحالي. ويا عذب اللمى يا ذا المنمنم. وسبحان من صور حسنك. وبالله يا طير علمني ناغا ناغا، بالله يا طير طالعني لبيت الآغا. وعلا علّوا علا علّوا يا يابا، أهلك ربوك لقلبي عذابا. وهز الكفل له صنعه، تحت الحياصة اللمعه، محلى الوصل على الشمعه، يا بارز =

كما نظم محمد عبد الله بيهم أغنية على نغم أغنية شعبية (يا يا ضي ويا يا ضي روحوني بلدي) أو على نغم نشيد كان ينشد في المدارس يقول: (يا ولادي طفوا طفوا جيبوا البيرق واصطفوا) قال فيه:

يـــا ولادي طـــفـــوا طـــفـــوا   بـــالـــمـــدارس واصـــطـــفـــوا
فـــيـــكـــم تـــعـــمـــر الأوطـــان   ويـــقـــوى فـــيـــكـــم الـــســـلـــطـــان

أبـــوكـــم مـــا بـــيـــنـــفـــعـــكـــم   إلا إذا عـــلـــمـــكـــم
تـــكـــونـــوا لـــلـــوطـــن أعـــوان   أحـــســـن مـــا تـــربـــو كـــالـــحـــيـــوان

قـــولـــوا رحـــمـــاك والـــدنـــا   خـــاف الـــلّـــه وعـــلـــمـــنـــا
أطـــفـــال وديـــعـــة خـــالـــقـــنـــا   لا تـــتـــركـــنـــا لـــلـــشـــيـــطـــان

بـــل قـــولـــوا يـــا والـــدنـــا   قـــال نـــبـــيـــنـــا وســـيـــدنـــا
اطـــلـــبـــوا الـــعـــلـــم ولـــو بـــالـــصـــيـــن   هـــكـــذا فـــرض الـــرحـــمـــن

عـــلـــمـــنـــا الـــعـــلـــم الـــصـــحـــيـــح   يـــصـــبـــح عـــقـــلـــنـــا رجـــيـــح

= النهدين يا حالي، ليل يا ليل آه منك آه. وذات الخمار، تميس بالبرد، والغصن غار من بانة القدود، والكأس دار من ابنة العنقود، فلا ملام إذا هتكت الستور، في حب من أخجلت كل البدور. ويا من زرع حوضنا من كل ألوان، من غيتو شكلو زنبق وسوسان. إلخ... ونقوم بتحقيق ديوان الشيخ أحمد الأغر لما فيه من تأريخ لحوادث بيروت والمنطقة في القرن التاسع عشر.

بحق موسى والمسيح لا تتركنا كالهميان

علمنا كرامة لله حتى يقولوا ما شاء الله
علم ابنه وصار إنسان يثنوا عليك بكل لسان

علم ابنه واستراح وتبدل حزنه أفراح
بغير العلم لا إصلاح مهما تعبوا المبعوثان

وإعلم أن الله قدير يجازي على التقصير
لا تتركنا كالحمير أين الشفقة والحنان

قولوا معي يا أولاد الله يلهمنا السداد
حتى المدارس تزداد ونصبح من أهل العرفان

قوموا نادوا بالأسواق والله الجهل لا يطاق
ما سكنا على الخناق خرب الملك العمران

قولوا لأهل الشروه ما الفخر بلبس الفروه
ولا برتبه ولا بسطوه ولا بمداليا ولا بنيشان

انهضوا نهضة أسود وأنفوا عنا ذا الجمود

لا تفتخروا بالجدود   وتقولوا كنا وكان

علموا النشء الجديد   هو ذا الفخر الأكيد
منه الأوطان تستفيد   ونعم الجزا من الديان

يا قومي جودوا بالمال   كلٌّ على قدر الحال
غني ووسط وطفران   بهذا نهض اليابان

لا تقولوا شو هالحاله   المدارس أخذت مالي
درهمكم يثمر دينار   مدى الدهر والأزمان

مدى الدهر والأزمان   أجر وأجره يا إخوان
تجارة ربح لا خسران   وتنفوا العار عن الأوطان

علم ولدك يا مثري   لا تقول أموالي وقصري
إبنك ينشأ لا يدري   يطيرهم يصبح طفران

علم ولدك وافتخر   فالوطن له مفتقر
تكسب الثنا العطر   ويصبح من أهل الإحسان

علم ولدك يا ريان   لا تقول الصندوق مليان

واعلم أن المال شيطان   يطغيه ويصبح عريان

عــلــم ولــدك يـا فـقـيـر   ولـو عـشـت بـالـتـقـتـيـر
يـأتـي بـالـخـيـر الـكـثـيـر   ويـغـدو مـن عـيـن الأعـيـان

عــلــم ولــدك يـا طـفـران   ولـو إنـك تـبـات جـيـعـان
تـصـبـح مـن جـوعـك بـأمـان   ويـطـعـمـك أشـكـال ألـوان

عـلـم ولـدك يـا مـسـكـيـن   حـتـى لا يـنـشـأ حـزيـن
أنـت الـمـسـؤول يـوم الـديـن   يـوم الـعـرض عـلـى الـديـان

بـالـلَّـهِ أرثـوا لـلـفـلاح   عـلـمـوه كـيـمـا يـرتـاح
يـغـدو مـن أهـل الـفـلاح   لا بـهـيـم بـصـورة إنـسـان

بـهـذا تـحـيـوا الأمـة   وتـكـشـفـو عـنـهـا الـغـمـه
وأن بـقـي الـشـعـب أمـي   تصبح كسيد الصبيان (حافي عريان)

يـا قـومـي مـاذا أقـول   أنـتـم أصـحـاب الـعـقـول
اسـتـحـلـفـكـم بـالـرسـول   نـبـهـوا الـشـعـب الـغـفـلان

بـلـغ الـروح الـحـلـقـوم   إلـى مـتـى تـنـظـرون

يـــأتــيـــنـــا ريـــب الـــمـــنـــون   قـــولـــوا يـــا ربـــي الأمـــان

الصارخ المكتوم - بل الصائح المكلوم[1]

٧ - نظم ونشر قصائد تحض على نشر العلوم:

نظم محمد عبد الله بيهم عدة قصائد تحض على نشر العلم ومحاربة الجهل مبيناً أهمية العلم في ترقي البلاد منها أبيات نشرها سنة ١٩٠٩م لتحصيل العلوم وتشييد المعاهد قال فيها:

كفا خَبط عَشْوا يا كرامُ وسارعوا   لتحصيل علم تبلغوا به كلّ ما يرجا

وما لم تشيدوا للعلوم معاهدا   تدوم مدى الأحقاب أحوالنا عوجى

* * *

كفا خَبط عَشْوا يا كرامُ وسارعوا   لتحصيل علم تبلغوا الغاية القصوى

وما لم تشيدوا للعلوم معاهدا   تدوم مدى الأحقاب لا تبلغوا شروى

* * *

كفا خَبط عَشْوا يا كرامُ وسارعوا   لتحصيل علم ليس من بعده شكوى

وما لم تشيدوا للعلوم معاهدا   تدومون في تيه بلا منّ أو سلوى

* * *

الصارخ المكتوم بل الصائح المكلوم[2]

كما نشرت جريدة الحقيقة سنة ١٩١٢م ثلاثة أبيات لمحمد بيهم بتوقيع الصارخ هي:

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٧٢٠ تاريخ ١/٢/١٩١١م. يذكر أن الطلاب الذين احتشدوا لتحية الأمير فيصل بن الحسين عندما قدم إلى بيروت سنة ١٩١٩م أنشدوا له يا ولادي طفوا طفوا جيبوا البيرق واصطفوا.

(٢) الاتحاد العثماني عدد ٣١٧ تاريخ ٢/١٠/١٩٠٩م.

إنـا إلـى الـعـلـم لـفـي حـاجـة كـحـاجـة الـمـرضـى إلى الـعـافـيـة
وهـذبـوا يـا قـوم أبـنـاءكـم مـاذا وإلا كـانـت الـقـاضـيـة
نـاشـدتـكـم بـالـلّـه والأنـبـيـا لا تـتـركـوا الـنـشء إلى الـهـاويـة[1]

وكان قد أرسل قصيدة إلى جريدة المقتبس السورية قال فيها:

إلى متى يا كرامَ القوم ننتظرُ والوقت يذهب والأحشاء تستعرُ
رحماكم الشعب كالأنعام ليس له سوى العلوم وإلا خانه القدر
وكلكم عالم بالداء وا أسفي وأن ذا الجهل لا يبقي ولا يذر
جعلتم لسوى التعليم سعيكم ماذا يفيد وهذا الجهل منتشر
فلا سبيل لإعمار البلاد سوى نشر العلوم ألا بالغرب فاعتبروا
وراقبوا اللّه في شعب ومملكة أضاعت العلم حتى حاقها الخطر
ردوا لها العلم تغدو خير مملكة بخير شعب تقر العين والنظر
أليس بالعلم نقوى يا كرام كما بالجهل نمحى فلا عين ولا أثر
أليس بالعلم نثري يا كرام كما بالجهل نغدو أذلاء ونفتقر
أما من الجهل صرنا بالحضيض وقد كنا بعلم على الأغيار نفتخر
أما من الجهل صار الشعب مفترقاً وأن بالعلم روح العدل تنتشر
أما عجيب توانيكم فهل بقيت للنحس باقية فينا وتستتر
إذ لا أرى مانعاً يا قوم يمنعكم نشر العلوم لتحيا البدو والحضر
فالشعب بالجهل أضحى وهو مختنق أتتركوه مع الأموات يندثر
صرنا ولا أحد في الأرض يشبهنا من البرية لا سود ولا تتر
مع أن ذا العلم عنا احرزوه وقد سادوا وشادوا ونحن اليوم نحتقر
أليس يا قوم رب الشعب يسألكم فما الجواب ولا عذر لتعتذروا

---

(١) الحقيقة ٤٤٤ أيار ١٩١٢م.

أن كان ينقصكم مال فلا أحد   يمنعكم جمع مال منه تدخروا
وتجعلوا صرفه للكفؤ لا هبة   إلى جهول ليحيي النار والوتر
وعينوا لجن الأهلين ترقبه   لا خير في شجر ما لم يكن له ثمر
فإن فعلتم فنعم الرأي رأيكم   أو لا سأصرخ حتى ينتهي العمر

الصارخ المكتوم بل الصائح المكلوم[1]

ونظم سنة ١٩١٢م قصيدة بعنوان «الدعوة إلى العلم» قدم لها بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

في السابقين الأولين   من الشعوب لنا بصائر
تركوا العلوم فحوربوا   حتى غدوا طعم المقابر
درسوا وبادوا كلهم   وعليهم دارت دوائر
أضنى الزمان على الأكابر   منهم وعلى الأصاغر
فتبصروا وتدبروا   لا تتركونا للمجازر
يا قوم إنا أمة   بالعلم قد كانت تفاخر
واليوم صرنا بالحضيض   لجهلنا والأمر ظاهر
يا قوم أمة أحمد   كانت تدق لها المزاهر
ملأت طباق الأرض علماً   وازدهت بين العناصر
وبعلمها وبعدلها   خضعت لها كل القياصر
بالعلم كنا أولاً   والجهل صيّرنا أواخر
في كل شيء لا ترى   من صنعنا ما أنت ذاكر
في كل فن قد رقوا   بالعلم فهو لهم مؤآزر
حتى لقلة علمنا   قلنا بأن ذا صنع ساحر

---

(١) المقتبس عدد ٤٤٤ تاريخ ١٠/٨/ ١٩١٠م.

قاموا لسلب الملك منا إذ بعدونا صراصر
فتراهم ويحي غدوا ما بين غواص وطائر
والشر يحظر أن نقصر بالصنايع لا تكابر
واعدّ للصناع أجراً في الدنا وبيوم آخر
يا قوم حالتنا لقد شقت قلوباً مع مرائر
هبوا لنشر العلم لا تلهوا بتحسين المظاهر
للدين والدنيا معاً وبذا أتانا الشرع آمر
في كل أنحاء البلاد وفي الدساكر والعشائر
لا تتركوا فرداً بلا علم فيورثكم مراير
لا ترتجوا سوى العلوم رقى ولا دفع المخاطر
فمن التجأ للعلم فاز ومن توانى فهو عاثر
يا قوم فعل الجهل فينا ليس تفعله الخناجر
لو تنصفون ذرفتم دمعاً يفيض على المحاجر
قل للأكابر والسراة وكل ملاك وتاجر
قل لي فديتك هل يروقك أن ترى ذا الشعب قاصر
أو تستعن بما لديك وأن قومك للحظائر
أن أنتم لم تنهضوا ويلاه ما للكسر جابر
والذل يلحق بالأكابر قبل أن يأتي الأصاغر
هبوا لقد عظم البلا ومصيرنا للمحو ساير
فإلى متى هذا الرقاد وكل من في الغرب ساهر
بسمارك قال مهنئاً للجيش لما عاد ظافر
إني غلبت عدوتي بمدارس وبها أفاخر
يا قوم قد طال المنام أما لهذا الليل آخر

فليخطب الخطباء من | فوق المنابر والمنابر
الله أكبر إن هذا الجهل | يردي لا يغادر
الله أكبر ليس غير العلم | يدرأ ما نحاذر
الله أكبر إننا | بالعلم نلقى خير ناصر
حيِّ على العلم الذي | يحيا به منا الضمائر
حيِّ على العلم الذي | تصفو به منا السرائر
حيِّ على العلم الذي | نحيي به ماضي المآثر
نحيي بلاداً كالموات | ونجتني منها جواهر
لا نشتكي فقراً | ولا نلقى شبيبتنا تهاجر
ونجدّ كاليابان حتى | نلحق الغربي المعاصر
فتعود قوتنا وهذا | الملك زاهٍ وهو عامر
ها قد دنا العام الجديد | فجددوا تلك الشعائر
سوقوا بنيكم للعلوم | كسوقكم هذي العساكر
ليحاربوا جهلاً يصول | وبادروا قبل البوادر
إن لم تثوروا للعلوم | فهنئوا من كان عاقر
لا يأته ولد فينشأ | دون علم وهو صاغر
فيذوق مر العيش في | ذا الكون ويحيا وهو صابر
ثم الصلاة على الذي | قد جاءنا بالعلم آمر
عن حكمة لا عن هوى | فليعتبر أهل البصائر

الصارخ[1]

---

(١) المفيد عدد ١١٤٦ تاريخ (١٠/١٢/١٩١٢) وقد نشرت هذه القصيدة أيضاً في صحيفة الاتحاد العثماني عدد ١٢٧٨ تاريخ ٢١/١٢/١٩١٢م.

ونظم في السنة نفسها قصيدة على قافية نهج البردة بعنوان «**ستندمون ورب البيت والحرم**» قال فيها:

أمن تهاون حكام من القدم ... بالعلم صرنا بهذا العصر في ألم
أم ذا قعود بني الأوطان عنه لذا ... نراه أصبح فينا دارس الرمم
نعم سرى ذلك الإهمال وا أسفي ... في الكل حتى غدوا اليوم كالعدم
فالعلم روح به تحيا القلوب ومن ... لم يحو علماً فذا يا قوم كالصنم
بالعلم كنا كما ذا الجهل صيرنا ... في الكون أشهر من نار على علم
قصوركم يا سراة القوم قصرّنا ... واحسرتي كيف صرنا بين ذي الأمم
هب الحكومة لم تعنى بعلمكمُ ... أتتركون بنيكم في دجى الظلم
تنام عيناكم والطفل في لعب ... يلهو ولكنّ عين اللّه لم تنم
فسوف يسألكمُ عن جاهكم وكذا ... عن مالكم بل وما أولاه من نعم
فراقبوا اللّه في أبناء أمتكم ... وعلموها وهذا منتهى الشمم
قوموا بواجبكم نحو الوليد فذا ... واللّه يا قوم فعل الحازم الفهم
بقية بقيت من ملكنا أفلا ... بالعلم نحفظها من كل مقتحم
أن لم تقوموا بعلم تنهضون بها ... ستندمون ورب البيت والحرم
تغدون طعمة من سادوا بعلمهم ... فتصبحون سراة القوم كالخدم
ذي سنّة الكون والقرآن أنذرنا ... بآي «هل يستوي» ذكر بكل فم
واتلوا أحاديث من بالعلم يأمرنا ... حرصاً علينا فهبوا يا ذوي الهمم
«فالعلم يرفع بيتاً لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والكرم»

«**الصارخ**»[1]

ونظم بعد ذلك بأيام قصيدة بعنوان «**انهض للعلم بلا مهل**» قال فيها:

---

(١) الاتحاد العثماني عدد ١٢٨٥ تاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩١٢م.

بالجهل غرقنا في لجج فَسَلِ المولى قرب الفرج
وانهض للعلم بلا مهل فالشدة أودت بالمهج
وضع الأولاد بمدرسة تصلح ما أمكن من عوج
تحيي الأوطان وتعمرها وتكون من الأعداء نجي
فالجاهل كالأعمى شبهاً لا يبصر أنوار السرج
إن قمت بعلم سوف ترى كل الخيرات إلينا تجي
وبهذا الخالق يأمرنا وبذا نرقى أعلى الدرج
حفظاً للدين وللدنيا إياك تحدِ عن ذا النهج
فما يكفي ما حل بكم صرنا في الكون كما الهمج
لم أنتَ كذا لم تَصح أفِق وإلى الأكوان فقم ولِجِ
وأعمل عملاً وأهجر كسلا وأترك قول اللاهي السمج
فعلو الهمة شيمتنا وبذا تبلغ ما أنت رجي
واللّه بسعي يأمرنا لا سيما للعلم البهجِ
يا قوم بربكم انتبهوا قد ضاق الحبل على الودج
وصلاة اللّه على الهادي للعلم لننجو من حرج
وأرض اللهم عن الأصحاب كذا البكري وكل شجي
وعن اليافي(*) وعن الزهري(**) وانعم بالعلم نبتهج

الصارخ[1]

يذكر أن أبناء المدرسة العثمانية كانوا قد أقاموا سنة ١٩١١م حفلة أدبية للطلاب الذين عادوا إلى وطنهم من بلاد العلم. فصاغ محمد

(*) الشيخ عمر اليافي شيخ الطريقة الخلوتية

(**) الشيخ محمد أبو النصر ابن الشيخ عمر اليافي.

(١) الاتحاد العثماني عدد ١٢٨٦ تاريخ (٢٣/١٢/١٩١٢م ١).

عبد الله بيهم قصيدة قال فيها:

يا غافلاً وله في الدهر موعظة ... إن كنت في غفلة فالدهر يقظان
لا تفتخر بجدود قد غدوا رمماً ... وانهض كنهضتهم للعلم تزدان
انشىء المدارس للأطفال تنشلهم ... من بحر جهل طمى فالناس أعوان
لا تترك الجهل يربو بالجهالة إذ ... يدعو عليك وفي الأحشاء نيران
علمه واحفظ كيان الدين من خطر ... بالعلم تحفظ أوطان وأديان
أما الجهالة قد ذقنا مرارتها ... ذل وفقر وتشتيت وخذلان
ألا انظروا دول الإسلام كيف غدت ... من بعد عزتها كل له شان
يا قوم ليس سوى التعليم مدرجة ... إلى الرقيّ فإن الدهر خوّان
لا تكتفوا بالدعا يا قوم من كسل ... ما بالدعا عمّر الأكوان إنسان
دعوا التخاذل وامشوا في مناكبها ... وحصلوا العلم أن العلم سلطان
فإن سمعتم صراخي يا كرام فذا ... أعدُّهُ منكم فضل وإحسان
فإنما نحن في ذا الكون مجتمع ... الكل للكل والمجموع إخوان
وأسمعوا الشعب ما قد قيل من قدم ... كي يأخذوا حذرهم فالجهل ثعبان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة ... إن كنت في غفلة فالدهر يقظان[1]

كما أقامت لجنة مآثر التربية التي اهتمت بتربية النشء وإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، حفلة موسيقية عزف فيها عازف الكمان المشهور سامي الشوا وأنشد فيها الشيخ سلامة حجازي الشهير، فأرسل محمد عبد الله بيهم قصيدة تلاها عنه نجيب بليق وهي:

ذقنا من الجهل زقّوماً وغسلينا ... قد فارق العلم يا قوم نادينا
نقيم في القصر والأغيار تلغمه ... ونحن بالأكل والمشروب لاهونا

---

(١) المفيد ٧٥٦ تاريخ ١٩١١/٧/٣١م.

نجدد الفرش والملبوس وا أسفي … وليس ندري بأن الجهل يعرينا
نقتني فاخر الأشياء نحفظها … ولا نحافظ أولاداً ينادونا
ونركب المركبات الفاخرات ولم … نركب إلى العلم خيل الجد تنجينا
في باطل المجد إسراف فوالهفي … نضيع أموالنا والجهل يطغينا
ونرتدي برداء من صنع من نهضوا … للعلم حقاً وقد غلت أيادينا
طاروا وغاصوا وليس الدهر أقعدنا … كما نقول ولكن ذا توانينا
طارت معارفنا غارت مدارسنا … وفي أوروبا غدت تزداد تحسينا
هبّوا إليها تروها أثمرت عجباً … من كل زوج بهيج عزّ تكوينا
أوقاتنا ذهب أبناؤنا نجب … فلا تضيعوهما والملك والدّينا
بل علموا يا أولي الأبصار ناشئة … تعيد مجداً حقيقياً كماضينا
ماذا يفيد إذا كنا ذوي سعة … وكان أقوامنا غفلاً مساكينا
يا قوم إن دام هذا الجهل يحرقنا … كالنار تلقف قاصينا ودانينا
فلا يظن غني أن ثروته … تقيه أو جاهه يبقى له حينا
فالمرء بالقوم لا بالمال قوته … وجاهه قومه ليس النياشينا
قوموا إلى العلم يحيي النشء لا تدعوا … ذا الجهل يسطو عليه فهو يحمينا
وإن من ثمرات الجهل جيرتنا … كل بأطماعه قد قام يصلينا
بل قام منا عصاة من جهالتهم … قد جردوا السيف يفنيهم ويفنينا
كل البلاد غدت بالعلم عامرة … والجهل يخربنا دوراً ويزرينا
ردوا عن الوطن المحبوب غارته … بسيف علم فإن العلم يوقينا
قعودكم يقتل الوقت الثمين سدى … جددوا المسير إلى علم يرقينا
يا قوم جدوا فقد جد الشقاء بنا … وكلكلم يا كرام الناس تدرونا
دعوا الترفه والتقصير واقتصدوا … للعلم ينفع بادينا وغادينا
أمصار دولتنا في الكون جوهرة … وأننا خير شعب من يضاهينا

لكن ظلمة جهل أقعدت هِمماً فينا فلا عاش من بالجهل يبقينا
فالموت خير لنا من أن نعيش سدى نحتاج حتى لبعد الموت تكفينا
يا نهضة العلم صرنا في أشد ظما لنهله منك تسقينا فتروينا
يا نهضة العلم أنت الروح في جسد عودي إلينا لتحيينا وتشفينا
يا نهضة العلم لا شيء يعادلها فأنت أنت بكل الخير تأتينا
يا نهضة العلم حلي في منازلنا وفي قرانا وفي أقصى بوادينا
يا نهضة العلم روح الكون أنتِ فما لنا سواك فحيينا وأحيينا
يا نهضة العلم اهدينا السبيل إلى لقاك لا تبخلي باللّه دلينا
ألا أسمعي للسان الندب ينشدنا وحرقة القلب تبكيه وتبكينا
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن علمنا جهل غدا فينا
قالت لديكم رجال ينهضون بكم يسعون للعلم والأخلاق تزيينا
فهاك شبانكم قاموا على قدم لنشر علم فحيا اللّه محيينا
وكل جمعية بل كل مدرسة لها من الفضل ما لم يحص تبيينا
من كل طائفة من كل مملكة أدوا لها الشكر ترتيلاً وتلحينا
واثنوا على كل من بالمال يسعفها وادعوا لها ولنقل يا قوم آمينا
أمين آمين لا أرضى بواحدة ولا بألف ولا مليار آمينا
ثم الصلاة على من جاء يأمرنا بالعلم حتى ولو يا قوم بالصينا[1]

---

(١) المفيد ٧٦٤ تاريخ ١٠/٨/١٩١١م.

اقتبس محمد بيهم في هذه القصيدة الشطر الأول من مطلع قصيدة الشاعر الأندلسي الوزير أبو الوليد ابن زيدون التي كتبها إلى ولادة بنت الخليفة المستكفي، واشتهرت في المشرق والمغرب، ومطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقْيانا تجافينا

وقد عرف البيارتة ابن زيدون من المسرحية التي ألفها الشيخ إبراهيم =

وفي سنة ١٩١٢م أقيمت حفلة لوداع عبد الغني العريسي الذي كان ذاهباً إلى باريس لدرس العلوم السياسية، فألقى محمد عبد الله بيهم خطاباً بعنوان «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها: لو تعلمنا ما تألمنا» قال فيه:

سبق لي أن شخصت ورسمت أطفال الأمة غرقى في بحار الجهل يمدون أيديهم مستغيثين برجالها لنجاتهم. أما الآن فتصور أيها الراحل الكريم أن الأمة تمد أيديها إليك وإلى رفقائك الذين ساروا إلى أوروبا لتحصيل علومها وأملي أنه سيبلغ عددهم عدد التلامذة الذين ساروا من أوروبا إلى مدارس الأندلس وهم ألوف مؤلفة وعلى الأقل عدد التلامذة الذين ساروا من اليابان إلى أوروبا على أن أول الغيث قطر. وعندي أن لا فرق بينكم وبين أولئك المجاهدين الذين تركوا أوطانهم وعيالهم وأنتم كذلك. هم ذهبوا لرد غارة العدو عن الوطن العزيز أما أنتم فإنكم ذاهبون لرد غارة عدو أعظم وهو الجهل الذي جر علينا من العداء والبلاء ما لا يحصى عدداً. أنتم ذاهبون لتتداركوا على الأقل حفظ كياننا إذ لا بقاء لنا إلا بالعلم. أنتم ذاهبون لتعيدوا إلينا ما كان لأسلافنا من العلوم وإنك سترى أيها الأخ كيف أن تلك الشعوب اليقظة اعتنت بذلك الغرس وكم أثمر وكم أينع. إنما ما راءٍ كمن سمع. سترى الكتب من تأليف أسلافنا وكيف أنهم يعتنون بها تمام الإعتناء مع أنها ليست بلغتهم وما بقي منها عندنا نراه طعمة للعث و الغبار. نعم هم سيستقبلونك على الرحب والسعة ولا يمنعونك الجني من تلك الحدائق المزهرة المثمرة

= الأحدب ومثلت في دار آل بيهم كما ذكرنا في محله. كما تعرفوا على القصيدة عندما غنتها في بيروت أوائل القرن العشرين مطربة القطرين (مصر والشام) فتحية أحمد.

ويرونك من معين تلك العلوم الباهرة فحياهم الله فإنهم حافظوا على ما أضعناه ولا يمنعونا إياه. هم يعترفون بفضل أسلافنا فعلينا أيضاً أن نعترف بفضلهم.

أنت ستعتريك الدهشة عندما ترى تلك البلاد وتلك الشعوب الراقية بعكس ما شاهده رسول هارون الرشيد الذي كان أوفده إلى ملك فرنسه فإنه ندد بها وبهمجية شعبها تنديداً مرّاً مترنماً ببلادنا ومعموريتها وثروتها وحضارتها ومدنية شعبها. سترى كيف أنه صدق علينا وعليهم قول الشاعر الحكيم:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والكرام

أيها الأخوان:

إنا إلى العلم لفي حاجة كحاجة المرضى إلى العافيه
فعالجوا بل عاجلوا بالعلم أمراضنا ماذا وإلا كانت القاضيه
أحيوا المدارس تحيا كل صالحة ونجتني من ثمار العلم ألوانا
فالموت خير لنا من أن نعيش سدى نحتاج حتى إلى الأموات أكفانا[1]

ونظم في حزيران ١٩١٢م قصيدة بعنوان «إلى بغداد. الدعوة إلى العلم» قال فيها:

إلى دار السلام اليوم نشكو جروحاً في الحشا والدمع سحُّ
فقد كانت لنا أمّاً حنوناً تُغذّينا العلومُ ولا تَشحُّ
عسى تحنو علينا بعد هجر ويطلع بعد هذا الليل صبحُ
ويشدو أهلها في كل قطر تعلم يا فتى فالجهل قبح
وتنهض للعلوم بنا فنشفي كلوماً ما لها يا قوم شرح

---

(١) المفيد عدد ٨٩٥ تاريخ ٣٠/١/١٩١٢م.

فقد صرنا كجسم ويح قلبي غدا في كل عضو منه قرح

نراها كلما قد سال جرح نروم دواءه فيسيل جرح

يرانا الأجنبي فيزدرينا وفي أطماعه أبداً يُلحُّ

يقول بلادكم جنات عدن انتركها ومنها اليوم ربح

دفائن أرضكم تغني البرايا وأنتم في بحار الفقر سبح

أخذنا عنكم من كل فن وصرنا اليوم نثبت ثم نمحو

وعوضناكم كسلاً وجهلاً يصول بكم ولا سيف ورمح

كرام الناس هل ترضون هذا وهل في شرعنا هذا يصح

فمهلاً أيها الغربي مهلاً سنعقد عزمنا والعلم ننحو

فإن العلم منا ثم فينا يعود كما بدا والجهل يمحو

وإن الدين يأمرنا بهذا وليس كما ترانا اليوم رزح

وللدين المبين يدوم عزّ وللسلطان والأوطان نجح

كرام الناس لا تدعوا وليداً بلا علم فذا قتل وذبح

كرام الناس رحماكم ورحمي قد ضاقت بنا أرض وصَرْح

فهبُّوا واطردوا ذا الجهل عنا بعلم يبدل الأحزان فرح

وشدّوا أزر واليكم «جمال» فعهدي فيه إخلاص ونصح

وإني صارخ ما دمت حياً بصوت لا يكل ولا يُبحُّ

فإما العلم كي نحيا كراماً وإلا الموت يا قومي أصحُّ[1]

٨ ـ الدعوة إلى إعانة مدرسة الصنائع:

وزع محمد عبد الله بيهم دعماً منه لمدرسة الصنائع في بيروت أكياساً مطبوعاً عليها الفقرة التالية بتوقيع الصارخ المكتوم:

---

(١) صدى المفيد (بعد تعطيل المفيد) عدد ٣ تاريخ ١٩١٢/٦/٢م.

«أبناء الفقراء أخوانك وجيرانك في وطنك يسرحون ويمرحون في الأسواق بحالة تستلزم الشفقة فهل لك أن تضع في هذا الكيس ولو (بشلك واحد في الشهر) إلى أن يتسنى فتح مكتب الصنائع فيتهذبون ويتعلمون صناعة يتعيشون بها فيكون لك الأجر والفضل».

ثم أرسل إلى الشيخ أحمد طبارة(*) صاحب الإتحاد العثماني اقتراح نشر رسالة له قال فيها: «**الخلق كلهم عيال الله**».

اعلم أيها المحسن الكريم أن ما تجود به نفسك ولو ببشلك واحد في الشهر إعانة لمكتب الصنائع مما يعود نفعه عليك وعلى الأمة والوطن أضعافاً مضاعفة فإنك تساعد بعملك هذا على دفع ملمات وجلب حسنات فتدفع عن أبناء وطنك الفقر والجهل وتؤدبهم وتكسيهم وتعولهم فيشبون معلمين مهذبين ذوي صناعة يتعيشون بها وتكفيهم مؤونة الذل والتسول وتأتي أولادهم من بعدهم على شاكلتهم فقلما تجد بعد ذلك فقيراً أو متشرداً هذا فضلاً عما ينتجه هذا المشروع من التآلف والتحالف بين أبناء الطوائف العثمانية حيث يتربون في دائرة واحدة ويأكلون على مائدة واحدة فيكون كل منهم للآخر كالأخ الشقيق (والتآلف في الصغر محبة في الكبر) وفق الله الأمة لإحياء هذه المدرسة وغيرها من المدارس العمومية لتربية الناشئة على مبادىء الإلفة والإتحاد والتعاون وبذلك يحرز

(*) **الشيخ أحمد حسن طبارة**: (١٨٧١ ـ ١٩١٦م) صحافي من أهل بيروت. تعلم في المدرسة السلطانية. عمل ١٧ عاماً في تحرير جريدة ثمرات الفنون. أصدر سنة ١٩٠٨م جريدة الإتحاد العثماني، ثم الإئتلاف العثماني ثم الإصلاح. ناصر الحركة الإصلاحية التي قامت في بيروت. انتخب عضواً في المؤتمر العربي في باريس سنة ١٩١٣م. اعتقل وحوكم في الديوان العرفي بعاليه بتهمة العمل على سلخ البلاد العربية عن الدولة العثمانية وشنق في ٦ أيار ١٩١٦م.

الوطن ضالته المنشودة من الرقي والنجاح وبالله التوفيق»[١].

٩ - التبرع للمؤسسات الخيرية وأعمال الإغاثة:

ولم يترك محمد بيهم مناسبة ومشروعاً خيرياً إلا وكان له إسهام فيه. وله في ذلك محطات نذكر منها انتخابه عضواً في جمعية الهلال الأحمر.

وكان زار سنة ١٨٨٧م مستشفى القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس فتفقد غرف المرضى ولاطف كلا منهم وسأله عن علته وقبل خروجه من المستشفى تبرع بعشرين ليرة فرنساوية إحساناً وإسعافاً. وفي سنة ١٩٠٣م كان محمد بيهم أحد أعضاء اللجنة التي تألفت لإعانة الذين جرحوا. وعائلات من قتل من حادثة محلة المزرعة. وتولى سنة ١٨٩٧م تغطية نفقات الحفلة التي أقيمت مساعدة لجرحى الجيش العثماني[٢].

تبرع محمد بيهم سنة ١٨٨٨م بماية وخمسين ريالاً للمدرسة السلطانية. وتبرع سنة ١٩١١م بعشرين ليرة عثمانية لمعهد دار العلوم و٢٥ مجيدياً لمدرسة جمعية التعليم الإسلامية[٣].

وكان محمد بيهم قد تبرع سنة ١٩١٣م بإعانة لجمعية نشر العلم في صيدا فأرسل له محمد سليم البابا[*] مادحاً:

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٣٠٩ تاريخ ٢٣/٩/١٩٠٩م.
(٢) ثمرات الفنون ١١٣٠ نيسان ١٨٩٧م و١٤٤٩ أيلول ١٩٠٣م ولسان الحال ٧٠٧٥ تشرين الأول ١٩١١م.
(٣) لسان الحال عدد ١٠٩٧ سنة ١٨٨٨م. والمفيد ٦٠٠ كالنون الثاني ١٩١١م.
(*) **محمد سليم البابا**: مولده في صيدا سنة ١٨٦٩م. تمتع بعدة مواهب: الصوت الجميل والأدب والخط. أسهم في تأليف الجمعيات الأدبية =

في رأس بيروت تاج فيه جوهرة يعشو إلى نورها من يفقد القمرا
نوراً لسار وناراً للعفاة غدت للسار نجم وللعافين نار قرى
يا ناشر العلم يا مكتوم قد عبقت أزهار فضلك فاظهر للورى نهرا
أنت الحياة «لنشر العلم» في بلد قفراء جرداء فيها العلم قد قبرا[1]

* * *

= في صيدا. ودرس في مقاصد صيدا. درّس سنة ١٩٠٦م في مدرسة برهان الترقي في طرابلس. فكان من تلامذتها الرئيس عبد الحميد كرامي وسعدي المنلا. درّس العربية في مدارس بيروت الرسمية ومدرسة الشيخ عباس إبتداء من سنة ١٩٠٩م.

وهو والد الخطاط المعروف كامل البابا الذي روى أن والده حضر تكريم محمد بيهم لضباط الأسطول العثماني فأوحت له بذلاتهم والنجوم على صدورهم قوله:

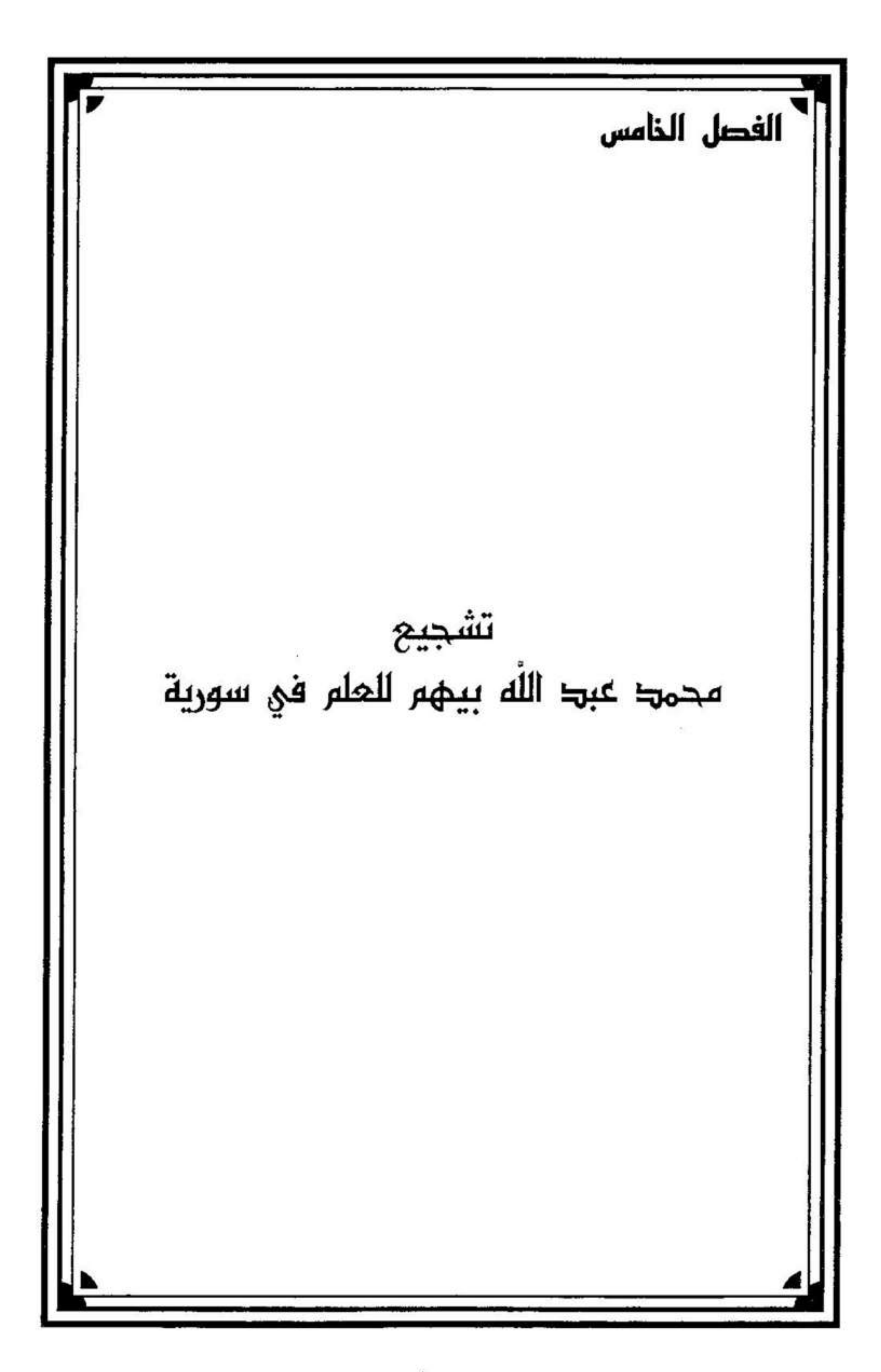
يا داخل القصر لا تخشى الردى أبداً إذ بيننا شُهُبٌ ترمي الشياطينا

وارتجل سنة ١٩١٩م في دار المفتي الشيخ مصطفى نجا وبحضور الأمير فيصل الأول قصيدة مطلعها:

طلعت كفجر طال وامتد ليله فكنت كنور العين من فاقد البصر

توفي سنة ١٩٣٢م. (كامل الداعوق. علماؤنا ص١٣٨).

(١) المفيد عدد ١٣١٨ سنة ١٩١٣م.



الفصل الخامس

تشجيع
محمد عبد الله بيهم للعلم في سورية

الفصل الخامس:

تشجيع محمد عبد الله بيهم للعلم في سورية

لم يكتف محمد بيهم بتشجيع العلم وحث الأهل على تعليم أولادهم ولكنه أدرك أهمية العلم العالي فنادى بلزوم تشييد كلية إسلامية في دمشق وكتب إلى عبد القادر المبارك في دمشق يعلمه بتبرعه بمبلغ خمسماية ليرة لمشروع الكلية الإسلامية المنوي تأسيسها في دمشق وإنه إذا لم ير المشروع النور في حينه فقد أوصى بذلك وصية شرعية[١].

وكانت لجنة إنشاء الكلية الإسلامية الدمشقية قد اجتمعت في حضور الشيخ أحمد طبارة صاحب جريدة الإتحاد العثماني (الشهيد) مندوباً من قبل الصارخ المكتوم. وقد اقترح الشيخ أحمد تأليف لجنة في بيروت تقوم بما تقوم به لجنة دمشق[٢].

في سنة ١٩٠٨م وصلت إلى المدرسة النظامية في دمشق هدية من بيروت عبارة عن مئات المصاحف والأجزاء مع رسالة بتوقيع الصارخ المكتوم وكان نص الرسالة:

«هجم السرور عليّ حتى أنه   من عظم ما قد سرني أبكاني

فشكراً وثناءً ودعاءً لهيئة نادي الأحرار الموقرة لاهتمامها بأمر التعليم، فإن الفيحاء أم البلاد الشامية مرضعة العلوم. وحيث أن هذه

---

(١) المفيد ٦٩٦ أيا ١٩١١م والمقتبس ٧٦٢ آب ١٩١١م.

(٢) المقتبس ٦٨٠ أيار ١٩١١م.

العناية التي قاموا بها بتأسيس المدرسة النظامية لا بد أن تعم منافعها وتكون سبباً لتزييد المكاتب الإبتدائية تجاسرت بتقديم بوليصة شحن صندوق ضمنه مئة مصحف مكرم وخمس مئة جزء عمّ وتبارك، راجياً تخصيص خمسها للمدرسة النظامية العامرة وتوزيع الباقي على المكاتب الإبتدائية.

وأرجو أيضاً استلام ساعة ذهبية في البوستة (البريد) يصير الإقتراع عليها بين التلامذة يوم افتتاح المدرسة النظامية العامة. فليحيي القائمون بنشر العلم وليحيي العلم الذي هو حياة العباد والبلاد»[1].

وزار محمد بيهم حمص سنة ١٩٠٩م وقدم ساعة ذهبية إلى اللجنة التي تألفت لإحياء ليلة أدبية لمساعدة المنكوبين بالطوفان في تلك المدينة اقترع عليها علناً على حامل الأوراق تنشيطاً للقائمين بذلك العمل الخيري[2].

وعبر سنة ١٩٠٩م عن فرحته بما قرأه في جريدة المقتبس من نهضة العلماء في الشام فنشر فقرة بعنوان **بشرى بالنفوس تشرى.** قال فيها:

«طفح القلب بالسرور وعم البشر والحبور. بما زفه إلينا المقتبس الأغر من نهضة السادة العلماء الأعلام في دمشق الشام لنشر التعليم وإعادة مجدها القديم فهي أم البلاد الشامية مرضعة العلوم كما يشهد بذلك التاريخ والآثار. فبشرى يا بني الأوطان بشرى. لقد عاد إليكم حنان تلك الأم الشفوق. وفق الله الأمة جمعاء للقيام بنشر العلم الذي به، نعم به لا بغيره ننهض بالأمة والوطن من الدرك الأسفل إلى

---

(١) المقتبس ٥ و٨ كانون الأول ١٩٠٨م.
(٢) الاتحاد العثماني عدد ٣١٣ سنة ١٩٠٩م.

الدرجات العلى ونحيي سالف مجدنا معززين الراية العثمانية راية الدستور والحرية. **الصارخ المكتوم بل الصائح المكلوم**»[١].

وفي سنة ١٩١١م توجه محمد بهيم إلى حلب الشهباء وتبرع لجمعية المشروع العلمي التعليمي بمبلغ ٢٥ ليرة عثمانية لاقتناعه بأن الحركة العلمية لا ينبغي أن تكون محصورة في بيروت فقط[٢].

وامتدت تبرعاته إلى جمعيات ومدارس عديدة في دمشق. فبعث بخمس ليرات إلى من كان قائماً بإرسال التلامذة لتلقي العلم في أوروبا. وبعث بخمسة عشر ريالاً لجمعية النداء الخيري في القيمرية بدمشق. وتبرع لجمعية الإحسان الدمشقية بثلاثين ريالاً مجيدياً أسوة بباقي الجمعيات.

وبعث بخمسة عشر ريالاً لجمعية التعاون الخيري في دمشق ومثلها لجمعية الإشتراك الخيري في محلة القنوات الدمشقية. وفي تشرين الأول ١٩١٠م أرسل محمد بيهم كتاباً إلى المقتبس يعلمها فيه بسروره لخبر تأليف جمعية لتعليم أبناء الفقراء ورجائه أن يتزايد تأسيس أمثال هذه الجمعية وأرفق رسالته بخمس حوالات مرتباً سنوياً كل حوالة بخمسة عشر ريالاً حتى إذا تألفت الجمعيات يدفع إلى كل منها حوالتها.

يذكر أن صحيفة المقتبس كانت قد نشرت مقالاً بعنوان «**غرائب الغرب**» فأرسل إلى الصحيفة رسالة يأخذ عليها عدم إشارتها إلى تمثال «**دانتون**» في باريس لأن المذكور بنظره كان أعظم أنصار الحرية وذكر القارىء بأن دانتون كان يقول إن أول ما يحتاجه الشعب بعد الخبز العلم وجاء في تعليق محمد بيهم على ذلك «أن قوله بعد الخبز يقصد القوت

---

(١) الاتحاد العثماني عدد ١٠٦ تاريخ ٢٩/١/١٩٠٩م.
(٢) المفيد ٧٧٣ آب ١٩١١م.

الضروري لقيام البنية لا بعد السمك بالنسبة لأهالي بيروت ولا بعد القشطة والنمورة بالنسبة لأهالي دمشق ولا بعد هريسة الفستق بالنسبة لأهالي حلب(١).

إلى العلم إلى العلم، شعار كتب على جدران بيروت كما كتب على أكثر جدران المدن السورية بإشارة من محمد بيهم الذي كان قد دعا سنة ١٩١٢م تلامذة مكتبي دار المعلمين (الشام وبيروت) وتلاميذ مكتب الصنائع لتناول المرطبات في داره بحضور مدير المعارف وكانت الموسيقى تعزف ألحاناً شجية من وقت لآخر وتلا بعض التلامذة خطباً ثم قال صاحب الدعوة مرحباً بطلاب سورية:

«أهلاً بك أيها النشء الكريم. يا من تنعقد عليه آمالنا وتحسن أحوالنا. ومرحباً وألف مرحباً بك يا نشء الفيحاء أم البلاد السورية. أتيت تنشط أخوانك النشء البيروتي فشكراً لك وحبذا الفكرة ولا عجب فالأخ الأكبر يعطف على أخيه الأصغر. أتيت لترينا إنبثاق فجر العلم في فيحائنا. أمنية طالما تمنيناها وبغية طالما ترقبناها وإني قد قلت ولم أزل أقول إن لا نهضة للعلم في الإسلام إلا بنهضته في الشام وإني أتلو على مسامعكم عجالة كنت نمقتها وطبعتها ولم يتيسر توزيعها وهي:

يا كرام الفيحاء يا من نرجّي ... منهم نهضة إلى العلم تُؤْثَرْ
أنتم قدوة البلاد فهبّوا ... لا تضيعوا الوقت فالوقت جوهر
تقتدي فيكم البلاد فتحيا ... ولكم أجرها إلى يوم تحشر
كلكلم علم بما حلّ فينا ... لا تقولوا إن هذا مقدّرْ
إنه العلم ما تركناه صرنا ... بين كل الورى كلاشيء يذكر

---

(١) المقتبس ٤٥٩٠ آب ١٩١٠م و٤٨٥ أيلول ١٩١٠م و٤٩١ و٣٩٦ و٥٠٢ تشرين الأول ١٩١٠م.

ثم يرونا كظلمة في ضياء أو كبهم نرعى الفلا وهو أقفر
تتوالى الأطماع من كل صوب ويح قلبي فالجهل إن دام دمَّرْ
هوذا الجهل سبب الضعف والخسـ ـف وإن طال فالمصيبة أكبر
ليس غير العلوم يا قوم ينجي رحم اللَّه من وعى فتدبر
فانهضوا بالعلوم كي ينهض الشعـ ـب ونادوا للعلم اللَّه أكبر
فضل أسلافكم على الكون باد والى اليوم في التواريخ ينشر
واصفحوا عن جسارتي فَبِروحي انتقدتكم واللَّهُ أدرى وأخبر
وسلامي عليكم خِيرة القو م سلام كالمسك بل هو أعطر
وسلام عليكم من محب يرتجي منكم لذا الشعب مظهر
فسلام عليكم يوم يحيى الشعـ ـب بالعلم والبلاد تعمر
وسلام عليكم يوم نثري ونضاهي تلك الشعوب وأكثر
وسلام عليكم يوم نستغني عن الغير والصنائع تنشر
وسلام عليكم يوم نعتد لأعدائنا فنقوى ونظفر
وسلام عليكم يوم نعتزّ وسلطاننا الخليفة ينصر
وسلام عليكم يوم يزكو الـ ـخلق منا والكل بالكل يفخر
وسلام عليكم ما أجبتم لصراخي وذلك الكسر يجبر
فانشروا راية العلوم فرا يات الثنا والدعا لكم سوف تنشر
عزمات الرجال تقلع ذا الجـ ـهل وتحيي شعباً قد كاد يقبر

نعم وسلامي عليك أيها النشء الكريم ما دمت مكباً على دروسك:

يغوصُ البحرَ من طلب اللآلي ومن طلب العلى سهر الليالي

فحققوا الآمال ليحسن إن شاء الله الحال»[1].

---

(١) المفيد ٩٩٠ تاريخ ١٣/٣/١٩١٢م.

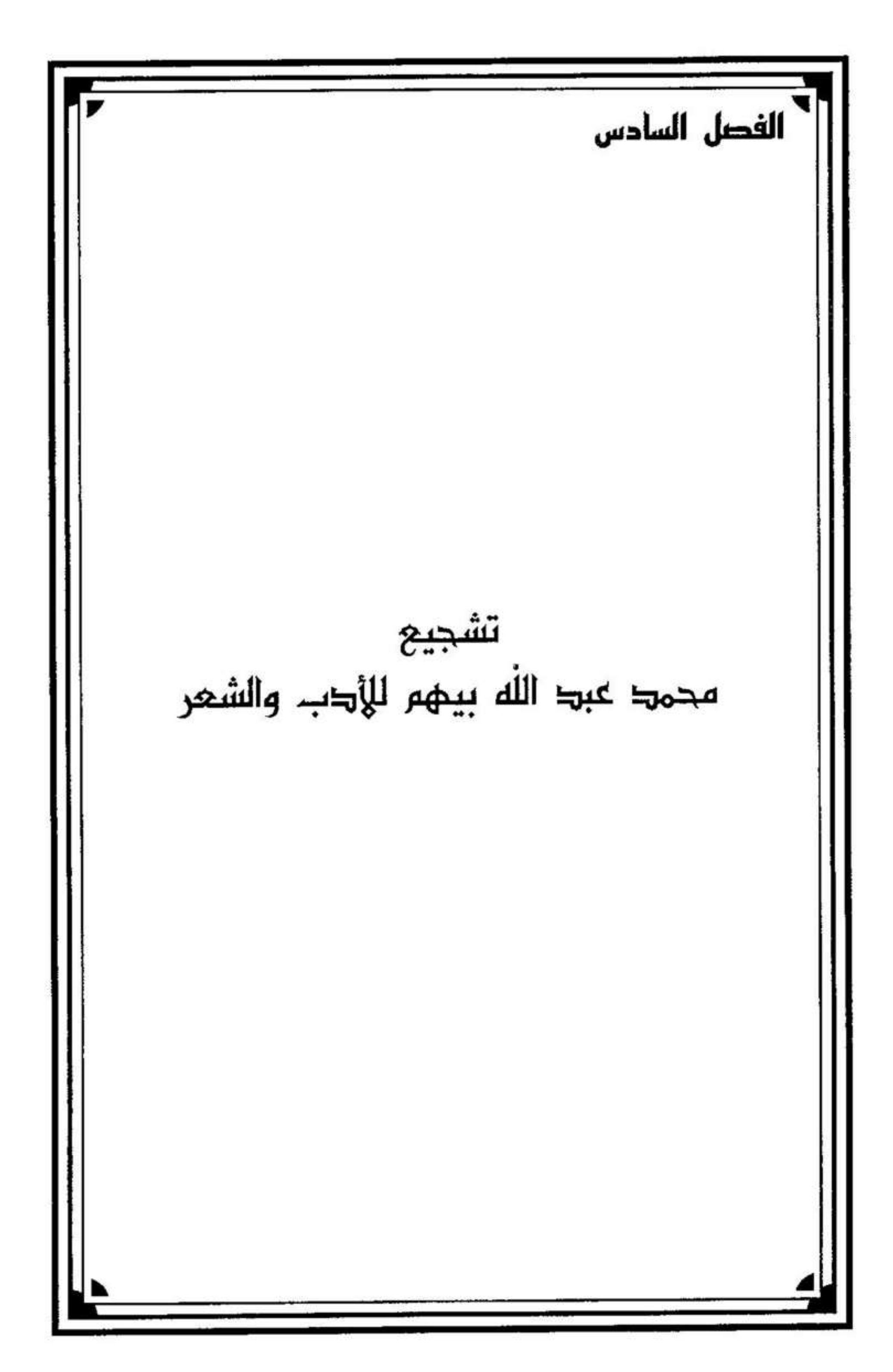
ونظم سنة ١٩١٣م قصيدة بعنوان «**إيه أهل الشام يا كرام**» قال فيها:

سائق الأظعان دعها يا بني ... ظهر البالون يطوي الجو طيّ
وبخار يمخر البحر كما ... ينهب الأرض بجري يا أخي
خذ أوتوموبيل سر به إلى ... شعبنا إذ صار ميتاً وهو حي
ترك العلم فأضحى كالهبا ... ما له مما يراه الجهل في
حائراً فيما إليه أمره ... صائراً والمرء في المحنة عيّ
واشْدُ حادي العيس للعلم وقل ... من له يقضى قضى أو يدني حي
قد كفى ذا الشعب يبقى خاملاً ... ليس يدري من علوم الكون شي
لا تقل قد ذهبت أربابه ... وإلى اليابان فانظر يا أخي
إذ بعلم وبجدٍ قد رقوا ... بعد كانوا قدماً هيّ بن بيّ
هم بنشر بعد طي بُدلوا ... وتبدلنا بذاك النشر طي
بئس حالاً بُدلت يا ويلنا ... بعد ذاك الرشد بُدلنا بغي
رجع الغربي عنهم يائساً ... لم يفز في حربه منهم بشي
وعلينا يعتدي يا ويلنا ... يسلب الأوطان حياً بعد حي
قد تركنا صنع صنعاء ولم ... نكتسب منهم سوى تحسين زي
يا بني الأوطان بئست حالة ... نحن فيها نلقى كياً بعد كي
يا كرام الناس ذل فاقة ... داركونا آه يا ويلاه وي
لا طبيب لا علاج لا دوا ... غير نشر العلم يا قوم فهي
والدعا لا يغني شيئاً دونما ... يقترن بالجد ذا نعم الدوي
أين أهل الشام يا من منهم ... ترتجى نهضتنا في كل حي
إن قعدتم تقعدونا وبذا ... تجلبون الشيب للشاب الا حي
لما عقدتم عزمكم يا حبذا ... فبرياكم يعود الميت حي

هاكم ذا العلم يشكو هجركم بلسان معرب ما فيه عي
يا أهيل الود أنىّ تنكرو ني كهلاً بعد عرفاني فتي
فأعيدوه إلى أوطانه يحسن الحال ونحظى بالرقي
ثورة للعلم يا أهل الحجى تنعش الروح وتروي القلب ري[1]

* * *

(١) الإتحاد العثماني ١٢٩٤ تاريخ ١/١/١٩١٣م والحقيقة عدد ٥٠٣ تاريخ ٢ك ١٩١٣م.



الفصل السادس

تشجيع
محمد عبد الله بيهم للأدب والشعر

الفصل السادس:

تشجيع محمد عبد الله بيهم للشعر والأدب

تميّز النصف الثاني من القرن التاسع عشر بقيام اللبنانيين بإحياء اللغة العربية وبعث آدابها وتراثها وظهر ذلك جلياً فيما قام به اليازجيان ناصيف وإبراهيم وأحمد فارس الشدياق ومارون النقاش وإبراهيم الأحدب ويوسف الأسير وبطرس البستاني والشيخ أحمد عباس الأزهري والشيخان محمد الحوت وعبد الله خالد وعبد القادر قباني ونجيب عازوري وجرجي زيدان وغيرهم من أعلام النهضة.

وشهدت تلك الفترة تأليف مسرحيات مستوحاة من تاريخ العرب وتراثهم ومناقبهم وبإقبال الشعراء على نظم شعر التفعيلة والموشحات. ساعدت هذه الحركة على تنمية الوعي عند الجمهور وعلى مساعدته على تذوق الجمال في الأدب والشعر والفن. يدل على ذلك ما كانت تنشره الصحف من إعلانات شعرية ترويجاً لبعض السلع، وما كان ينظم من تواريخ شعرية للمناسبات الإجتماعية المختلفة كالولادة والختان والزفاف والوفاة أو للمناسبات الوطنية والدينية كتدشين إنجاز مبنى أو فتح شارع أو إعلان دستور.

وقد أتى حين من الدهر كانت الصحف فيه تتخير بعض الأبيات وتطلب من قرائها تشطيرها أو تخميسها. فضلاً عما كانت تنشره من ألغاز ومُعمَّيات على لسان أدباء وشعراء. وكانت صفحات الجرائد تشهد

مبارزات شعرية وأدبية ولغوية أرقى بكثير مما نشهده أيام العولمة من إسفاف وانحطاط في الذوق والتذوق.

من نماذج الأبيات الشعرية التي طلبت الصحف تشطيرها أو تخميسها فلبى كثيرون الطلب نذكر:

رأت قمر السماء فذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني[1]

* * *

لي حبيب طلعت في جيده نقطة قد حيرت أهل الفكر
ضل من قد قال عنها شامة هذه النجمة من حول القمر[2]

* * *

وبين الخد والشفتين خال كزنجي أتى روضاً صباحا
تحيّر في الرياض وليس يدري أيجني الورد أم يجني الأقاحا[3]

* * *

يا مريض الجفون عذبت قلباً كان قبل الهوى خلياً سويا
لا تحارب بناظريك فؤادي فضعيفان يغلبان قويا[4]

* * *

شكوت إلى المليحة حين راحت إلى قاضي المحبة تشتكيني

---

(١) لسان الحال ١٧٣٩ تشرين الأول ١٨٩٤م.
(٢) لسان الحال ٢٦١٤ أيلول ١٨٩٧م.
(٣) لسان الحال ١٧٧٥ و١٧٧٩ و١٧٨١ و١٧٨٥ و١٧٩٠ كانون الأول ١٨٩٤م.
(٤) لسان الحال ١٩٥١ و١٩٥٥ و١٩٦٥ و١٩٦٩ تموز ١٨٩٥م.

فقلت لها ارحمي ضعفي فقالت   وهل في العشق يا أمي ارحميني؟[1]

وما كان محمد بيهم ليشذَّ عن سيرة محيطه في تشجيع العلم والأدب والشعر. فكان يقترح تشطير عدة أبيات يوافق معناها ما كان يهدف إليه من تشجيع العلم، عارضاً مكافأة للفائز.

فقد نشر سنة ١٩٠٩م كلمة **بتوقيع «الصارخ المكتوم بل الصائح المكلوم»** طلب فيها تشطير بيت للشاعر حافظ إبراهيم جاء فيها:

«**جائزة**» لمن يحوز قصب السبق من شعراء العصر بتشطير أو تخميس أو تضمين قول أشعر شعراء مصر:

عليكم حقوق للبلاد أجلُّها   تعهُّد روض العلم فالروض مقفرُ

وإذا كان القصد تنبيه الأفكار فالأكثر حضاً أكثر حظاً. والأجر والثواب، لمن يلج هذا الباب، تذكرة لأولي البصائر والألباب. وتنتهي المدة في منتصف شهر صفر والحكم للفائز بقصب السبق يكون لحافظ أفندي إبراهيم صاحب البيت، وأن جريدة الإتحاد العثماني الغراء تنشر ما تجود به مدائح الشعراء الفضلاء».

وأرسلت التشطيرات للشاعر المذكور، ولتأخره في حكمه، عهدت صحيفة الإتحاد العثماني لصاحبها أحمد حسن طباره إلى عدد من الشعراء والأدباء، فحكموا بالجائزة لشاعر بغداد معروف الرصافي الذي كان قد نظمه:

عليكم حقوق للبلاد أَجلُّها   وِفاقٌ به يفنى الشتات المدمر
وأول مسعى يقتضيه وفاقكم   تعهد روض العلم فالروض مقفر
بلادكم يا قوم أمست يعلها   تفرقكم كأساً يميت أقلها

---

(١) لسان الحال ١٧٠٩ آب ١٨٩٤م.

وأنتم قد أمسى الشتات يضلّها   عليكم حقوق للبلاد أجلّها

وفاق به يفنى الشتات المدمر

أضرّ بكم يا قاعدين افتراقكم   وأخركم عمن سواكم فقاقكم

ألا فانهضوا حتى يتم لحاقكم   وأول سعي يقتضيه وفاقكم

تعهد روض العلم فالروض مقفر(١)

وكانت الجائزة خمس ليرات عثمانية دفعت للشاعر الفائز.

وفي نيسان ١٩٠٩م أعلن محمد بيهم عن جائزة لمن يحوز قصب السبق بتشطير أو تضمين أو تخميس بيت معروف الرصافي وعلى أن الأكثر حضاً على العلم يكون الأكثر حظاً بتحصيل الجائزة وأن الحكم بذلك للشاعر المذكور والبيت هو:

أليس العلم في الإسلام فرضاً   على أبنائه وعلى البنات؟(٢)

كما اقترح بعد ذلك تشطير أو تخميس أبيات للشاعر معروف الرصافي هي:

متى ينشىء الشرق الذي غيّر أفقه   سحابة علم تمطر الشرف العذبا

فإن دبور الذل أودت بعزّه   وكادت سموم الجهل تحرقه جدبا

تبصّر إذا دارت رحى الترهُّل ترى   سوى الجهل في أثناء دورتها قطبا(٣)

ونشرت الصحيفة في حينه بيتين لابن سلام هما:

إذا انتظمت مدارسنا بحق   وقام بها أساتذة كبار

فحينئذ أقول ولا أبالي   تعلم يا فتى فالجهل عار

---

(١) الاتحاد العثماني عدد ١٠٩ تاريخ ٢/٢/١٩٠٩م وعدد ١٦٥ و٢٩٩ أيلول ١٩٠٩م.

(٢) الاتحاد العثماني عدد ١٧١ نيسان ١٩٠٩م.

(٣) الإتحاد العثماني عدد ٣٧٠ كانون الأول ١٩٠٩م.

وقد شطرهما كثيرون، منهم محمد بيهم الذي شطرهما بثلاث صيغ قال:

إذا انتظمت مدارسنا بحق   بنهضة من بهم يرعى الجوار
ووالوها ببرّ وانعطاف   وقام بها أساتذة كبار
فحينئذ أقول ولا أبالي   ليحي القوم ولتحي الديار
وأصرخ في الشوارع ليس خطا   تعلم يا فتى فالجهل عار

* * *

إذا انتظمت مدارسنا بحق   فلا عار هناك ولا بوار
بفضل شبيبة نهضوا بصدق   وقام بها أساتذة كبار
فحينئذ أقول ولا أبالي   لمعصمنا لقد عاد السوار
وأصرخ في الملا طولاً وعرضاً   تعلم يا فتى فالجهل عار

* * *

إذا انتظمت مدارسنا بحق   وزال الوهن عنا والخوار
وزاد عديدها في كل قطر   وقام بها أساتذة كبار
فحينئذ أقول ولا أبالي   أجار القوم من بهم استجاروا
يصرخون بكل نادٍ   تعلم يا فتى فالجهل عار[1]

وقد اقترح محمد بيهم تشطير بيتي الحسن بن هانيء ومنح الفائز عشرين فرنكاً. فاجتمعت لجنة من الشيوخ محمد الكستي وعبد الرحمن سلام ومحيي الدين الخياط وبحثوا ستة عشر تشطيراً وحكموا بالجائزة لجمال الملاح من طرابلس والتشطير هو:

ودعوك نشوى ما سقوك مدامة   لكن خمر الدّلّ أثر فيك

---

(١) الإتحاد العثماني ٣٤٩ و٣٥٠ و٣٥١ و٣٥٩ و٣٧٢ و٣٧٣ سنة ١٩٠٩م.

تـا اللّـه مـا ذقـت الـمـدام وإنـمـا لـمـا تـمـايـل عـطـفـك اتـهـمـوك
حسبوا التكحل في جفونك حلية إذ كان طرفك موضع التشكيك
بـيـد الـطـبـيـعـة نـاظـراك تـكـحـلا تـالـلّـه مـا بـأكـفـهـم كـحـلـوك[١]

يذكر أن معروف الرصافي زار محمد بيهم في قصره برأس بيروت بصحبة الشيخ محيي الدين الخياط وارتجل الرصافي:

عـلـى رأس بـيـروت أقـام مـحـمـد وكم بثّ من فضل عميم على الناس
ولو لـم يكـن فـيـهـا دمـاغـاً مفكراً لـمـا كـان منها ساكناً على الرأس[٢]

وفي محمد بيهم وبيته برأس بيروت قال الدكتور شاكر الخوري:

لـكـم بـيـت تـحـجّ لـه الـقـلـوب وقـلـب لا تـحـجّ لـه الـذنـوب
فـلا لـلـشـمـس عـنـه مـن غـيـاب ولـيـس لـجـودكـم فـيـه غـروب
غـدا رأسـا بـبـيـروت مـكـانـاً وإنـك رأس بـيـروت الأديـب
غـدوتـم بـيـهـم مـن كـل حـال فـنـعـم الأصـل مـنـكـم والـحـلـيـب
فـلـيـس لـفـضـلـكـم أبـداً حـدود وأن مـديـحـنـا فـيـكـم يـطـيـب[٣]

يذكر أن محمد بيهم أنشأ قصره في محلة رأس بيروت، وقد آل القصر إلى التاجر عزّت الإدلبي الذي عاد وباعه من عمر بك الداعوق الذي سكن فيه. ولا يزال هذا القصر موجوداً وكان المرحوم عمر محمد عمر الداعوق آخر من سكنه.

وكان الشاعر الشهيد عمر حمد (أحد شهداء السادس من أيار ١٩١٦م) قد نظم قصيدة في القصر المذكور نشرت في ديوانه بعنوان «القصر العالي» قال فيها:

---

(١) الإتحاد العثماني عدد ٤٣٣ و٤٦٦ سنة ١٩١٠م.
(٢) الإتحاد العثماني ٣٦٩ كانون الأول ١٩٠٩م.
(٣) شاكر الخوري. مجمع المسرات ص٤٤١.

أيـهـا الـقـصـر مـا لـهـذا الـبـهـاء كـدت تـسـمـو عـلـى ذرى الـجـوزاء
قـد رسـا الأصـل مـنـك فـي الأرض والـفـرع تـعـالـى إلـى نـجـوم الـسـمـاء
أيـن مـنـك (الإيـوان) يـا شـمـس أفـق تـتـجـلّـىٰ لـنـا بـأسـنـى سـنـاء
مـا أحَـيْـلَـىٰ قـصـراً لـه شـرفـات تـتّـكـي فـوق لـجّـة الـدأمـاء
لـيـس بـدعـاً يـا أيـهـا الـقـصـر أن تـسـمـو عـلـى كـل مـنـزل بـالـبـهـاء
فـعـمـيـد الـعـلـى (مـحـمـد) شـهـم فـاق كـل الـرجـال بـالـعـلـيـاء
وهـو ذو الـعـزم والـمـضـاء وذو الـفـضـل الـمـرجـى والـهـمـة الـشـمـاء
دونـه غـادة مـن الـشـعـر بـكـر الـبـسـتـهـا روحـي جـمـيـل الـرداء
أرتـجـي أن تـرى لـديـه ارتـيـاحـاً فـي قـبـول مـؤمـل وارتـضـاء

وتحية لمحمد بيهم في دعوته إلى العلم نظم محمد سعيد أياس أبياتاً للصارخ المذكور قال فيها:

نـحـن قـوم كـيـف نـرقـى وبـبـحـر الـجـهـل غـرقـى
صـار فـيـنـا الـبـغـي طـبـعـاً والأذى أصـبـح خـلـقـا
أيـن حـفـظ الـحـق فـيـنـا والـتـقـى أصـبـح فـسـقـا
خـيـم الـجـهـل عـلـيـنـا ولـه صـرنـا أرقـا
نـحـن لـلـجـهـل عـبـيـد لـيـتـنـا نـطـلـب عـتـقـا
ولـنـيـل الـعـلـم نـسـعـى إذ بـه نـسـمـو ونـرقـى
جـهـلـنـا جـهـل عـظـيـم فـلـهـذا نـحـن نـشـقـى
ولـنـا مـنـا عـدو مـنـه كـل الـشـر نـلـقـى
دائـنـا داء عـظـيـم مـفـسـد خـلـقـاً وخـلـقـا
يـا لـه داء عـضـالاً سـحـق الأمـة سـحـقـا
لا تـرى فـيـنـا رجـالاً بـل تـرى الأكـثـر حـمـقـى
حـالـنـا أسـوأ حـال فـيـه ذقـنـا الـذل ذوقـا

أيها الصارخ فينا ... صانك الله وأبقى
إرفع الصوت قليلاً ... ولتكن أكثر نطقا
إننا قوم نيام ... ولنا الجهل استرقا
والردى أحدق فينا ... وبنا للحتف التقى
فغدا الإصلاح صعباً ... يقتضي صبراً ورفقا
فجزاك اللَّه خيراً ... وأرانا الحق حقا

فأجابه محمد بيهم:

يا سعيداً ليس يشقى ... حيث للعلم تلقى
قلت حقاً ولهذا ... هام قلبي فيك عشقا
ردد النصح لقوم ... علهم يصغوا لنرقى
فإذا طال التواني ... لا نجد للخرق رتقا
قد كفانا يا لقومي ... صارت السودان أرقى
انظروا للغرب يعلو ... وانظروا للشرق ملقى
هم بعلم قد تساموا ... وبجهل نحن نشقى
وإذا ما نحن متنا ... فالأولى يأتون أشقى
فاتقوا اللَّه فإن الـ ... ـوقت قد أظلم أفقا
وانهضوا نهضة أسدٍ ... واطردوا الجهل المشقا
وابذلوا المال جزافاً ... في سبيل العلم يبقى
منه تجنون ثماراً ... وهو عند اللَّه أبقى
وادفعوا عنا مهاو ... تحرق الأكبار حرقا
يا لقومي فانجدونا ... إننا حرقى وغرقى[1]

---

(١) الإتحاد العثماني ٣٧٨ و٣٩٤ كانون الأول ١٩١٠م.

لم يكتف محمد بيهم بتشجيع العلم والجمعيات ومكافأة أوائل الطلبة، بل كان همه أيضاً تحسين أوضاع المسلمين وتمكينهم من قراءة القرآن الكريم ففي سنة ١٩٠٩م تبرع بثلاثين ألف جزء من عمّ لتوزع على الأولاد الفقراء في ولاية بيروت وتبرع بخمس ليرات نفقة توزيعها[١].

وفي سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م تبرع بنفقة إعادة طبع كتاب «الكفاية لذوي العناية» لمفتي بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري. قال عنه الشيخ عبد الحميد محمد عمر فاخوري الذي صحح تلك الطبعة في خاتمتها «كما كان حفظه الله محباً للخير بفطرته ساعياً بتعميم النفع بهمته طبعها لتهدى تبرعاً منه لإخوانه المؤمنين خدمة دينية ورغبة منه في عموم النفع بها وإعانة على أداء العبادات لمستحقيها جل وعلا وقد جعل جميع نسخ هذه الطبعة وقفاً على من ينتفع بها من المسملين بحيث لا يجوز بيع شيء منها ولا شراؤه ومن خالف ذلك فهو ظالم آثم».

يذكر أنه في سنة ١٩١١م قام محمد بيهم بزيارة الأستانة ونشر فيما بعد انطباعاته حول هذه الزيارة بعنوان «ماذا رأيت في الأستانة» وقال فيها إنه زار شيخ الإسلام واقترح عليه «إصدار فتوى بصرف مال الزكاة في سبيل التعليم موضحاً له تأخر العلم وتقهقره الذي دعا لتأخر الأمة. كما عرض له رغبة نائب الشرع في بيروت بتأليف خطب الجمعة بما يوافق الزمان وحاجياته والحث على السعي والإجتهاد» واعلمه شيخ الإسلام بأنه سوف يجمع العلماء لهذين الغايتين. كما طالبه محمد بيهم «بالإيعاز إلى المدرسين بالحض على مصلحة الدنيا والآخرة معاً والعمل بقول محمد صلى الله عليه وسلم (إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) وأن يتركوا التزهيد بالدنيا ويرغبوهم في

---

(١) المقتبس ١٢٩ أيار ١٩٠٩م.

السعي المشروع وترك البطالة والكسل الذي ينهى عنه الشرع الشريف وأن يلقوا دروساً أخلاقية لبث روح التساهل والتحابب بين الطوائف كافة وحسن المعاملة بينها»[1].

* * *

(١) لسان الحال ٦٦٨١ تموز ١٩١١م.

دور الأوقاف في إنشاء مدارس بيروت وتشجيع العلم فيها

١ ـ نظرة عامة

أ) إنشاء الجامعة الأميركية

ب) أوقاف ضمت لجمعية المقاصد

ج) أوقاف المدارس السورية الإنكليزية

د) وقف الكلية الشرعية الإسلامية

٢ ـ وثيقة وقف محمد عبد الله بيهم على التعليم

٣ ـ وثيقة وقف الحاجة سعدى عمر بيهم زوجة محمد عبد الله بيهم على التعليم

الفصل السابع:

دور الأوقاف في إنشاء مدارس بيروت وتشجيع العلم فيها

١ ـ نظرة عامة:

لا ينكر فضل نظام الأوقاف في تأسيس المدارس في بيروت وأثره في تشجيع العلم فيها. ويكفي الوقف فخراً أنه أسهم في تأسيس واستمرار صرحَيْن علميّين كبيرين، ونعني بهما: الجامعة الأميركية في بيروت ومدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. وقد وقف محمد عبد الله بيهم وزوجته سعدى عمر بيهم عدة عقارات على التعليم.

أ) ـ إنشاء الجامعة الأميركية:

سجلت الأراضي التي قامت عليها أبنية الجامعة الأميركية في بيروت بصورة وقفيات. وذلك قبل أن يصدر الإذن بتملك الأميركيين في أراضي الدولة العثمانية:

ـ ففي ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ (١٨٧٠م) وقف ميخائيل الغرزوزي ثلاث قطع أرض متلاصقة في محلة طنطاس، تشتمل إحداها على صخور ومغارتين وأصل زعرور وأصل خروب وجورتي أتون (للكلس) وبئر خرب معد لجمع المطر معروف ببئر العصافير، وقفاً «ليبنى به مدرسة كلية لتعليم أنواع العلوم والصناعات لكل من يريد التعلم من

سائر الطوائف، ويكون باقي الأرض بعد البناء، وقفاً على مصالح المدرسة وما تحتاج إليه. وشرط أن يكون النظر على الوقف للخواجا دانيال بن لومس بلس الأميركاني رئيس المدرسة الكلية في بيروت الذي يكون على المدرسة التي ستبنى في الوقف المذكور، ولمن يكون رئيساً عليها بعده كائناً من كان. . .»[١].

ـ وفي ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٥م) أقر ميخائيل يونس الغرزوزي، بأنه اشترى قطع الأرض المذكورة في الوثيقة السابقة والقطع الثلاث الكائنة في زقاق جل البحر بمبلغ ٢٥، و٩٦٦٧١ قرشاً للخواجا دانيال لومس بلس رئيس المدرسة الكلية في بيروت بمال المدرسة المذكورة لجعلها من جملة أملاكها، وأنه وضع اسمه بوجه العارية لعدم الإذن للأميركيين بالتملك. وأنه وقف الأراضي المذكورة على مصالح المدرسة الكلية ووضع اسمه في حجة الوقف على أنه الواقف، والحقيقة أن الواقف الحقيقي هو الخواجا دانيال المذكور وأنه نائب عنه بالوقف. وحيث إنه صدر الآن الإذن لرعايا دولته الفخيمة بالتملك في الممالك المحروسة، صار هذا الإقرار[٢].

ـ كما أقر ميخائيل الغرزوزي في التاريخ نفسه بأنه قد اشترى الأراضي في زقاق طنطاس بمبلغ ٣٥٦٣٣ قرشاً للحكيم جورج الفرد بوست الأميركاني وكيل المدرسة الكلية الأميركانية لتكون من جملة أملاكها وأنه صدر الآن الإذن بالتملك. فصار هذا الإقرار[٣].

ـ يذكر أن القس هنري بن هرس جسب الأميركاني اشترى في ١٩ رمضان سنة ١٢٩٢م (١٨٧٥م) بمال المجمع الأميركاني المعلوم،

---

(١) سجل ١٢٨٦/١٢٨٧ رقم ٢٥٤.
(٢) سجل ١٢٩١/١٢٩٣ رقم ٣١٥.
(٣) سجل ١٢٩١/١٢٩٣ رقم ٣١٦.

للمجمع المذكور الذي مركزه مدينة نيويورك «أرضاً في محلة الرميل»[١].

ـ كما يذكر أن نقولا خليل الطبجي وقف في ٢٣ صفر الخير سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) أراض وأبنية في محلات الرميل والقيراط ورأس النبع الشرقي في بيروت، على نفسه وزوجته وشقيقيه، ومن بعدهم على مصالح المدرسة الإنجيلية الكائنة في الرميل، وعلى أن يصرف مائة قرش من الريع سنوياً لفقراء المدرسة المذكورة. وأن يكون مال التولية على الوقف للجمعية الخيرية الإنجيلية في بيروت[٢].

ب) أوقاف ضمت لجمعية المقاصد:

في غرة شعبان سنة ١٢٩٥هـ تأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت. ولما كانت غايتها التعليم والصدقة وإغاثة المريض، فقد راجع أعضاؤها والي سورية في حينه مدحت باشا من أجل تسليمها العقارات التي كانت موقوفة على الجهات المذكورة. فتألفت لجنة برئاسة مفتي بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري، ووضعت لائحة بالأوقاف المشار إليها. فصدر الأمر بتسليم الأوقاف المذكورة للجمعية. التي انطلقت منها في تأدية غايتها ورسالتها. ثم جرت تنمية مداخيل الأوقاف مما مكن الجمعية من نشر مدارسها في العديد من المناطق[٣].

ج) أوقاف المدارس السورية الإنكليزية:

تأسست هذه المدارس بمبادرة إنسانية شاركت فيها السيدة مارية أليصابات طمسن. فكان منها مدرسة تعليم العميان.

---

(١) سجل ١٢٩١/١٢٩٣ رقم ١٨٤.

(٢) سجل ١٢٩٣/١٢٩٥ رقم ٣٢ و٣٣.

(٣) الفجر الصادق ص٣١ وصحيفة التقدم عدد ١٦ تاريخ ٣/٣/١٨٨١م وصحيفة ثمرات الفنون عدد ٢٢٣ نيسان ١٨٧٩م.

يذكر أنه في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) وقف روبرت موط وزوجته أوغسطا وشقيقتها صوفية بنتي هانيبل همفري إيفنس لويد، عدة عقارات بعضها ملك ومنها ما هو موروث عن مارية طمسن في محلة المصيطبة (قرب راهبات مار يوسف) وفي بعلبك ودمشق وحاصبيا وصور وزحلة، وقفاً صحيحاً على أنفسهم ومن بعدهم على مصالح ولوازم المدارس السورية بالإنكليزية في مدينة بيروت وخارجها[١].

د) وقف الكلية الشرعية الإسلامية:

كانت الحاجة ماسة في تأسيس كلية إسلامية لتدريس العلوم الدينية. وجاءت الفرصة سانحة عند توسيع مرفأ بيروت ونشوء مساحات من الأراضي. فأقدم والي بيروت نصوحي بك ابن عبد الخالق[*] سنة ١٨٩٤م على وقف قطعة أرض اتصلت إليه بالشراء من الكونت أدمون دي برتوي الفرنسي[*] رئيس إدارة مرفأ بيروت بلغت مساحتها ٨٧٥ متراً

---

(١) سجل ١٣٠٢/١٣٠٣هـ رقم ٨٨١.

(*) **عبد الخالق نصوحي**: تولى متصرفية بيروت سنة ١٣٠٢هـ فشرع في الطريق الممتدة من خان انطون بك إلى شوران مروراً بميناء الحسن فرأس بيروت فالمنارة، وفي فتح طريق من الجامعة الأميركية إلى المنارة وصلت إلى ساحل البحر. عين والياً على بيروت سنة ١٨٩٤م فباشر فتح طرق من فرن القنطاري (قرب القصر الجمهوري القديم) حتى المنارة، ومن البريستول إلى جبّ النخل فشوران، ومن البريستول إلى المصيطبة. وكان تقياً ورعاً.

(*) **الكونت أدمون دي برتوي**: فرنسي. حضر إلى بيروت سنة ١٨٥٥م. جال في بيروت وسار إلى دمشق فرأى ما بينهما من علاقات وأدرك حاجتهما للطرق، فشخص إلى الآستانة ونال امتياز طريق بيروت دمشق. دشنها سنة ١٨٦٣م. وأقام في بيروت عشر سنين عضواً عاملاً في المجلس البلدي. =

مربعاً، وقفاً شرعياً على طلبة العلوم الدينية الشرعية كعلم التفسير والحديث والفقه والأصول والفروع، وما يكون وسيلة لتحصيلها كالعلوم العربية. وشرط أن يصرف ثلث الريع على المدرّس والثلث على الطلبة والثلث الباقي خمساه للمتولي المفتي الشيخ عبد الباسط الفاخوري ومن يكون مفتياً وفراش الطلبة وحارس مقبرة الخارجة[1].

كما وقف المفتي الشيخ عبد الباسط الفاخوري في الثامن من شهر شعبان سنة ١٣١٧هـ ١٩٠٠م قطعة أرض في محلة ميناء الحسن ـ يحدها غرباً فسحة أرض جامع عين المريسة الحالي ـ متصلة إليه بالشراء من خليل حسن الشيخ، وقفاً شرعياً لبناء مدرسة لأطفال المسلمين لأجل تعليمهم العلوم الدينية والأدبية. وسُمِّي الشيخ سعيد محمد أياس متولياً على الوقف والشيخ محمد هاشم ابن عبد القادر الشريف الخليلي ناظراً

= سعى بجر مياه نهر الكلب ونال الأمتياز بذلك. عاد إلى فرنسا سنة ١٨٨٤م. ثم حضر إلى بيروت وعهد إليه برئاسة العمل في مرفأ بيروت. تملك عقارات شاسعة في رأس بيروت وصوفر.

(١) سجل ١٣١٤/ ١٣١٠هـ ٨٧. وعبد اللطيف فاخوري: تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص٢٣١.
يذكر أنه في مدة المفتي الشيخ عبد الباسط فاخوري المتوفى سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٥م لم يتيسر تعمير الأرض بسبب عدم تكملة إنشاءات المرفأ. وبعد وفاته ظل مركز الإفتاء شاغراً حتى سنة ١٩٠٩م فاستلم الأرض العلامة الشيخ عبد الرحمن الحوت نقيب الأشراف، فأحدث بناء خشبياً أثمر ريعاً. وفي سنة ١٩٠٩م انتخب الشيخ مصطفى نجا بمنصب الإفتاء فاستلم الأرض والريع وأنشأ بناء، ثم استملكت البلدية العقار ودفعت قيمته التي سلم الباقي منها إلى المفتي الشيخ محمد توفيق خالد، وكان نواة للعقار التي تقوم عليه اليوم دار الفتوى.

عليه ومن بعدهما من يختاره مفتي بيروت[1].

٢ ـ وثيقة وقف محمد عبد الله بيهم على التعليم[2]:

«أنه حسب الإيجاب عيّن من قبل الشرع الشريف فضيلتلو الشيخ محمد أفندي الكستي باشكاتب محكمة بيروت الشرعية مأذوناً لاستماع الخصوص الآني بيانه وما يتعلق به والحكم بصحته ولزومه. فذهب إلى الدار الجارية بملك الحاجة سعدى خانم بنت السيد عمر بيهم الكائنة في زقاق جبّ النخل في محلة رأس بيروت خارج مدينة بيروت. وعقد فيها مجلساً شرعياً بحضور من أرسل معه من الأمناء وحضور الحاج عبد القادر العيتاني مختار المحلة المذكورة وأحمد مختار أفندي ومحمود أفندي نجلي المرحوم الحاج حسين أفندي بيهم وعبد المجيد أفندي ابن الحاج نجيب أفندي بيهم البيروتيين العثمانيين.

فحضر في هذا المجلس سعادتلو محمد أفندي إبن الحاج عبد الله أفندي ابن حسين بيهم البيروتي العثماني المعروف شخصه وقرر طائعاً مختاراً وهو بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعاً من صحة وعقل وسلامة بدن وجواز تصرف في ماله وعليه وما فيه إتمام أمره قائلاً بتقريره:

إنني قد وقفت وحبست ما هو جار بملكي وتحت مطلق تصرفي النافذ شرعاً وهو: جميع الحصة الشائعة وقدرها قيراطان من أصل أربعة وعشرين قيراطاً في كامل قطعة الأرض المشتملة على السبعة مخازن والخمسة دكاكين والدار الراكبة فوق بعضها المشتملة على عدة أوط

---

(١) سجل ١٣١٩/١٣١٧ رقم ١٠٥٦ ودفتر الأوقاف ص١٤٠ وعبد اللطيف فاخوري. تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص٢٣١.

(٢) سجل ١٣٢٢/١٣٢١هـ رقم ٢٣٩.

ومساكن علوية ومنافع شرعية وسلمي بلاط الكائن جميع ذلك في محلة مينة الحسن[1] في بيروت بموجب سندات طابو بتاريخ شهر اغستوس سنة عشر وثلاثماية وألف مالية. يحد جميع ما ذكر قبلة وشرقاً وغرباً الطريق العام السالك وشمالاً ملك قسطنطين إبن نقولا بن ألياس بن نقولا فرج الله ومن يشركه شركة وقف شعبة المعارف في بيروت، وموسى أفندي ابن يوحنا فريج ومن يشركها بباقي القراريط.

وكذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها ثمانية عشر قيراطاً من الأصل المذكور في كامل قطعة الأرض المشتملة على الدكان في سوق البازركان داخل مدينة بيروت، بموجب سند طابو بالتاريخ المذكور يحدها قبلة ملك الحاج رشيد بن إبراهيم إبن صالح جبر، وشمالاً الطريق العام، وشرقاً ملك عبد الغني إبن الحاج بكري إبن الحاج أحمد العريس ومن يشركه. وغرباً ملك شقيقي السيد عبد القادر أفندي بيهم ومن يشركه تتمة الحدود.

وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً مؤبداً مرعياً على نفسي وعلى زوجتي الحاجة سعدى خانم بنت المرحوم السيد عمر إبن السيد حسين بيهم البيروتية العثمانية، مدة حياتنا مناصفة بيننا لا يشاركنا فيه مشارك ولا يعارضنا به معارض. ومن بعد وفاة كل واحد منا يعود نصيبه على الآخر.

---

(١) تقع محلة ميناء الحسن إلى الشرق من محلة دار المريسة، وتكتب اليوم وتلفظ «ميناء الحصن». وفي السجلات العقارية الحديثة سميت «ميناء الحصن». يقال إن ذلك نسبة إلى وقوع الميناء تحت الحصن الذي كان في التلة التي أقيم عليها فندق فينيسيا. أما في سجلات محكمة بيروت الشرعية فلا ترد إلا بلفظ «الحسن» ولعل هذا اللفظ في الأصل لجمال الموقع. (يراجع. عبد اللطيف فاخوري. كتاب منزول بيروت ص٩٨).

ومن بعدنا يصرف ريع الوقف المذكور في سبيل تعليم الأولاد المسلمين من أي بلد كانوا العلوم الدينية أولاً ثم سائر العلوم التي يجوز تعلمها وتحصيلها شرعاً في المدارس الإسلامية. بشرط أن لا يصرف من ريع الوقف المذكور أكثر من ألف قرش على تعليم الولد الواحد سنوياً يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب نسباً لعائلة بني بيهم. وإذا انقطعت الرغبة عن التعليم يعود ذلك وقفاً على الحرمين الشريفين حرسهما الله تعالى. وقد شرطت بوقفي المحرر شروطاً منها أن يبدأ أولاً من غلته بعماره وترميمه بما فيه بقاء عينه. ومنها أن تكون التولية والنظر على الوقف المحرر لي مدة حياتي ومن بعدي فلمحمد راشد أفندي المومى إليه ومحمد يوسف أفندي إبن شقيقي المرحوم الحاج نجيب بيهم مشتركين. ومن بعد محمد راشد أفندي المومى إليه لعزتلو محمد عمر أفندي إبن حضرة سعادتلو الحاج محيي الدين أفندي إبن السيد عمر بيهم. ومن بعد محمد يوسف أفندي لعبد الله أفندي إبن شقيقي الحاج عثمان أفندي بيهم بالإشتراك أيضاً ومن بعدهما لإثنين من ذريتهم الذكور يقدم في ذلك الأرشد فالأرشد منهم وكذا من بعدهما لإثنين فإثنين من ذريتهم الذكور يقدم في ذلك الأرشد فالأرشد كذلك. على أن يكون في التولية والنظارة المذكورة إثنان منهم كما ذكر يشتركان بها كلما توفي واحد منهما يشترك معه الأرشد فالأرشد من ذريتهم على الدوام لا يعارضهما معارض ولا يحاسبهما محاسب ولا ينازعهما منازع ولا يراقبهما مراقب يجريان شروط الوقف المذكور بحسب ذمتهما ومعرفتهما وليس لغيرهما مراجعة ولا مراقبة ولا معارضة بوجه من الوجوه مطلقاً، سواء كان الوقف بعد وفاة الموقوف، عليهما عاد إلى جهة التعليم أو الحرمين الشريفين.

وقد سلمت الوقف المذكور للمتولي محمد راشد أفندي المومى إليه وهو اعترف بتسلمه منه تسليم مثله شرعاً.

ثم بعد تمام ذلك قد عنّ للواقف المومى إليه الرجوع عن وقفه[١] المحرر بقوله غير صحيح وغير لازم عند من لا يرى الصحة واللزوم. فعارضه الناظر المومى إليه بصحة الوقف المذكور ولزومه في خصوصه وعمومه عملاً بالقول المفتى به ومنع الواقف المومى إليه من دعواه الرجوع حكماً ومنعاً صحيحين شرعيين.

ثم انتزع الوقف المذكور من يد المتولي محمد راشد أفندي المومى إليه ليبقى تحت يده ونظارته بحسب توليته عليه حسب الشرط المحرر.

وقد كتب المأمور والمأذون المومى إليه جميع ما جرى لديه مما ذكر ورجع إلى مجلس الشرع الشريف المعقود في محكمة بيروت الشرعية، وأنهى جميع ما جرى لديه مقارناً بتصديق من أرسل معه من الأمناء.

فحينئذ أجزت ما أجراه وألزمت العمل بمقتضاه.

وحرر ما هو الواقع في السابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة إثنين

---

(١) لما كان حفظ الوقف وإثباته يوجب تسجيله لدى القضاء في مجلس شرعي، فقد جرى العرف بأن يتم ذلك بموجب دعوى بين فريقين: الواقف والشخص المسمى من قبله لتسلم الموقوف. فيصرح الواقف بقراره الرجوع عن الوقف بحجة أنه موقوف على نفسه متذرعاً برأي الإمام أبي حنيفة الذي يجيز الرجوع عن الوقف إذا تضمن الوقف على النفس وبأن وقف المشاع غير صحيح. في حين يتشبث متسلم الوقف برأي الإمامين محمد بن الحسن وأبي يوسف صاحبي أبي حنيفة القائل بصحة الوقف ولزومه بمجرد قول الواقف وقفت. وهذا الرأي هو المفتى به. فيأخذ القاضي بهذا الرأي الأخير ويحكم بصحة الوقف ولزومه. (عبد اللطيف فاخوري. تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص٢٢٦).

وعشرين وثلاثمائة وألف»[1].

٣ ـ وثيقة وقف الحاجة سعدى عمر بيهم زوجة محمد عبد الله بيهم على التعليم[2]:

إنه حسب الإيجاب عين من قبل الشرع الشريف فضيلتلو الشيخ محمد أفندي الكستي باشكاتب محكمة بيروت الشرعية. فذهب إلى الدار الجارية بملك الواقفة الآتي ذكرها الكائنة في محلة رأس بيروت خارج بيروت وعقد فيها مجلساً شرعياً بحضور من أرسل معه من أمناء الشرع وحضور الحاج عبد القادر العيتاني مختار المحلة المذكورة.

فحضرت بهذا المجلس الحاجة سعدى خانم بنت السيد عمر بن السيد حسين بيهم البيروتية العثمانية المعرفة بتعريف أحمد مختار أفندي ومحمود ناصر أفندي ولدى المرحوم الحاج حسين أفندي إبن السيد عمر بيهم، وعبد المجيد أفندي إبن المرحوم الحاج نجيب أفندي إبن الحاج عبد الله بيهم البيروتيين العثمانيين العارفين بها معرفة شرعية. وقررت طائعة مختارة وهي بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعاً من صحة عقل وسلامة بدن وجواز تصرف لها وعليها بحضور عزتلو محمد راشد أفندي إبن المرحوم الحاج حسين أفندي إبن السيد عمر بيهم البيروتي العثماني المتولي على الوقف الآتي ذكره لأجل تسجيله والحكم بصحته وإتمام أمره قائلة بتقريرها:

إنني قد وقفت وحبست ما هو جار بملكي وتحت تصرفي المطلق النافذ شرعاً جميع الحصة الشائعة وقدرها النصف إثني عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً في كامل قطعة الأرض المشتملة على ستة

---

(١) أيلول ١٩٠٤م.

(٢) سجل ١٣٢١/١٣٢٢هـ رقم ٢٤٠.

وعشرين دكاناً منها ثمانية دكاكين متلاصقة من جهة الشرق والباقي ثمانية عشر دكاناً متلاصقة من جهة الغرب الفاصل بينهما طريق سالك، الكائن جميع ذلك في محلة الفاخورة[١] في مدينة بيروت منها ثمانية عشر دكاناً نومرو مائة وستة وعشر إلى نومرو مائة وخمسين بسوق الفشخة في قيود الويركو[٢] في بيروت. يحدها قبلة الشارع الجديد وشمالاً بعضه زقاق الحشاش[٣] وبعضه سوق ياسين وأياس[٤] ومن يشركه المشهور وشرقاً بعضه ملك محمد أفندي إبن عثمان بن محمد أياس ومن يشركه. وبعضه الفرن الجاري بوقف الأمير عساف وغرباً زقاق الحشاش تتمة الحدود شركة مصطفى راشد أفندي ابن الحاج عبد الحامد إبن الحاج مصطفى

---

(١) **الفاخورة**: قسمت بيروت سنة ١٨٦٤م إلى أربع دوائر من أجل أمور تنظيمية منها انتخاب المجالس. وقد ضمت الدائرة الأولى محلات داخل المدينة القديمة فكان منها محلة الفاخورة التي تمتد من شمالي شارع الفشخة (ويغان) إلى البحر شمالاً. وتعود تسميتها إلى وجود فاخورة قديمة عند البحر لحاجة صناعة الفخار إلى المياه المالحة. (عبد اللطيف فاخوري: منزول بيروت ص٨٢).

(٢) **الويركو**: من التركية vermak بمعنى الرسم أو الضريبة. منه رسم الدكاكين الذي ألغي فيما بعد وصدر نظامان باسم ويركو التمتع أو الويركو الشخصي على الأشخاص. والثاني ويركو الأموال. (عبد اللطيف فاخوري. تاريخ القضاء الشرعي في بيروت ص٢٥٢).

(٣) **زقاق الحشاش**: أحد أزقة بيروت القديمة داخل البلدة. فتح في جنينة الحشاش قرب زاوية الإمام الأوزاعي في السوق الطويلة.

(٤) **سوق ياسين وأياس**: أنشأ هذا السوق آل حمادة سنة ١٨٦٤م وسموه سوق السيد تخليداً لاسم أبيهم عبد الفتاح آغا حمادة. اشتراه آل أياس سنة ١٨٧٧م واشتهر باسم سوق أياس. وكانت بعض محلاته ملك آل ياسين (منزول بيروت ص١٤٣).

العيتاني والسيد عبد القادر أفندي إبن المرحوم عمي الحاج عبد الله أفندي بيهم ومن يشركهما بالنصف الثاني.

وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً مؤبداً مرعياً على نفسي وعلى زوجي سعادتلو محمد أفندي إبن الحاج عبد الله بيهم مدة حياتنا مناصفة على السوية بيننا لا يشاركنا فيه مشارك ولا يعارضنا به معارض، ومن بعد كل واحد منا يعود نصيبه على الآخر.

ومن بعدنا يصرف ريع الوقف المذكور في سبيل تعليم الأولاد المسلمين من أي بلد كانوا العلوم الدينية أولاً ثم سائر العلوم التي يجوز تعلمها وتحصيلها شرعاً في المدارس الإسلامية بشرط أن لا يصرف من ريع الوقف المذكور أكثر من ألف قرش على تعليم الولد الواحد سنوياً. يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب نسباً لعائلة بني بيهم. وإذا انقطعت الرغبة عن التعليم يعود وقفاً على الحرمين الشريفين حرسهما الله تعالى.

وقد شرطت بوقفي المذكور شروطاً منها أن يبدأ أولاً من غلته بعماره و ترميمه بما فيه بقاء عينه. ومنها أن يكون النظر والتولية على الوقف المحرر لزوجي محمد أفندي بيهم المومى إليه مدة حياته ومن بعده فلمحمد راشد أفندي المومى إليه ومحمد يوسف أفندي إبن المرحوم الحاج نجيب أفندي ابن الحاج عبد الله بيهم مشتركين. ومن بعد محمد راشد أفندي المومى إليه لعزتلو محمد عمر أفندي إبن حضرة سعادتلو الحاج محيي الدين أفندي إبن السيد عمر بيهم. ومن بعد محمد يوسف أفندي لعبد الله أفندي إبن الحاج عثمان أفندي بيهم بالإشتراك أيضاً. ومن بعدهما لإثنين من ذريتهم الذكور يقدم في ذلك الأرشد فالأرشد منهم. وكذا من بعدهما لإثنين فإثنين من ذريتهم الذكور يقدم ذلك الأرشد فالأرشد كذلك، على أن يكون في النظارة والتولية المذكورة إثنان منهم كما ذكر يشتركان بها كلما توفي واحد منهما يشترك معه

الأرشد فالأرشد من ذريتهم على الدوام لا يعارضهما معارض ولا يحاسبهما محاسب ولا ينازعهما منازع ولا يراقبهما مراقب، يجريان شروط الوقف المذكور بحسب ذمتهما ومعرفتهما وليس لغيرهما مراجعة ولا مراقبة ولا معارضة بوجه من الوجوه مطلقاً، سواء كان الوقف بعد وفاة الموقوف عليهما عاد إلى جهة التعليم أو الحرمين الشريفين.

وقد سلمت الوقف المذكور للمتولي محمد راشد أفندي المومى إليه وهو اعترف بتسلمه منه تسلم مثله شرعاً. ثم بعد تمام ذلك قد عنّ للواقفة المرقومة الرجوع عن وقفها المحرر بقولها إنه غير صحيح وغير لازم عند من لا يرى الصحة واللزوم. فعارضها المتولي المومى إليه بصحته بمجرد قول الواقفة وقفت عند من يرى الصحة واللزوم وترافعا وتخاصما بذلك وطلبا الحكم بما هنالك.

فحينئذ حكم المأذون المومى إليه بصحة الوقف المذكور ولزومه في خصوصه وعمومه عملاً بالقول المفتى به ومنع الواقفة المرقومة عن دعواها اللارجوع حكماً ومنعاً صحيحين شرعيين.

وقد كتب المأذون المومى إليه جميع ما جرى لديه مما ذكر. ورجع إلى مجلس الشرع الشريف المعقود في محكمة بيروت الشرعية وأنهى جميع ما جرى لديه مقارناً بتصديق من أرسل معه من الأمناء.

فحينئذٍ أجزت ما أجراه وألزمت العمل بمقتضاه.

وحرر ما هو الواقع في سابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف»[1].

* * *

---

(١) أيلول ١٩٠٤م.

صورة حجة وقف محمد عبد الله بيهم

صورة حجة وقف

الحاجة سعدى عمر بيهم زوجة محمد عبد الله بيهم

فهرس الأعلام

ـ حرف الألف ـ

إبرهيم باشا ٨٠

إبراهيم حافظ ١٦ ـ ١٦٩

أبكاريوس ٥٤

ابن عراق محمد ٩٦

الإدلبي عزت ١٧٢

أبو رزق وديع ١٢٥

أبي شديد جبران ١٢٦

الأحدب الشيخ إبراهيم ٥٥ ـ ٩٩ ـ ١٤٨ ـ ١٦٧

أحمد فتحية ١٤٨

أرقش رزق الله ١١٠

الأرناؤط نديم ٦٦

الأزهري أحمد عباس ٥٥ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٧٠ ـ ١٢٣ ـ ١٦٧

اسكندراني توفيق ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣

اسكندراني محمد ٥٥

اسكندراني وليد ٤٠

إسماعيل عادل ١٠٨ ـ ١١٠

الأسير يوسف ٤٧ ـ ١٦٧

الأغر أحمد ٢٧ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٩٦ ـ ١٣٣

الأفغاني جمال الدين ٣٤

الأنسي عمر ٢٨ ـ ٣٧ ـ ٩٢ ـ ٩٨ ـ ٩٩

الأوزاعي الإمام عبد الرحمٰن ١٣

أوليڤيه هنري ٥٣

أياس سعيد محمد ١٨٣

أياس محمد سعيد ١٧٣

أياس محمد عثمان ١٨٩

- حرف الباء -

الببا كامل ١٥٣

البابا محمد سليم ١٥٢

باحوط إبراهيم ٤٠

البارودي فخري ١٢٠

باز جرجي ٤٧ - ١٢٥

بدران عبد الرحيم ٤٧

البدري مصطفى ٣٨

براكر ٤٠

البربير إبراهيم ٥٤

البربير بشير ٥٦

البربير حسن ٨٠

البربير خليل ١٠٥

البربير محمد عمر ٢٨ - ٨٩ - ١٠٦

برتوي إدمون دي ١٨٢

بركستك ٥٣

بستاني بطرس ١٩ - ٢٣ - ٨٧ - ١٦٧

بستاني سليمان ٦٧

بسترس نخلة ١٠٥

بسترس موسى ٨٠

بطرس كريستيان ٥٣

بلس دانيال لومس ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ١٨٠

البلعة محمد محيي الدين ٣٧

البنا حسن ٢٧ - ٥٥

البنداق الشيخ عبد الغني ٢٨

بليق نجيب ٧١ - ٨٩ - ١٢٥ - ١٤٥

البواب سليم ١٠٦ - ١١٠

بوست جورج ألفرد ١٨٠

بونابرت نابليون ٢٦

بيهم أحمد مختار حسين ٨٤ - ٨٥ - ١٨

البلعة محمد محيي الدين ٣٧

البنا حسن ٢٧ - ٥٥

البنداق الشيخ عبد الغني ٢٨

بليق نجيب ٧١ - ٨٩ - ١٢٥ - ١٤٥

البواب سليم ١٠٦ - ١١٠

بوست جورج ألفرد ١٨٠

بونابرت نابليون ٢٦

بيهم أحمد مختار حسين ٨٤ - ٨٥ - ٧٩ - ٩٦

بيهم خديجة حسين ناصر ٧٩ - ٨٦

بيهم رقية عبد الله ٨٦

بيهم سعدى عمر ١٧ - ٨١ - ٩٨ - ١٧٧ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٨ - ١٩٣

بيهم صفية عبد الله ٨٦
بيهم عائشة عمر ٨١
بيهم عادلة عبد الرحيم ٨٧
بيهم عبد الرحمٰن مصطفى حسين ناصر ٨٥
بيهم عبد الرحيم عبد القادر ٨٧
بيهم عبد الغني مصطفى حسين ناصر ٨٦
بيهم عبد القادر عبد الله ٨٦ ـ ٩٠ ـ ١٨٥ ـ ١٩٠
بيهم عبد الله حسين ناصر ٧٩ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩٦
بيهم عبد الله عثمان عبد الله ٩٢
بيهم عبد المجيد نجيب ١٨٤ ـ ١٨٨
بيهم عثمان عبد الله ٨٦ ـ ٩٢ ـ ١٨٦ ـ ١٩٠
بيهم عمر حسين ناصر ٢٧ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٩٦ ـ ١٨٥
بيهم محمد حسين ناصر ٧٩ ـ ٩٦
بيهم محمد جميل ٧٣
بيهم محمد راشد حسين ٨٤ ـ ٩٩ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٩٠ ـ ١٩١
بيهم محمد عمر محيي الدين ١٨٦ ـ ١٩٠
بيهم محمد مصطفى حسين ناصر ٨٦
بيهم محمد يوسف نجيب ١٨٦ ـ ١٩٠
بيهم محمود ناصر حسين ٨٤ ـ ١٨٤ ـ ١٨٨
بيهم محيي الدين عمر ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٦ ـ ٩٧ ـ ٩٩
بيهم مصطفى حسين ناصر ٧٩ ـ ٨٥ ـ ٩٦
بيهم ناصر حسين ناصر ٧٩ ـ ٩٦
بيهم نجيب عبد الله ٨٦ ـ ٩١ ـ ٩٢
بيهم يوسف حسين ناصر ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٩٦

ـ حرف التاء ـ

ثابت أيوب ١١٠
التويني جان ١١٠
التويني جبران ٤٧ ـ ٩٧ ـ ١٠٥ ـ ١١٣ ـ ١١٤

ـ حرف الجيم ـ

جبر رشيد ١٨٥
جركس محمود نامي بك ٨٠
الجزائري الأمير عبد القادر ٨٦
الجزائري مختار ٨٧

جسب هنري بن هرس ١٨٠
جلول أحمد ٨٠
الجمال هاشم ٥٦
جمال الدين رجب ٣٨
الجمل محد أمين ١٣٠
الجمل محمد زكي ١٣٠
جندي سعيد ٥٦

ـ حرف الحاء ـ

حازم بك ١١٣
الحاوي غصن ٥٤
حبالين إلياس ٢٣ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٩٧
حبيب ميخائيل ١٢٣
حداد جرجي ١٢٦
الحداد نقولا ١٩ ـ ٢٣ ـ ٤٩
الحرّ طنوس ١٩ ـ ٢٣ ـ ٤٩
الحسامي جميل ١١٠
الحسامي راتب ٥٥
الحصّ خضر ٣٧
حكيم إبراهيم ١١٠
حمادة عبد الفتاح ٨٠ ـ ٨٤ ـ ١٨٩
حمادة عبد اللطيف ٥٦
حمادة محيي الدين ٩٠
حمد عمر ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٨٥ ـ ١٧٢
حمدي باشا أحمد ٩٩
حمصي جبرائيل ٨٠
الحنبلي نعمان ٦٦
حنتس فؤاد
حنون آمنة ١٢١
الحوت عبد الرحمٰن ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٨ ـ ١٨٣
الحوت محمد ٢٨ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٨٨ ـ ١٦٧

ـ حرف الخاء ـ

خالد خضر ٣٧
خالد عبد الله ٢٨ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٨٩ ـ ١٦٧
خالد عمر ٢٨ ـ ٣٧
خالد المفتي محمد توفيق ٦٥ ـ ١٨٣
خرسا عبد القادر ٦٦
خرما محمود ٥٦
الخليلي محمد هاشم ١٨٣
الخوري خليل ٤٧ ـ ٨٨
خوري شاكر ١٧٢

الخياط محيي الدين ٣٨ ـ ٨٩ ـ ١٧١ ـ ١٧٢
الخياط يوسف ١٠٥

ـ حرف الدال ـ

الداعوق عمر ٥٤ ـ ٨٧ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٧٢
الداعوق كامل ١٥٣
الداعوق محمد أبو عمر ١٠٥
دباس جرجي ٤٧
الدبس يوسف ١٠٣
درويش ميخائيل ٢٩ ـ ٤٩ ـ ٥٠
دريان أحمد ٤٧ ـ ٥٦ ـ ٩٧
دريد ابن ٣٨ ـ ٣٩
الدنا عبد القادر ٤٧ ـ ٥٦ ـ ٩٦
دية محمد ٥٦ ـ ٦٣

ـ حرف الراء ـ

راشد باشا ٥٥
الرباط شاكر ٥٢ ـ ١٥٠
الرجي محمد ٣٨
رستم أسد ٥٥
الرصافي معروف ١٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧٢
رضا رشيد ٨٤
رضوان محمد ١٠٠
رعد أسعد ٤٩
رمضان أمين ٩٠
رمضان رشيد ٦٧
رمضان محمود ٥٦
رمضان نظمية ١٢١
روتشيلد إدمون دي ١٨٢

ـ حرف الزاي ـ

الزعني عمر ٦٤ ـ ١٢١
زيدان جرجي ٤٧ ـ ١٦٧
زيدان محمد ٢٨
الزينية خليل ١١٠

ـ حرف السين ـ

سالم عرفات ٥٤
سرسق أسعد ٤٧
سرسق ألفرد ١٠٨
سرسق يوسف ١٠٧ ـ ١١٠ ـ ١١١
سلام ابن ١٧٠
سلام زين عبد الله ٨٩
سلام سليم علي ٨٥ ـ ١٠٦ ـ ١١٠ ـ ١١٥ ـ ١١٦

سلام عبد الرحمٰن ٦٧ ـ ٦٨ ـ ١٧٠
سلام عنبرة ٧٤ ـ ١٢١
السمرقندي ٣٨
السموأل ٣٩
سنّو عبد القادر ٥٦
السنوسي محمد بن يوسف ٣٣

ـ حرف الشين ـ

شاهين حسن ١٢١
شبارو مصطفى ٥٦
شبقلو مصباح ١٢١
شحيبر إلياس ٥٢
شحيبر أنطوان ٤٩ ـ ٥٢
شدياق أحمد فارس ١٦٧
شقير شاكر ٤٧
شقير نعوم ٥٥
شكسبير ١٠
شهاب يوسف ٥٥
الشوّا سامي ١٤٥
شيباني محمد بن إبراهيم ٣٧

ـ حرف الصاد ـ

الصلح رضا ٦٧

ـ حرف الطاء ـ

طبارة إبراهيم ١٠٥
طبارة الشيخ أحمد ٨٥ ـ ١٠٦ ـ ١١٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٧ ـ ١٦٩
طبارة زكريا ١١٠
طبارة شفيق ٢٩
طبارة محمد إبراهيم ١٠٦ ـ ١٠٧
الطبجي نقولا خليل ١٨١
الطرابلسي حسن ٥٦
طراد بترو ١١٠
طراد حبيب ١٠٥
طراد حنا شكور ١٠٥
طراد نجيب ١٢٣
طراد نقولا ١٢٣
طرازي فيليب دي ١١٥ ـ ١٢٥
طرباه سعيد ٥٦
الطغرائي ٣٨
طمسن مارية اليصابات ١٨١
الطنطاوي الشيخ علي ٦٧
الطيارة إبراهيم ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١١٠
الطيارة الشيخ سليم ٥٣

ـ حرف العين ـ

العازار إسكندر ٤٧ ـ ٩٧
عازوري نجيب ١٦٧
عباس كمال ١٢٥
عبد الجبار محمد ٣٦
عبد العال إبراهيم ٦٧
عبد العال خليل ٦٧ ـ ١٠٥
عبده طانيوس ٤٧ ـ ٩٧
عبده محمد ٣٤ ـ ٣٩
عراق محمد ابن ٩٦
عرداتي محمد ٤٧ ـ ٩٧
عرمان ميخائيل ٣٩
عرمان يوسف ١٠٥
العريس بكري أحمد ١٨٥
العريسي عبد الغني ٧١ ـ ٨٥ ـ ١٠٦ ـ ١٤٨
عز الدين راغب ٥٦
عطية شاهين ٤٧
علايا أحمد يوسف ١٢١
علايا محمد ٩٦
العيتاني أحمد ٩٦ ـ ١٠٦
العيتاني أحمد محيي الدين ٩٦
عيتاني بهاء الدين ١٠
العيتاني حسين ناصر ١٠ ـ ٧٩
عيتاني سليم ١٠
عيتاني عبد الحفيظ ١٠
عيتاني عبد الرحمٰن ١٠٥
عيتاني عبد القادر ١٨٤ ـ ١٨٨
العيتاني محمد الأمين ١٠
العيتاني مختار أحمد ١٠
عيتاني مصطفى ١٨٩
عيروت يوسف ٨٠

ـ حرف الغين ـ

الغرزوزي ميخائيل ١٧٩ ـ ١٨٠
الغزاوي عبد الله ٥٦
الغزاوي عمر درويش ٩٠
الغلاييني الشيخ مصطفى ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٦٨ ـ ٨٧ ـ ١٠٦ ـ ١١٣
الغندور عبد الحميد ١٠٦ ـ ١١٠
غندور عبد القادر ١٢٥
غيز هنري ٨٠

ـ حرف الفاء ـ

فاخوري رائف ١٢٥

فاخوري سليم عبد الرحيم ٤٠ ـ ٤٥
الفاخوري المفتي عبد الباسط ٢٨ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ١٠٥ ـ ١٢٠ ـ ١٧٥ ـ ١٨١ ـ ١٨٣ ـ ٢٢٠
الفاخوري عبد الحميد ١٧٥
فاخوري عمر ٦٤ ـ ٧٠ ـ ١١١ ـ ١٢١
فاخوري محمد عبد الباسط ٥٦
فاخوري محمد عمر ٣٧
فاخوري محمد ٨٧ ـ ١١٠ ـ ١١١
فان ديك كرنيليوس ٤٨ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ١٨٩
فتح الله عبد الباسط ١١٠
فتح الله عبد اللطيف ٢٦ ـ ٢٧
فرج الله قسطنطين ١٨٥
فريج موسى ١٨٥
فرشوخ محمود ٦٣
فؤاد باشا أحمد ٨٢
فواز إلياس ٥١
فيصل ابن الحسين ١٣٨ ـ ١٥٣

ـ حرف القاف ـ

القاضي حسن محمد ٩٠ ـ ١٢٥
القاضي محيي الدين ١٠٥
قباني عبد القادر ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣١ ـ ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٦٦ ـ ٩٠ ـ ١٠٦ ـ ١٦٧
قدورة أديب ٥٥
قرنفل خديجة ٨١
قرنفل صالحة ٧٩
قريطم أحمد ٣٧
قريطم حسن ناظم ٤٠ ـ ٤٤
قريطم كامل ٤٠
القصار بشير ٦٩ ـ ٧٠ ـ ١٢٤
القصار الشيخ فضل ١٢٥
القصار مصطفى فضل ١٢٦

ـ حرف الكاف ـ

كتوعة عيسى قاسم ٦٣
كرامي عبد الحميد ١٥٣
كريستيان بطرس ٥٣
كركور رفقة ٣٩
كساب عزيز ١٢٥
الكستي قاسم ٣٧ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٧ ـ ٦٢ ـ ٨٦ ـ ٩٢
الكستي الشيخ محمد ١٧١

الكفراوي حسن ٣٣
الكواكبي ١٢٧
كوهين زاكي ٥٢
كوهين سليم زكي ٥٢ ـ ٥٣

ـ حرف اللام ـ

اللبابيدي محمد ٥٦
لويد أوغسطا ١٨٢
لويد صوفيا ١٨٢
لويد هاينبل ١٨٢

ـ حرف الميم ـ

المبارك عبد القادر ١٥٧
محرم حسن ٥٦
محرم مصباح ٥٦
محمصاني سلوى ٧٥
محمصاني محمد ٧٥
محمصاني محمود ٧٥ ـ ١١٦
محمد بن محمد ٣٨
محمود زكي نجيب ١١
مدور حسن ٣٨
مدور نقولا ٨٨
المسقاوي عبد القادر ٥٥
المسيري الشيخ محمد ٨٩
مطر ناصيف ٨٠
مطري مصطفى ٥٥
المغربل سليم ٦٦
المغربل محمد ٥٦
المغربي عبد القادر ٣٤
مقلة ابن ٢٧
مكوك محمد ٢٧
الملاح جمال ١٧١
منسّى إلياس ٨٠
منسّى نقولا ١٠٥
منلا سعدي ١٥٣
موط روبرت ١٨٢
مومنه عزيز ٧٥
ميسّر أمين ١٢١

ـ حرف النون ـ

الناطور توفيق ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥
الناطور حسن ١١٠
النحاس عبد الرحمٰن ٢٧ ـ ٣٧ ـ ١٠٥
نجا المفتي مصطفى ١٠٦ ـ ١٥٣ ـ ١٨٣

نجم محمد يوسف ٩٩
نصر الله بشارة ٨٠
نصوحي عبد الخالق ٨٢ ـ ١٨٢
النصولي طه ٥٦ ـ ١٢١
النعماني عارف ٦٦
النعماني شفيق ١٢٥
النعماني عبد الرحمٰن ٥٦
نعوم باشا ١٠٢
نقاش جان ١١٠
نقاش مارون ١٦٧
نورير ميشال ٥٢

ـ حرف الهاء ـ

الهاني بشارة ١٠٥
هنري أوليفيه ٥٣
هوردن ٥٤

ـ حرف الواو ـ

ورثبات يوحنا ٥٣

ـ حرف الياء ـ

اليازجي إبراهيم ١٦٧
اليازجي ناصيف ١٦٧
اليافي بديع ٥٦
اليافي عمر ١٤٤
اليافي محمد أبو النصر ١٤٤
اليافي محمد ٢٧
اليعقوبي سليم أبو الإقبال ٣٢ ـ ٣٣
يموت علي ٤٠
يوليوس قيصر ١٠



أهم المصادر والمراجع

المخطوطات:

- عبد الباسط الفاخوري، غرر الفوائد ودور القلائد من مفضليات المقاطيع والقصائد.
- عبد الباسط الفاخوري، المباحث العالية والمطالب الشافية.
- عبد الباسط الفاخوري، خبايا الدراية.
- ديوان المفتي الشيخ أحمد الأغر.
- سجلات محكمة بيروت الشرعية منذ ١٢٥٩ سنة هـ ١٨٤٣.

المطبوعات:

- أسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية.
- خير الدين الزركلي، الأعلام.
- زين زين، نشوء القومية العربية.
- شاكر الخوري، جامع المسرات.
- شفيق طبارة، بيروت والبيروتيون في عصر إبراهيم باشا المصري، الأديب ١٩٤٣.

- عادل إسماعيل، المراسلات الدبلوماسية والقنصية والتجارية.
- عبد الباسط الفاخوري، الكفاية لذوي العناية.
- عبد القادر قباني، مذكرات، الكشاف ١٩٢٧م.
- عبد اللطيف فاخوري، منزول بيروت.
- عبد اللطيف فاخوري، تاريخ القضاء الشرعي في بيروت.
- عبد اللطيف فاخوري، تحقيق كتاب كيف ينهض العرب لعمر فاخوري.
- عبد اللطيف فتح الله، الديوان.
- عمر الأنسي، ديوان المورد العذب.
- الفجر الصادق، أعمال السنة الأولى لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.
- فؤاد مغبغب، بيروت في عهد إبراهيم باشا المصري، مجلة المرأة الجديدة.
- قاسم أبو الحسن الكستي، ديوان مرآة الغريبة.
- قاسم أبو الحسن الكستي، ديوان ترجمان الأفكار.
- قسطندي رزق، الموسيقى الشرقية.
- كامل الداعوق، علماؤنا.
- كتاب بني العيتاني.
- كرنيليوس فان ديك، في علم الكيمياء.
- محمد يوسف نجم، روايات إبراهيم الأحدب.

- مصطفى الغلاييني، الديوان.
- مصطفى الغلاييني، نظرات في كتاب السفور والحجاب.
- نجم الدين الغزي، لطف السمر وقطف الثمر.
- نهال صدقي، فخري البارودي في شعره ونثره.
- يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء.

الدوريات والصحف:

- أعداد متفرقة من صحف المفيد والحقيقة والإتحاد العثماني والجوانب وثمرات الفنون ولسان الحال والتقدم وبيروت وحديقة الأخبار والمقتبس الدمشقية والمحروسة القاهرية.
- مجلة أوراق لبنانية.
- مجلة الكشاف ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨.

محمّد عبدالله بَيْهُم

[الصّارخ المكتوم]

هــــذا الكتـــاب

فيما كنت أجمع مادة لدراسة الأوضاع العلمية والتربوية في بيروت قبيل سقوط الدولة العثمانية، وقع نظري في بعض صحف تلك المرحلة على كتابات مذيّل بعضها بتوقيع «الصارخ المكتوم» أو «الصائح المكلوم». وهاجَ بيَ الشوق وتاقت نفسي الى معرفة هوية هذا الصارخ الصائح ومعرفة ما الذي جعله يصرخ ويصيح مكتوماً مكلوماً ؟

إنه محمّد بن عبدالله بَيْهُم، العيتانيُّ الأصل، الذي لم ينعم الله عليه بأولاد صلبيين، فكان له من الإولاد القلبيين عشرات بل مئات، وحققتْ أعمالُه وسيرتُه أصالة اللقب الذي حمله عن جده حسين بن ناصر بن محيي الدين العيتاني الذي توفي جاره عن أربعة أبناء صغار زغب الحواصل، فتعهدهم جارهم بالرعاية والتعليم حتى شبّوا عن الطوق، وغلب على هذا لقب «بيهم» لأنه قام مقام أبيهم، فصاروا كأنهم أولاده. ويشاء القدر أن يتجدد اللقب على يد الحفيد محمّد بن عبدالله حامل لقب بَيهم عن جدارة .

